الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.

الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.

٥١٢ ص.

ISBN : ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٩١٠٦٣ - ٩ - ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

كتابنامه:

١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت - ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام - تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.

٣ ص ٤٢ع B P ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١

١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ - ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ - ٣ - ٩١٠٦٣ - ٩٦٤ - ٩٧٨**

العنوان: ايران - قم - ٤٥ متري صدوق - صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ - ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني:

رسالة الخولاني في الميزان

إننا لا نحتاج إلى البحث عن أن كتابي معاوية نصان لكتاب واحد، أو لكتابين، فإن المهم هو بيان حقيقة هذا الرجل، ومعرفة مدى سوء باطنه الذي يدعوه لارتكاب تلك الموبقات والمخزيات.

إيضاحات سريعة:

المسدد: هو من يعلم الناس رمي السهام. والمراد: التشبيه بمن يدعو الذي يعلمه الرمي للمسابقة بينهما في رمي السهام.

حنَّ قدح ليس منها: مثل يضرب، لأن القداح التي تستعمل في القرعة تتشابه في حقيقتها وجوهرها، وتتشابه أصواتها حين يراد خلطها ويتم تحريكها. فإذا كان أحدها من جوهر آخر، ثم حرك مع إخوته خرج له صوت آخر يخالف أصواتها ويميزه عنها، فيعرف أنه ليس من جملتها.

أربع ظلعك: أي كن وانتظر، ولا تحمل نفسك ما لا تطيق. ويقال: ظلعت الأرض بأهلها: أي ضاقت بهم.

الشهيد الذي خصه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين تكبيرة، هو حمزة بن عبد المطلب، حيث صلى عليه النبي «صلى الله عليه وآله» أربع عشرة صلاة.

الرمية: الصيد المرمي.

عادي طولنا: المراد قوم عاد، وهم قوم هود. كناية عن الشيء السابق والقديم. أي أن لهم السوابق الحسنة والكثيرة.

والطول: الفضل.

ومنكم المكذب: المراد أبو جهل، أو أبو سفيان. أو أن التكذيب قد كان في بني أمية، من دون تحديد شخص بعينه.

وأسد الأحلاف: قيل هو أبو سفيان. وقيل: هو عتبة بن ربيعة. وقيل غير ذلك.

صبية النار: هم صبية عقبة بن أبي معيط، فإنه لما أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بضرب عنق عقبة، قال عقبة: من للصبية؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لك ولهم النار.

الجمل المخشوش: الذي جعل في أنفه خشاش. وهو عود من خشب يجعل في أنف البعير يشد به الزمام، ليكون أسرع لانقياده.

الغضاضة: المنقصة.

الظنة: التهمة.

المتنصح: المبالغ في النصح لمن لا ينتصح.

لبِّث قليلاً يلحق الهيجا حمل: هو حمل بن بدر القشيري، الذي

استنقذ إبله ممن أغار عليها.

مُرقِل: الإرقال ضرب من المشي السريع.

في أخيك وخالك وجدك: أخو معاوية هو حنظلة، وخاله: الوليد بن عقبة. وجده: عتبة بن أبي ربيعة. أبو أمه هند.

لماذا لم يعطه الجواب فوراً؟!:

إن علياً «عليه السلام» لم يعط أبا مسلم الخولاني جوابه على الكتاب مباشرة، وقد كان يمكنه ذلك، ولكنه أجله إلى اليوم التالي..

كما لم يجبه في الحال على طلبه منه: أن يسلمه قتلة عثمان.. مقابل وعد قطعه أبو مسلم بقبول أمارته وبنصرته بالقول والفعل.. فلما رجع أبو مسلم في اليوم التالي إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال له «عليه السلام»: إنه لم يكن يريد إجابة طلبه بتسليمهم إليه أبداً.

والذي نريد لفت النظر إليه هنا هو الأمور التالية:

1 - إننا لا نظن أن علياً «عليه السلام» لم يكن على علم بتجمع الناس في المسجد، ولبس شيعته السلاح لمواجهة أبي مسلم. كما لا نظن أنه «عليه السلام» لم يسمع نداء الناس الذين ملأوا المسجد: «كلنا قتل عثمان» وقد كان «عليه السلام» ـ فيما يبدو ـ في حجرة في المسجد..

فإذا كان يعلم بما يجري، فهو راض به، وإلا لكان قد نهاهم عنه..

2 - إن ما جرى لا بد أن يفهم أبا مسلم وعبره علي أن المطالبة

بالقتلة من دون مراعاة الحكم الشرعي القاضي بالترافع إلى ولي الأمر، وعدم إجراء الأمور وفق أحكام الشرع والدين من شأنه أن يفتح باب شر وفتنة..

3 ـ إن ما جرى يعطي: أن قتلة عثمان غير محددين بصورة دقيقة، فأبو مسلم لم يحددهم، ومعاوية وغيره أيضاً لم يذكروا لأحد أسماءهم. فهذا وذاك ـ يدل ـ على أنه قتيل عمية، اجتمع عليه الناس من الأصقاع المختلفة وقتلوه بنحو عشوائي.

ولذلك نجد أن محبيه كانوا يطلقون الإتهامات بصورة غائمة، وبلا تحديد.

وحتى حين كانت بعض الأسماء تظهر على بعض الألسنة، فإنها كانت تستند إلى تحريض أصحابها على قتله لا على مباشرة القتل، ولكن الظاهر: أن معاوية وأعداء علي«عليه السلام» كانوا يريدون أن يجعلوا ذلك ذريعة للوصول إلى الحكم، أو للإنتقام من خصومهم السياسيين، وكانوا يتبعون طريقة التعميم والإشارة الغائمة إلى الأخيار، والأبرارمن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» ولو كانوا يعرفون أن التصريح بأسمائهم يقبل منهم لما توانوا عن ذلك..

4 ـ ما معنى جعل تسليم قتلة عثمان إلى أهل الشام شرطاً لطاعتهم، وبيعتهم، ونصرتهم.. والحال: أنهم ليسوا هم أولياء الدم، وليسوا هم السلطة الشرعية..

5 ـ إن قبول هذا الأمر منهم معناه: الإعتراف بسلطة فوق سلطة

الخليفة الشرعي، الذي بايعه المهاجرون والأنصار.. مع أن هذا الذي يراد من علي «عليه السلام» أن يسجل اعترافه الضمني بسلطته، باغ على إمامه، متمرد على الخليفة الشرعي، وغاصب لمقامه..

6 ـ وقد أظهرت الوقائع: أن معاوية كان يريد أن يجد الذريعة لقتل أمثال عمار، والأشتر، وقيس بن سعد، ومحمد بن أبي بكر، وسواهم من خيار صحابة النبي وعلي «عليهما الصلاة السلام».

ولكنه كان يعلم: أن ذلك لا يمكن أن ترضاه الأمة منه مهما كلف الأمر، فكان يكني عن مراده هذا بمثل قوله ـ كما في رسالته التي أرسلها مع الخولاني إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»ـ : «تعظيمك لأقدار قتلته، فهم عضدك، وأنصارك، ويدك وبطانتك».

ثم يقول له بعد ذلك مباشرة: «..وقد ذكر لي أنك تنصل من دمه، فإن كنت صادقاً، فأمكنا من قتلته نقتلهم به».

إنَّا صنائع ربنا:

وتقدم قوله «عليه السلام»: «فإننا صنائع ربنا، والناس كلهم لنا صنائع».

قال المعتزلي: «هذا كلام عظيم، عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني»(1).

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص194.

وقال المجلسي «رحمه الله»: «هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول».

وقال أيضاً: وقال المعتزلي نحو ذلك(1).

وقال «رحمه الله»: صنيعة الملك: من يصطنعه ويرفع قدره، ومنه قوله تعالى: **(وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)**(2). أي اخترتك وأخذتك صنيعتي، لتتصرف عن إرادتي ومحبتي.

فالمعنى: أنه ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة.

والناس ـ بأسرهم ـ صنائعنا، فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه.

ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس، أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره.

زاد المعتزلي قوله: «هذا مقام جليل، ظاهره ما سمعت، وباطنه أنهم عبيد الله والناس عبيدهم»(3).

وقال ابن ميثم «رحمه الله»: إن الله اختارهم ليختصهم بنعمه الجزيلة، وهي نعمة الرسالة، وما يستلزمه من الشرف والفضل،

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص68.

(2) الآية 41 من سورة طه.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص194 وبحار الأنوار ج33 ص68.

حتى كان الناس عيالاً لهم فيها. إذ كانت تلك النعمة ولوازمها إنما وصلت إلى الناس بواسطتهم ومنهم. وأَكْرِمْ بها فضيلة وشرفاً على سائر الخلق(1).

جهل القراء وعجزهم:

كنا نتوقع أن يكون هؤلاء القراء ـ قراء أهل الشام ـ على درجة عالية من الوعي والدراية بالأحكام الشرعية، وبالنهج الذي يرضاه الله سبحانه في سياسة العباد، وأن يكون قرارهم تقديم من قدَّمه الله ورسوله، لأنه أهل للتقديم والتفضيل، بعمله الصالح، وبما أظهره من تقوى، وقدمه من تضحيات وجهاد واستقامة على طريق الحق والخير.

وتأخير من أخَّره الله ورسوله، لأن سيئات أعماله، وشرور نفسه قد قعدت به عن نيل أية كرامة وفضيلة عند الله وعند رسوله وعباده الأخيار.

وكنا نتوقع لهؤلاء الناس أن تصونهم فطانتهم وكياستهم عن الوقوع في حبائل معاوية، والتأثر بشبهاته، والإستسلام لترهاته.

ولكن الأمور قد جرت على خلاف ما توقعناه، فقد أظهر قرَّاء أهل الشام أنهم في غاية السذاجة والغفلة عن أبده البديهيات، وأوضح

(1) راجع: شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج4 ص439 وبحار الأنوار ج33 ص68 عنه.

الواضحات.

فإذا كان هذا هو حال من يفترض فيهم أن يكونوا من أهل الوعي والصلاح، فكيف سيكون حال العوام الذين لم يقرأوا القرآن، ولا مرت على مسامعهم آياته البينات؟!

أليس من الغرائب والعجائب أن يعترف معاوية أمام هؤلاء بتقدم علي «عليه السلام» في صحبته، وهجرته، وسابقته، وقرابته، وبأنه ليس لأحد مثل ما له «عليه السلام» من ذلك.. ثم يدَّعي لهم: أن ما يريده من علي «عليه السلام» هو مجرد تسليم قتلة عثمان إليه، ليقتلهم به.. فلا يكون فيهم من يقول لأبي مسلم الخولاني، ومن يقول لمعاوية أيضاً:

أولاً: ما شأنك أنت بقتلة عثمان، وأنت لست ولي دمه، وإنما ولي دمه هم أولاً علي «عليه السلام» نفسه بما أنه خليفة وحاكم، وله ما للرسول «صلى الله عليه وآله» من الولاية على المؤمنين، وهو أولى بهم من أنفسهم، ثم أبناء عثمان وورثته دون سواهم؟!

ثانياً: لماذا يسلم علي «عليه السلام» قتلة عثمان إلى معاوية، ولا يسلمهم إلى أي شخص آخر من بني أمية، أو من غيرهم؟! ومتى كان معاوية مجتهداً في الأحكام، أو عالماً بالقضاء؟! ومن الذي نصب معاوية قاضياً يحكم بقتل هذا، وببراءة ذاك؟!

ثالثاً: لماذا لم يقم معاوية أو غيره الدعوى على قتلة عثمان عند علي «عليه السلام»، ليرى إن كان «عليه السلام» سوف يجلب

المتهمين، ويسائلهم، ويحكم لهم أو عليهم وفق ما يثبت له بالقرائن والأدلة؟!

رابعاً: إن من جملة وأشد الآمرين والمحرضين، والمشاركين في قتل عثمان طلحة والزبير، وعائشة، وعمرو بن العاص، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، بل وجل أهل المدينة إن لم يكن كلهم.. بالإضافة إلى من قدم المدينة من مصر، والكوفة، والبصرة، وسائر البلدان.

وحتى معاوية، فإنه قد خذله ومنع الجند الذين أرسلهم إليه، ومن دخول المدينة لنجدته.. فهل هو سوف يدرج هؤلاء جميعاً في جملة المتهمين، الذين لا بد من محاسبتهم؟! أم أنه سيكتفي بخصوص من تولى قتله مباشرة.

فإن كان المطلوب هو الثاني، فلماذا لا يسمي ذلك القاتل، ويقدمه إلى الملأ، ويطلب من علي «عليه السلام» ملاحقته ومحاسبته؟! وإن كان المطلوب هو الأول، فلماذا لم يبدأ معاوية بمحاسبة نفسه، ثم عمرو بن العاص، وغيره ممن هم من حزبه وعلى شاكلته، وقد شاركوا أو حرَّضوا، أو خذلوا، أو أمروا بالقتل، ومنهم عائشة؟!

أو لماذا لا يعلن أسماء هؤلاء على الملأ، ويطالب الناس بملاحقتهم أينما وجدوا؟! ولماذا لم يطلبهم من علي «عليه السلام»، ولم يسمهم له، ولا لأحد سواه؟!

خامساً: لقد قتل طلحة والزبير من أهل البصرة قبل وصول علي

«عليه السلام» إليها، وقبل حرب الجمل حوالي ألف قتيل، كان الناكثون يدَّعون أنهم من قتلة عثمان.. ثم قُتِل عشرات الألوف في حرب الجمل، فمن الذي قال: إنه قد بقي أحد من قتلة عثمان حياً بعد حرب الجمل، وبعد قتل تلك الأعداد الهائلة من أهل البصرة وغيرهم؟!

وهل من المعقول أن تشترك هذه المئات والألوف في قتل رجل واحد؟!

فكيف أحرز معاوية أو غيره بقاء أحد على قيد الحياة من قتلة عثمان عند علي «عليه السلام»؟!

سادساً: إن هؤلاء القراء، وكذلك معاوية لم يحضروا قتل عثمان، فكيف تسنى لهم الحكم بمظلوميته؟!

ولماذا لم يسألوا أنفسهم عن أنه كيف يكون قد قتل مظلوماً أمام أعين المهاجرين والأنصار، وسائر الذين قدموا من مصر، والكوفة، والبصرة، وسائر الأقطار؟!

ولماذا لم ينصره أحد من هؤلاء، ولم يدفع عنه ولو بكلمة، بل كان أكثرهم، بل كبارهم وخيارهم يحرضون عليه، ويشاركون في الجهد المبذول لقتله ـ مثل طلحة ـ ويأمرون بقتله بعد حكمهم بكفره. كما فعلته عائشة التي كانت تقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر؟!

من هو أبو مسلم الخولاني؟!:

وقد بدا من كلام أبي مسلم الخولاني مع علي «عليه السلام»: أنه يتكلم بلسان معاوية، ويضرب بسيفه، فمن هو الخولاني هذا؟!

ونجيب:

إن أبا مسلم الخولاني هو عبد الله بن ثوب، وقد سئل عنه الفضل بن شاذان «رحمه الله»، فقال: وأما أبو مسلم، فإنه كان فاجراً مرائياً، وكان صاحب معاوية.

وهو الذي كان يحث الناس على قتال علي «عليه السلام»، وقال له:

ادفع إلينا الأنصار والمهاجرين حتى نقتلهم بعثمان.

فأبى علي «عليه السلام» ذلك.

فقال أبو مسلم: الآن طاب الضراب، إنما كان وضع فخاً ومصيدة[1].

وقالوا: أخذ أبو مسلم من معاوية قميص عثمان الذي بعثته أخته أم حبيبة إليه، و (كان) يطوف به في الأجناد، ويحرض الناس على قتلة

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص97 و (ط مؤسسة آل البيت) ج1 ص314 وقاموس الرجال للتستري ج11 ص515 والكنى والألقاب ج1 ص159.

عثمان(1).

وقد حضر حرب صفين مع معاوية(2).

وروى الأعمش عن رجل من همدان قال: كنا مع علي بصفين، فهزم أهل الشام ميمنته، فهتف بهم الأشتر ليتراجعوا، فجعل أمير المؤمنين «عليه السلام» يقول لأهل الشام: يا أبا مسلم خذهم ـ ثلاث مرات.

فقال الأشتر: أوليس أبو مسلم معهم؟!

قال: لست أريد الخولاني، وإنما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أمية ملكهم(3).

يريد أبا مسلم الخراساني.

ويلاحظ قوله «عليه السلام»: «يخرج في آخر الزمان» مع أنه قد خرج بعد وفاته «عليه السلام» بأقل من قرن من الزمن.

وهذا يدل على أن المقصود بكلمة «آخر الزمان» هو آخره،

(1) أنساب الأشراف ص291 وقاموس الرجال ج11 ص516 عنه.

(2) قاموس الرجال ج6 ص278 وج11 ص515 وأسد الغابة ج3 ص129.

(3) مناقب آل أبي طالب ج2 ص262 و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج2 ص98 وقاموس الرجال ج11 ص515 عنه، وبحار الأنوار ج41 ص310.

بملاحظة أن البداية هي من عهد آدم «عليه السلام»، لكي يتسع آخر الزمان، ليبلغ المئات، بل الآلاف منها.

ويشهد لذلك: أنه كان يقال: إن نبينا محمداً «صلى الله عليه وآله» هو نبي آخر الزمان. فقد قال تعالى: **(وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)**[1]. وقال «صلى الله عليه وآله»: إلا أنه لا نبي بعدي[2].

دفع قتلة عثمان لمعاوية:

وقد قال علي «عليه السلام» في كتابه لمعاوية: «وأما ما سألت

---

(1) الآية 40 من سورة الأحزاب.

(2) أسد الغابة ج4 ص27 وتهذيب الكمال ج20 ص483 وج25 ص423 وج32 ص482 وتذكرة الحفاظ ج1 ص10 وج2 ص523 وسير أعلام النبلاء ج12 ص214 وج14 ص210 وميزان الإعتدال للذهبي ج2 ص3 ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج1 ص531 و 532 وفضائل الصحابة ص13 ومسند سعد بن أبي وقاص ص174 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص44 و 119 و 240 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص76 ومسند أبي يعلى ج2 ص86 والكامل لابن عدي ج7 ص47 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص151 و 152 ومختصر تاريخ دمشق ج17 ص344 والكامل في التاريخ ج2 ص278 وأعيان الشيعة ج1 ص371 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص159 وج16 ص75 وج21 ص176 و 200 وج22 ص390 و 400 وج30 ص477 و 482 و 501 و 502.

من دفع قتلة عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك».

وقال لأبي مسلم الخولاني: «والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين قط. لقد ضربت هذا الأمر: أنفه وعينه، فما رأيته ينبغي لي أن أدفعه إليك، ولا إلى غيرك».

وهذا يدل على ما قلناه فيما سبق من أنه «عليه السلام» كان يرى أن قتلة عثمان لا يستحقون القصاص.. لأنه إذا كان «عليه السلام» يعرفهم. وكانوا في يده وتحت سلطته، وكان يراهم مذنبين، فعليه أن ينزل بهم العقوبة التي يستحقونها. لا سيما وأنه لا يتهاون في أمر كهذا، بدليل أنه كان مصمماً على قتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان، وبنت أبي لؤلؤة.. وقد فرَّ عبيد الله إلى معاوية خوفاً منه «عليه السلام».

كما أن أبناء عثمان لو رفعوا القتلة إليه، وثبت القتل عليهم، فلماذا لا يعاقب القتلة أو يسلمهم لأولياء المقتول، كما قال تعالى: **(وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)**[1].

---

(1) الآية 33 من سورة الإسراء.

كما أنه قال لشرحبيل ومن معه حين أرادوا انتزاع إقرار منه «عليه السلام» بأن عثمان قد قتل مظلوماً: إني ما أقول بأنه قد قتل ظلماً.

فقالوا: إنا منك براء، وخرجوا من عنده «عليه السلام».

فقال «عليه السلام»: **(إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)**(1)»(2).

بل يكفي في الدلالة على ذلك قوله عن قتل عثمان: ما سرني ولا ساءني(3). إذ لو كان مظلوماً لساءه قتله.

---

(1) الآية 80 من سورة النمل.

(2) صفين للمنقري ص200 - 202.

(3) راجع: بحار الأنوار ج31 ص164 وأنساب الأشراف ج5 ص98 والغدير ج9 ص69 و 375 والشافي في الإمامة ج4 ص308 ونهج السعادة ج1 ص214 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص66 وراجع ج1 ص200 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1263 وراجع ص1221 و 1265 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج8 ص685 والفصول المختارة ص229 وتفسير ابن أبي حاتم ج10 ص3324 وتمهيد الأوائل ص515 و 528 و 555 وتفسير القرآن العظيم ج4 ص292 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص69 والثقات لابن حبان ج4 ص352 وتاريخ مدينة دمشق ج12 ص295 وج39 ص370 و 453 والصحاح للجوهري ج1 ص73 ولسان العرب ج1 ص160 وتاج العروس ج1 ص253.

فضلاً عن أنه «عليه السلام» قال لأبي مسلم الخولاني لما سأله: من قتل عثمان؟!

قال: «الله قتله وأنا معه»(1).

والأكثر صراحة وأوضح دلالة على هذا الأمر هو ما يلي:

علي × يخوف معاوية بقتلة عثمان:

وقد ورد في رسالته «عليه السلام» المتقدمة إلى معاوية قوله: «ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك، ولا يكلفونك أن تطلبهم في بر ولا بحر، ولا جبل ولا سهل الخ..».

فهو «عليه السلام» يخوف معاوية بقتلة عثمان، وأن من المتوقع أن يلاحقوا معاوية وغيره من الطالبين بثأر عثمان لكي يقتلوهم.

وفي هذا دلالة واضحة على أنه «عليه السلام» لا يرى أن قتلة عثمان يستحقون العقوبة على الأقل.

---

(1) راجع: الموفقيات ص299 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص685 وتأويل مختلف الحديث ص40 وصحيح ابن حبان ج2 ص337 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص128 وج3 ص62 و 65 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص97 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1268 وراجع: العمدة لابن البطريق ص339 وبحار الأنوار ج31 ص165 و 308 و 501 وخلاصة عبقات الأنوار ج4 ص225 .

هل بنو المطلب من أهل البيت؟!:

وقد ورد في رسالة أمير المؤمنين «عليه السلام» لمعاوية قوله «عليه السلام»: «وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا احمر البأس، وأحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف والأسنة. فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر، وقتل حمزة يوم أحد».

ومن المعلوم: أن عبيدة بن الحارث لم يكن من بني هاشم، فإنه عبيدة بن الحارث بن المطلب. والمطلب يجتمع مع النبي «صلى الله عليه وآله» في عبد مناف، فهو من هذه الجهة كبني عبد شمس..

ونقول:

أولاً: إن قياسهم على بني عبد شمس وبني أمية في غير محله، لأن هناك كلاماً في نسبهم.

ثانياً: لعل اعتباره من أهل البيت بملاحظة المعنى اللغوي، والمراد بهم الأقارب الذين هم من أهل الطاعة له «صلى الله عليه وآله»، أو أنه وارد على سبيل التنزيل والتطبيق، على حد قوله «صلى الله عليه وآله»: «سلمان منا أهل البيت»(1).

---

(1) راجع كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي، وراجع: أسد الغابة ج2 ص331 وتهذيب تاريخ دمشق ج6 ص200 وتاريخ مدينة دمشق وج21 ص408 وعيون أخبار الرضا ج1 ص70 والغارات للثقفي ج2 ص823 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج1 ص221 وج2

ص384 والسيرة النبوية لابن هشام ج1 ص46 وج3 ص708 والسيرة النبوية لابن كثير ج1 ص49 وج3 ص192 وج4 ص626 وفضل آل البيت للمقريزي ص86 والمطالب العالية ج4 ص83 والمغازي للواقدي ج1 ص446 وشرح الأخبار ج3 ص14 ودلائل الإمامة ص140 والإحتجاج ج1 ص387 وتهذيب الكمال ج11 ص251 وسير أعلام النبلاء ج1 ص540 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص235 وفتوح الشام للواقدي ج2 ص204 واليقين لابن طاووس ص477 والمحتضر للحلي ص117 وبحار الأنوار ج10 ص123 وج17 ص170 وج18 ص19 وج20 ص189 وج22 ص326 و 330 و 348 و 374 و 385 وج30 ص223 وج37 ص331 وج65 ص55 وكتاب الأربعين للماحوزي ص341 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص75 وإمتاع الأسماع ج1 ص226 وج13 ص291 والبداية والنهاية ج2 ص226 وج4 ص114 وج5 ص338 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص128 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص495 والمستدرك للحاكم ج3 ص598 ومجمع الزوائد ج6 ص130 والمعجم الكبير ج6 ص213 والدرر لابن عبد البر ص170 والجامع الصغير ج2 ص52 وكنز العمال ج11 ص690 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص147 وفيض القدير ج4 ص140 وكشف الخفاء ج1 ص459 والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص121 وجامع البيان ج21 ص162 وتفسير الثعلبي ج3 ص40 والجامع لأحكام القرآن ج14 ص129 ودقائق التفسير لابن تيمية ج2 ص256 وأضواء البيان للشنقيطي ج3 ص47 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص60 و 71 وتفسير البغوي ج3 ص510 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم

وقد ورد نظير ذلك في حق جابر بن عبد الله، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، وغيرهم..

ولذلك صار أبو لهب ملعوناً، مطروداً، وليس من أهل البيت.

فظهر: أنه ليس المراد بأهل البيت في هذا المورد هو خصوص أهل الكساء، فليس المورد كمورد آية التطهير، كما هو ظاهر.

هذا.. والمشهور بين الإمامية: أن المطلبي لا يعطى من الخمس، لأنه يختص بالهاشمي، لكن الإسكافي والمفيد في الغريَّة قد ذهبا إلى

السلام» للنجفي ج1 ص369 والإختصاص ص341 ونفس الرحمان (ط حجرية) ص29 و 43 و 34 و 35 و 32 و (ط مؤسسة الآفاق) ص32 و 124 و 127 و 134 و 135 و 137 و 138 و 145 و 179 و 210 و 213 و 217 و 351 و 374 و 585 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص85 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص75 وتفسير فرات الكوفي ص171 ومجمع البيان ج2 ص269 وج8 ص126 والميزان ج16 ص292.

وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص233 والدرجات الرفيعة ص207 و 210 و 218 و أبو هريرة للسيد شرف الدين ص195 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج4 ق1 ص59 و (ط دار صادر) ج4 ص83 وج7 ص319 وأسد الغابة ج2 ص331 وذكر أخبار أصبهان ج1 ص54 وطبقات المحدثين بأصبهان ج1 ص203 و 204 و 205 والكامل في التاريخ ج2 ص179 وقاموس الرجال ج4 ص424 والوافي بالوفيات ج15 ص192 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص397 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص634 وينابيع المودة ج2 ص93.

جواز إعطاء المطلبي منه، استناداً إلى ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «لو كان عدل ما احتاج هاشمي، ولا مطَّلبي إلى صدقة»(1).

لماذا السرد التاريخي في الإحتجاج؟!:

ولعل سائلاً يسأل: لماذا يهتم أمير المؤمنين «عليه السلام» بالسرد التاريخي في احتجاجاته، بينما لا نجد رغبة لدى خصومه بالدخول في هذا المضمار، بل لعلنا نتلمس فيهم رغبة بتجاهل ما جرى، والتباعد عنه، فإن كان ولا بد لهم من ذلك، فإنهم يكتفون بعرض عناوين عامة ذات طابع ادعائي أو اتهامي، قوامه التجني والإفتراء، أو الحدس، أو التوهم، الذي لا يستند إلى أي دليل أو شاهد..

ونجيب:

بأن الناس صنفان:

أحدهما: أولئك الرساليون، الذين تتحكم في مواقفهم وسيرتهم، وسلوكهم مبادىء وقيم ومفاهيم إيمانية وإعتقادية، وتهيمن عليها ضوابط ومعايير.. تعطيها اللون والطعم والرائحة، وتطبعها بطابعها

---

(1) راجع: الإستبصار للطوسي ج2 ص36 وتهذيب الأحكام ج4 ص59 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج9 ص277 و (الإسلامية) ج6 ص191 ومختلف الشيعة للعلامة ج1 ص205.

الذي يميزها عن الأغيار، ويجمع شتاتها، وينتظم متفرقاتها، وينطلق بها من نقطة الإرتكاز، لتتخذ مسارها في سياق واحد، ينتهي بها إلى غاية واحدة، وهدف واحد.

ولأن هذا الصنف استطاع أن يضبط حركته، في مسار محدد يعرف مبدؤه، ويعلم منتهاه. فقد كان طبيعياً أن تنتظم في جامع إيماني فريد، جعل منها أمة واحدة، تؤمن برب واحد، ولها أب ومرب واحد، وفق شريعة واحدة، ولها مسار ومصير واحد.

فهم حين يتحدثون عن أمر تاريخي، فإنما يتحدثون عن حقائق هامة جداً، لا بد من حفظها، والمنع من طمسها وتحريفها، وهي كلمة حق يقذف بها في وجه الباطل ليدمغه، فإذا هو زاهق.

الثاني: ذلك الصنف الذي يندفع إلى مواقفه، ويمارس تصرفاته بدواع ليست إلهية، بل قد تكون ذات دواع شيطانية، وتحريكات غرائزية، رافدها الأهواء، والعصبيات، والشهوات، والميول.. فمنها المبدأ، والمنشأ، وهي الهدف والمنتهى.. وهي التي تتحكم في الحركة وفي المسار..

وهذا الصنف لا يخضع لضابطة واحدة، ولا مجال لتوحيد تصرفات ومواقف الأفراد فيه، بل تتعدد وتتباين بحسب الأفراد والأشخاص، تبعاً لتعدد الأهواء..

والصنف الأول يصنع تاريخه وفق منظومته الإيمانية والاعتقادية، فيكون تاريخاً منسجماً ومنتظماً، واضح المعالم، بيِّن

الرشد، يعرف أوله وآخره، وسائر حلقاته، ومراحله.

أما الصنف الثاني، فلا تاريخ له، لأن تاريخه مجرد جزئيات مرتبطة بأهواء الأفراد، فيكون تاريخه متنافراً متناثراً ومتناقضاً، حافلاً بالمآثم والموبقات، مليئاً بالجرائم والمخزيات، لا يجد فيه أثراً للقيم، ولا ما يشير إلى المبادئ..

بل تصبح فيه حتى الأسماء والمصطلحات فيه ممسوخة المضمون، مطموسة المعاني، خاوية الوفاض.

فإذا رجع علي «عليه السلام» إلى تاريخه، فإنه يجده حافلاً بالمكرمات، زاخراً بالقمم الشامخة، والمنارات المضيئة، التي تبهر العقول، وتنعش الأرواح. وهو كل مترابط ممتد، وعلى صراط مستقيم.

ولكن معاوية ومن هم على شاكلته، إذا رجعوا إلى تاريخهم، فلن يجدوا فيه، سوى القذارات والمخزيات، التي تزيدهم رذالة ومهانة.. فأي ذلك يتخير منه ليعرضه ويستدل به؟!!

النبي ' يقي أصحابه بأهل بيته:

وقد صرح «عليه السلام» في رسالته لمعاوية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في ساعات الشدائد، وحين يستحكم الخطر يقي أصحابه بأهل بيته..

1 - وكلنا يعلم: أن أهل بيته «صلى الله عليه وآله» كانوا أفضل

الخلق، وأكملهم، وأعلمهم، وأتقاهم لله سبحانه.. فإذا أقدموا على الأخطار، فإنهم يقدمون عليها بصفاء نية، وبقلوب نقية، وحسن روية.

أما غير أهل البيت، فلم يكن لهم من الصفاء والخلوص، والمعرفة بالله تعالى ما يحصِّنهم من وساوس الشيطان، ويحفظهم من تسويلات النفس المتعلقة بالدنيا، فلا يحسنون استقبال الشهادة، ولا يصفون أرواحهم للقاء الله تعالى حين يقتضي الأمر بذل الروح في سبيله..

ولذلك، ولكي لا تكون شهادتهم مشوبة بالنقص والتشوهات، ولا تتعرض للإحباط، فإنه «صلى الله عليه وآله» كان يقدم أهل بيته، لأنهم الأكثر استعداداً لمواجهة مثل هذا الأمر الخطير، وتوظيفه في ميزان أعمالهم في رضا الله تعالى على أكمل وجه وأتمه..

2 - يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يخطر في بال أحد: أنه يضن بأهل بيته عن مواجهة الأخطار، ويسخو بغيرهم.. ولا أن يتوهم متوهم أن ذلك لحبه لعشيرته، وعصبيته لقرابته، فإن مثل هذا الظن قد يوجب حبط العمل، والبوار والهلاك. وهذا ما لا يريد «صلى الله عليه وآله» أن يمتحن به أحد من الخلق.

3 - إنه «صلى الله عليه وآله» حتى حين يقدم أهل بيته في مواضع الخطر، فإنه لا يقدِّمهم بالرغم عنهم، بل هو يجد لديهم الإستعداد لذلك، والرضا به، والإندفاع إليه بشوق وحنين.

وقد بين «عليه السلام»: أن هذا الشوق والحنين، والإندفاع إنما

هو توفيق إلهي لهم، وقد استحقوه بأعمالهم الصالحة، فقد قال «عليه السلام»:

«والله مولى الإحسان إليهم، والمنان عليهم، بما قد أسلفوا من الصالحات».

4 - ثم ذكر «عليه السلام»: أن هؤلاء النفر من أهل بيته كانوا هم «الأصبر على اللأواء والضراء، وحين البأس، وموضع المكروه، والأنصح لله في طاعة رسوله، والأطوع لرسوله في طاعة ربه».

وهذا هو الموصل للهدف الخطير والكبير، ويطمئن إلى سلامة المسيرة، وعدم التعرض لإنتكاسات قد تكون بالغة الخطورة على المسار وعلى المصير.

إستدراك المهاجرين فقط:

غير أننا وجدناه «عليه السلام» بعد أن وصف أهل بيته: بأنهم الأصبر، والأنصح، والأطوع.. استدرك فذكر المهاجرين ببعض الثناء، ولكنه بقي ثناءً في نطاق محدود جداً، فقال:

«وفي المهاجرين خير كثير نعرفه، جزاهم الله بأحسن أعمالهم».

فيرد هنا عدة أسئلة:

الأول: لماذا استدرك «عليه السلام» خصوص المهاجرين، فخصهم بهذا الثناء، ولم يذكر الأنصار بشيء؟!

الثاني: لماذا لم يثن عليهم بما أثنى به على أهل بيته؟!

الثالث: هل يشمل هذا الثناء جميع المهاجرين؟! أم يختص ببعضهم دون بعض؟!

ونجيب:

أولاً: إننا نجيب على السؤال الثالث بما يلي:

إن ثناء علي «عليه السلام» على المهاجرين، قد جاء عليهم على سبيل الإجمال، والمقصود هو خصوص من هاجر منهم إلى الله ورسوله.. ولا يجب تعميمه لكل فرد منهم، بل هو صالح للإنطباق على الجميع، وعلى البعض، فهو من قبيل قولك: أهل البلد الفلاني كرماء، أو شجعان.. فإن ذلك لا يعني عدم وجود أي بخيل أو جبان فيهم، وهذا يشبه الثناء على الصحابة في قوله تعالى: (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**)(1).

فإننا نعلم: أن الآية لا تقصد إثبات هذه الأوصاف لجميع أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» بهذه الصفة.

يضاف إلى ذلك: أنه تعالى قال في آخر الآية: (**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ**

---

(1) الآية 29 من سورة الفتح.

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[1].

فقوله «منهم» يدل على أن في هؤلاء الصحابة من لم يكن من المؤمنين العاملين للصالحات، وهذا واضح..

ثانياً: ونجيب على السؤال الأول:

بأنه «عليه السلام» إنما استدرك بذكر خصوص المهاجرين، ولم يذكر الأنصار، لأن الذين تعرضوا للأذى القرشي هم خصوص المهاجرين، وهم خصوص الذين كانوا يخالفون معاوية، وكانوا ما زالوا من حزب أمير المؤمنين «عليه السلام»، والذي نعرفه منهم وهو رأسهم عمار بن ياسر «رضوان الله تعالى عليه».

فلا بد من إيفائه حقه، ولن يكون معاوية سعيداً بذلك، وإن كان معاوية ينسب نفسه إلى المهاجرين، ويربط بهم طارفه وتليده[2]، ويقيم أمجاده، فكان لا بد من رصد موقفهم، وتحديد موقعهم، من دون انتقاص لهم، أو حيف عليهم.

أما الأنصار، فلم يتعرضوا للأذى من قريش في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإن كانوا قد حرموا وأهينوا، وضربوا، وهددوا وقتلوا بعده «صلى الله عليه وآله».. كما أن معاوية لا ينسب نفسه إليهم، ولا يربط مجده بهم.

---

(1) الآية 6 من سورة الروم.

(2) الطارف هو الجديد، والتالد هو القديم.

ثالثاً: ونجيب على السؤال الثالث:

إنه «عليه السلام» قد بيَّن: أنه لا ينكر فضل أحد، ولكنه يقول: إن كل فضل يمكن نسبته للمهاجرين لا يمكن أن يقاس بما لأهل البيت «عليهم السلام».. وبذلك يكون قد قطع الطريق على معاوية، ومنعه من محاولة تعمية أمرهم على الناس بادعاء مقامات وبطولات لهم ضخمة ليس لها أساس.

فأراد «عليه السلام» أن يبين مقدار ما للمهاجرين من حق وفضل من دون تحريف أو تزييف.

وبذلك نعرف السبب في أنه لم يثن عليهم بما أثنى به على أهل بيته، فإنهم لم يكونوا قد بلغوا في مقامات الفضل والكرامة ما بلغه أهل البيت. كما أنهم كانوا في نجوة من الأذى والعذاب الهائل، الذي تعرض له أهل البيت «عليهم السلام»، وصبروا عليه.

ولذلك ذكر «عليه السلام»: أن أهل البيت قد أسلموا قبل جميع الناس. وبقوا أعواماً كثيرة يحاربهم قومهم، الذين لم يسلم أحد منهم طيلة تلك السنين، ثم قال: «فأما من أسلم من قريش بعد، فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نجوة وأمن»**(1)**.

---

(1) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص31 وبحار الأنوار ج33

ثم ذكر «عليه السلام» استمرار البلاء وتعرض أهل البيت للمحن قبل وبعد الهجرة، واستمرار الأمن والسلامة لمن أسلم من قريش، حيث كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مواقع الخطر والضرر يقي أصحابه بأهل بيته.

أهل البيت أساس الإسلام:

وقد أظهر السرد التاريخي الذي ورد في رسالة أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن هذا الدين إنما قام بجهد وجهاد أهل البيت «عليهم السلام»، واستقام بسواعداهم، وعاش ونما وترعرع بتضحياتهم، وروت شجرته دماؤهم.. سواء في ذلك قبل الهجرة، وبعدها. وقبل إسلام المهاجرين والأنصار، وبعد إسلامهم..

وإنما جاءت قريش إلى أمر ممهد، وملك قائم، وأمر جاهز، وسرقته من أهله، واستأثرت به لنفسها دونهم، دون أن تقدم على أي جهد، أو تبذل أي تضحية في سبيله..

نعم.. لقد سرقته من أهله، واستلبت كل منجزاته الحاضرة. وطحنتها أضراس أطماعها، وابتعلتها بطون الشهوات والأهواء، ولم تبقِ منها إلا الأسماء، والرسوم الشوهاء، والقشور الجوفاء.

ص112 ونهج السعادة ج4 ص179 و 180 وأنساب الأشراف ج2 ص189 و 190 وصفين للمنقري ص90.

دليل آخر على تأخر إسلام أبي بكر:

وذكر «عليه السلام» في رسالته المتقدمة ما دل على تأخر إسلام أبي بكر وعمر وغيرهما سنوات عديدة عن إسلام أهل البيت «عليهم السلام»، وبني هاشم، والمطلبيين، وهذا يبطل ما يدَّعونه، من أن أبا بكر كان أول أو من أوائل من أسلم..

قال «عليه السلام»: «إن محمداً «صلى الله عليه وآله» لما دعى إلى الإيمان بالله والتوحيد، كنا أهل البيت أول من آمن به، وصدق بما جاء به. فلبثنا أحوالاً مجرَّمة، وما يعبد الله في رَبْعٍ ساكن من العرب غيرنا.

فأراد قومنا قتل نبينا، واجتياح أصلنا، وهموا بنا الهموم، وفعلوا بنا الأفاعيل، فمنعونا الميرة، وأمسكوا عنا العذب، وأحلسوا الخوف، وجعلوا علينا الأرصاد والعيون، واضطرونا إلى جبل وعر، وأوقدوا لنا نار الحرب، وكتبوا علينا بينهم كتاباً لا يواكلونا، ولا يشاربونا، ولا يناكحونا، ولا يبايعونا، ولا نأمن فيهم حتى ندفع النبي «صلى الله عليه وآله» فيقتلونه ويمثلوا به.

فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم، فعزم الله لنا على منعه، والذب عن حوزته، والرمي من وراء حرمته، والقيام بأسيافنا دونه في ساعات الخوف والليل والنهار. فمؤمننا يرجو بذلك الثواب، وكافرنا يحامى به عن الأصل.

فأما من أسلم من قريش بعد، فإنهم مما نحن فيه أخلياء».

فقد تضمنت هذه الفقرات ما يلي:

أولاً: إن أهل البيت هم أول من أسلم، فلا صحة لما يقال عن تقدم إسلام أبي بكر، أو غيره من قريش، أو غيرهم من العرب..

ثانياً: إن أهل البيت حين أسلموا لم يتبعهم غيرهم بسرعة، بل بقوا سنين كاملة، وما يعبد الله في رَبْعٍ ساكن من العرب غيرهم..

ثالثاً: إن مبادأة قريش لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بالعداء والمنابذة.. وكتاب صحيفة المقاطعة إنما كان قبل أن يسلم أحد من العرب، ومن قريش غير أهل البيت..

رابعاً: إن من أسلم من قريش لم يتعرض للتعذيب والأذى، لأنهم كانوا قد منعوا بقبائلهم، وبحلفائهم.

ولعل إسلام بعض القرشيين قد بدأ قبيل الهجرة إلى الحبشة، أي في السنة الرابعة، أو أوائل الخامسة من البعثة.. وتكون كتابة صحيفة المقاطعة قد حصلت في مثل هذا الوقت، لكن الحصر في الشعب قد تأخر إلى السنة السادسة. أما مواجهة النبي «صلى الله عليه وآله» بالأذى فكانت قبل الحصر في الشعب بسنوات كثيرة.. وربما بدأت في أول سنة البعثة..

ومهما يكن من أمر، فإنه قد أسلم من الناس جماعة بصورة سريعة ومتتابعة، فهاجروا إلى الحبشة، ثم أسلم آخرون بعد هجرة هؤلاء، ومنهم: أبو بكر ونظراؤه. فإنه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً بعد الهجرة إلى الحبشة كما دلت رواية الطبري، وسائر

القرائن.

الثناء على أبي بكر وعمر:

وفي الرسالة المتقدمة: أنه «عليه السلام» كتب لمعاوية: «فكان أفضلهم ـ زعمت ـ في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله، وخليفة الخليفة.

ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد، رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء».

ونقول:

ويبدو لنا: أن هذا الكلام لم يسلم من الدس والتزوير، ونحن نوجز ما نرمي إليه، فيما يلي:

في الكلام اضطراب!:

إن ملاحظة سياق هذا الكلام يعطي أنه غير منسجم في ظاهر الأمر، بل يحتاج إلى بعض التصرف والتأويل، ليصبح معقولاً ومقبولاً..

والسبب في ذلك: أن كلمة «زعمت»، التي جاءت كجملة إعتراضية تشير إلى أنه «عليه السلام» لا يريد أن يتعرض لتأكيد أو تفنيد هذا الزعم الذي أطلقه معاوية في حق الشيخين: أبي بكر، وعمر. بل هو يريد أن يشير إلى شكه فيه، وعدم ثبوته عنده، ولكنه يرغب في السكوت عنه، ويجعل عهدته على مدَّعيه..

ولكن قوله:

«ولعمري إن مكانهما في الإسلام لعظيم الخ..» قد يوهم أنه لا يمانع في صحة ما ادَّعاه معاوية لهما.

لكن هذا الوهم لا بد أن يتلاشى، حين يلاحظ: أن كلمة «زعمت» إنما يراد بها التشكيك بدعوى معاوية أفضليتهما في الإسلام..

وما أكده «عليه السلام» بقوله: «ولعمري»، فإنما يراد به إثبات أن لهما مكانة عظيمة في الإسلام، وأن المصاب بهما جرح شديد في الإسلام.. والمكانة في المجتمع الإسلامي شيء، والفضل في الإسلام شيء آخر.

فإن المكانة قد يكون سببها أموراً إجتماعية أخرى مثل: النفوذ، والسلطة، والسياسة، والكرم، والفروسية، وأشياء أخرى.

والفضل مقوماته: العلم، والتقوى، والجهاد، والتضحيات، والخصال النفسانية الحميدة، وما إلى ذلك.

وقد تجتمع المكانة العظيمة، وقد يفترقان.. وبذلك يكون «عليه السلام» قد سكت عن الأفضلية لهما، ولكنه أيَّد أن لهما مكانة عظيمة.

وبذلك تنسجم الفقرات، ويرتفع التنافي والتنافر المدَّعى.

الكلام يخالف الواقع:

ومع غض النظر عما تقدم نقول:

لو كان «عليه السلام» بصدد الإعتراف بأفضلية أبي بكر وعمر،

فإن هذا الثناء سيكون مخالفاً لما زخرت به النصوص المنقولة عنه في ضد ذلك، فإنها مجمعة على أنه لم يكن يرى أنهما يستحقان ما ينسب إليهما من فضائل ومقامات..

فهل بدَّل رأيه هذا فيهما الآن؟! أم أن في الأمر سراً لم نعرفه بعد؟!

إن الحقيقة هي: أنه «عليه السلام» بقي على نفس رأيه الأول من الشيخين، وأنه لم يغير، ولم يبدل.. وقد ذكرنا ما يفيد في معرفة مراده «عليه السلام» من كلامه هنا.. وسيتضح هذا الأمر بصورة أتم فيما يأتي أيضاً.

هل حرِّف هذا النص؟!:

ومن حقنا أن نقول هنا:

إن ثمة ما يشير إلى أن هذا النص قد تعرض لعبث العابثين، وتلاعب المزورين الآثمين..

بيان ذلك:

إن العلامة المجلسي «رحمه الله» قد ذكر هذا الكتاب بصيغة تختلف عن تلك التي أوردها نصر بن مزاحم، وغيره، مصرحاً: بأنه قد جمع نصوص كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» من مصادر مختلفة، ومنهم المنقري نفسه، فقد قال:

«ذكر الرضي «رضي الله عنه» هكذا المكتوب بإسقاطٍ كثير،

وزاد في آخره بعض الفقرات من مكتوب آخر سيأتي في محله، ورواه ابن ميثم أيضاً نحواً مما روينا عن ابن أبي الحديد، ووجدناه في مواضع أخر، فجمعنا بين الروايات»(1).

وحين راجعنا النص الذي ذكره المجلسي وابن ميثم البحراني «رحمهما الله» للرسالة التي حملها الخولاني من علي «عليه السلام» إلى معاوية رأينا بينها وبين النص الذي ذكره المنقري في صفينه اختلافاً.

فقد قال ابن مزاحم، ومن تابعه: «فكان أفضلهم ـ زعمت ـ في الإسلام، وأنصحهم لله ورسوله والخليفة، وخليفة الخليفة.

ولعمري، إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد. رحمهما الله وجزاهما بأحسن الجزاء.

وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً الخ..»(2).

لكن النص في البحار هكذا: «فكان أفضلهم ـ كما زعمت ـ في

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص116.

(2) صفين للمنقري ص89 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص73 عن أنساب الأشراف ج2 ص189 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص279 والعقد الفريد ج3 ص107 و (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص29 ونهج السعادة ج4 ص177 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص358 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص477 و 478.

الإسلام، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق، وخليفة الخليفة الفاروق.

ولعمري، ذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والصديق؟! فالصديق من صدق بحقنا وأبطل باطل عدونا!

وما أنت والفاروق؟! فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا. وذكرت أن عثمان الخ..»(1).

أما ابن ميثم وغيره، فقد جمعوا بين العبارتين، قال ابن ميثم: «فكان أفضلهم ـ كما زعمت ـ وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق، وخليفة الخليفة الفاروق.

ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد. يرحمهما الله، وجزاهما بأحسن ما عملا، غير أنك ذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه. وما أنت والصديق؟! فالصديق من صدق بحقنا، وأبطل باطل عدونا! وما أنت والفاروق؟! فالفاروق من فرق بيننا وبين أعدائنا»(2).

وإن كان الكتاب الذي حمله الخولاني هو نفس الكتاب الذي حمله أبو إمامة الباهلي، وهو الذي سنتحدث عنه في فصل مستقل.. فإن أمر

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص110.

(2) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج4 ص362.

التزوير والدس في كلام علي «عليه السلام»، ليصبح كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

وبعدما تقدم نقول:

أما النص الذي أورده في البحار فلا غبار عليه.. وهو الموافق لما عرف عن علي «عليه السلام»، وموقفه من الخلفاء.

أما النص الذي ذكره ابن ميثم «رحمه الله»، فهو أيضاً قابل للإنطباق على النص الذي أورده المجلسي «رحمه الله»، فإن قوله: «إن مكانهما في الإسلام لعظيم»، لا بد أن يفسر بما يناسب ما قبله وما بعده، ولو بأن يقال: أن كلمة «عظيم» ليست متمحضة في الدلالة على العظمة في الفضل والتقوى، وسائر الصفات المحمودة في الدين، بل قد يقصد بها العظمة في أمور أخرى غير ذلك.. فقد وصف رسول الله «صلى الله عليه وآله» كسرى ْ في رسالتيه إليهما بعظيم الروم، وعظيم فارس.

ويقصد بهذا الوصف عظمتها في السلطان، أو بغيره من الشؤون التي تهم الناس في ذلك المحيط، فقد تعتبر شخصاً عظيماً في فنه الذي برع فيه، أو في صناعته، وحرفته التي أتقنها، أو في العلم الذي تخصص فيه. أو في سياسته أو كياسته، وما إلى ذلك.

وعلى هذا.. فلا مانع من أن يراد بعظمة أبي بكر وعمر في الإسلام: أنهما قد قاما ـ في خلافتهما ـ بأعمال وسياسات عظيمة هائلة، بقيت آثارها العميقة، وستبقى عبر الأزمان والأحقاب، وإلى

يوم القيامة.

ويؤيد ذلك: أن النص في رواية ابن ميثم يقول: «وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد».. بالإضافة إلى الفقرات التي تبعتها، وأكدت على أن صديقية أبي بكر إنما هي لتصديقه بحق أهل البيت الذي اعتدى عليه أبو بكر وعمر، واغتصبهاه بالرغم من معرفتهما به.

وبما ذكرناه يظهر: أن ثمة تصرفاً في الرواية التي اعتمدها نصر بن مزاحم في كتابه صفين، ثم تابعه عليها غيره..

حيث أُقحمت عبارة: «إن مكانهما في الإسلام عظيم» والتي بعدها.. وحذف العبارات الأخرى التي تنسجم مع ما عرف عن أمير المؤمنين «عليه السلام». هذا كله، إن قلنا: إن رواية البحار هي الصحيحة.

وإن كانت الرواية الصحيحة هي رواية ابن ميثم، فيكون التصرف قد اقتصر على حذف العبارات التي تحدثت عن الصديقية والفاروقية وما يراد بهما.

ويشهد لما قلناه: أن الإستدلال على غاصبية أبي بكر وعمر لحق علي «عليه السلام»، لا ينسجم مع الإغراق في الثناء عليهما، على هذا النحو الذي يراد التسويق له، أو الإيحاء به.

معنى الصديق والفاروق:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يظهر أي انزعاج من وصف أبي بكر بالصديق، وعمر بالفاروق.. بل هو قد بين: أن اتصاف أي كان من الناس بهذا الوصف أو ذاك هو من فضائله وكراماته هو وأهل بيته «عليهم السلام».. لأن معنى الصديق هو من صدق بحق بني هاشم وكذب بباطل غيرهم، والفاروق هو من فرق بين بني هاشم وبين أعدائهم.. والنبي «صلى الله عليه وآله» وعلي والحسنان «عليهم السلام» والحمزة، وجعفر وسواهم هم صفوة بني هاشم وهم أصحاب الحق. أما أهل الباطل هم بنو أمية وزعماؤهم، وهم معروفون بعداوتهم لبني هاشم، بما فيهم علي وإخوانه، وأبناؤه، وسائر عشيرته..

وهذا التفسير غير قابل للإنكار، لأنه تفسير واقعي وصحيح.. وهو أيضاً محرج جداً لمعاوية وبني أمية، وسائر مناوئي علي «عليه السلام»، وأهل بيته، لأنه يؤكد فضلهم، ولا يبقى لأصحاب هذه الألقاب ميزة على من سواهم.

على أنه «عليه السلام» لم يكتف بذلك، بل زاد على ذلك دلالة ظاهرة، مع شاهدها، ودليلها الذي لا يمكن تكذيبه ولا تأويله، ولا الريب فيه، وهو: أن أهل البيت هم أول من آمن بالرسول «صلى الله عليه وآله»، وصدق بما جاء به، وقد لبثوا أعواماً كاملة لا يشاركهم غيرهم في عبادة الله.. فما معنى أن يسمى غيرهم بالصديق.

علي × يتجنب الطعن بعثمان:

وقد رأينا أيضاً: أنه «عليه السلام» لم يذكر عثمان بمدح ولا بذم، بل اكتفى بإعطاء ضابطة مقبولة ومعقولة، وغير قابلة للنقاش، ويستطيع كل إنسان أن يستفيد منها في تحديد ذي الفضل والكرامة من غيره.. فجعل «عليه السلام» العمل هو الميزان في القبول والرد. ولكنه أبقى الباب مواربا بالنسبة لعثمان، حين يكتشف الناس أسباب النقمة عليه، حيث أوكله إلى ربه الذي هو رب غفور لمن يتوب إذا كان الذنب لا يتعلق بحقوق الناس، ولم يكن هناك مانع يمنع من مغفرته، كالإختلالات الإعتقادية، التي توصد أبواب المغفرة والرحمة.

أهل البيت لهم النصيب الأوفر:

وبعد أن بيَّن أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن لقبي الصديق والفاروق هما من دلائل فضله، وفضل أهل البيت وسائر المؤمنين من بني هاشم، بين أن هؤلاء الصفوة لهم النصيب الأوفر من الفضائل ومنازل الكرامة، ولم يقتصر على مجرد الدعوى، بل ساق عليها الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة التي لا تبقي عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة..

ولم تكن تلك البراهين والأدلة صعبة المنال، بل معلومة ومفهومة لكل الناس: كبيرهم وصغيرهم، عالمهم وجاهلهم، مؤمنهم وكافرهم..

لأنها مستلة من واقع الأحداث التي امتدت، وتواصلت عبر الأجيال والأقتاب، حتى أصبحت جزأً من التكوين الثقافي للناس بصورة عفوية.

نصيب الأنصار في الخلافة:

وقد ذكر «عليه السلام»: أنه إن كانت قريش قد استحقت الخلافة لمكانها من محمد «صلى الله عليه وآله»، فأهل البيت أحق بالخلافة، لأنهم أولى برسول الله «صلى الله عليه وآله» منها.. وتكون قريش قد ظلمت علياً «عليه السلام» باستيلائها على الخلافة التي هي حقه.

وإن لم تكن الأولوية برسول الله «صلى الله عليه وآله» معياراً في الإستحقاق.. فالأنصار أولى من قريش وسائر العرب بالخلافة، لأنهم آووا ونصروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم.. وليس لقريش ولا لغيرها ما يصح مقارنته بما للأنصار في هذا المجال.

والنتيجة: هي أنه ليس لقريش حق بالخلافة على كلا التقديرين، بل هي إما غاصبة لحق علي وأهل البيت «عليهم السلام»، أو ظالمة للأنصار.. وحيث إن مظلومية الأنصار مرفوضة، فلم يبق إلا أن القول بأن قريشاً قد ظلمت علياً واغتصبت حقه.

ثم إن «عليه السلام» أخرج معاوية من هذه الدائرة، من عدة جهات:

فأولاً: إذا كانت قريش قد ظلمت علياً «عليه السلام»، واستولت

على حقه، فإنه هو الذي يقرر موقفه منها، وقد ذكر أن قد صرف النظر عن مواجهتهما، وترك المطالبة بحقه لأسباب فرضت عليه ذلك.

وأما فيما يرتبط بمؤاخذة الله تعالى للغاصبين، فهو أمر ليس له، ولا يعنيه.

ثانياً: إن لديه اعترافاً من أبي سفيان، وهو أبو معاوية بأنه «عليه السلام» أحق بالخلافة من أبي بكر، وغيره. فما معنى أن يدعي معاوية أنه «عليه السلام» هو الذي حسد الخلفاء، وناوأهم؟!

ثالثاً: لقد صرح «عليه السلام» ـ كما في النص الذي نقلناه عن ابن شهرآشوب ـ بأنه إن كان لأحد حق في الخلافة، فإن معاوية لا يمكن أن يكون له حق فيها، لأنه من الطلقاء.

الفصل الثالث:

وقفات مع نص نـهج البلاغة لرسالة الخولانـي..

إيضاحات للكتاب الوارد في نهج البلاغة:

ونذكر هنا إيضاحات لبعض الكلمات التي وردت في الرسالة، حسب رواية الشريف الرضي، فنقول:

هجر: مدينة في بلاد البحرين.

النضال: المراماة.

المسدد: من يهدي غيره إلى أمر، ويرشده إلى السداد فيه.

الطليق: من أطلق بعد الأسر.

أَرْبِعْ: قف.

الظلع: العرج.

الذرع: بسط اليد.

مج الماء من فيه: ألقاه.

الرمية: الصيد يرمى.

الصنيعة: الحسنة.

الفلج: الفوز.

الشكاة: الشكاية.

ظاهر عاره: أي زائل.

المخشوش: الذي جعل في أنفه خشبة ليقاد بها.

الغضاضة: الذلة والمنقصة.

سنح: اعترض.

أعدى: أشد عدواناً.

المتنصح: المبالغ في النصيحة.

الإستعبار: البكاء.

النكول: التأخر جبناً.

الإرقال: ضرب من السير السريع.

الساطع: المرتفع.

السربال: القميص.

النصال: السيوف.

المعتزلي يسأل والنقيب يجيب:

وهنا كلام جرى بين المعتزلي، وبين النقيب يحيى بن أبي زيد، جدير بأن نورده هنا، فقد قال:

«قلت للنقيب يحيى بن أبي زيد: أرى هذا الجواب منطبقاً على كتاب معاوية الذي بعثه مع أبي مسلم الخولاني إلى علي عليه السلام ، فإن كان هذا هو الجواب، فالجواب الذي ذكره أرباب السيرة وأورده نصر بن مزاحم في كتاب صفين إذن غير صحيح..

وإن كان ذلك الجواب، فهذا الجواب إذن غير صحيح ولا ثابت.

فقال لي: بل كلاهما ثابت مروي، وكلاهما كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» وألفاظه.. ثم أمرني أن أكتب ما يمليه علي، فكتبته.

قال «رحمه الله»: كان معاوية يتسقط علياً، وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر، وأنهما غصباه حقه، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه، والرسالة يبعثها يطلب غرته، لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر، إما مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام، ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم.

فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان، ومالأ على قتله، وأنه قتل طلحة والزبير، وأسر عائشة، وأراق دماء أهل البصرة.

وبقيت خصلة واحدة، وهو أن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر، وينسبهما إلى الظلم، ومخالفة الرسول في أمر الخلافة، وأنهما وثبا عليها غلبة، وغصباه إياها.

فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره، لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين، إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة.

فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني، قصد أن يغضب علياً ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبى بكروأنه أفضل المسلمين، إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبى بكر.

فكان الجواب مجمجماً غير بيِّن، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما، ولا التصريح ببراءتهما، وتارة يترحم عليهما، وتارة يقول: أخذا حقي وقد تركته لهما.

فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزا فيه علياً «عليه السلام» ويستخفاه، ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقبيح حاله، وتهجين مذهبه.

وقال له عمرو: إن علياً رجل نزق تياه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبى بكر وعمر، فاكتب.

فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي أمامة الباهلي، وهو من الصحابة، بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء.

ونسخة الكتاب:

من عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب.

أما بعد، فإن الله تعالى جده اصطفى محمداً «عليه السلام» لرسالته، واختصه بوحيه وتأدية شريعته، فأنقذ به من العماية، وهدى به من الغواية، ثم قبضه إليه رشيداً حميداً، قد بلغ الشرع، ومحق الشرك، وأخمد نار الإفك، فأحسن الله جزاءه، وضاعف عليه نعمه وآلاءه.

ثم إن الله سبحانه اختص محمداً «عليه السلام» بأصحاب أيدوه، وآزروه ونصروه وكانوا كما قال الله سبحانه لهم: **(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**(1).

فكان أفضلهم مرتبة، وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة، الخليفة الأول، الذي جمع الكلمة، ولم الدعوة وقاتل أهل الردة.

ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح، ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين.

ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية.

فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه، عدوت عليه فبغيته الغوائل، ونصبت له المكايد، وضربت له بطن الأمر وظهره، ودسست عليه، وأغريت به، وقعدت حيث استنصرك عن نصره، وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد.

لقد حسدت أبا بكر، والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته.

ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدته، وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده، لأنه قتل قاتل

---

(1) الآية 29 من سورة الفتح.

أبيه.

ثم لم تكن أشد منك حسداً لابن عمك عثمان، نشرت مقابحه، وطويت محاسنه، وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في سيرته، ثم في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك، حتى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد.

وما من هؤلاء إلا من بغيت عليه، وتلكأت في بيعته، حتى حملت إليه قهراً، تساق بخزائم الاقتسار، كما يساق الفحل المخشوش.

ثم نهضت الآن تطلب الخلافة، وقتلة عثمان، خلصاؤك، وسجراؤك، والمحدقون بك، وتلك من أماني النفوس، وضلالات الأهواء.

فدع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا.

فلا بيعه لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولأصحابك عندي إلا السيف.

والذي لا إله إلا هو لأطلبن قتلة عثمان أين كانوا، وحيث كانوا، حتى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله.

فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك وجهادك، فإني وجدت الله سبحانه يقول : **(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ**

اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[1].

ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الإمتنان على السائل يبطل أجر الصدقة، فالإمتنان على الله يبطل أجر الجهاد، ويجعله كـ **(صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**[2].

قال النقيب أبو جعفر : فلما وصل هذا الكتاب إلى علي «عليه السلام» مع أبي أمامة الباهلي، كلم أبا أمامة بنحو مما كلم به أبا مسلم الخولاني، وكتب معه هذا الجواب.

قال النقيب: وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ «الجمل المخشوش» أو «الفحل المخشوش»، لا في الكتاب الواصل مع أبي مسلم، وليس في ذلك هذه اللفظة، وإنما فيه: «حسدت الخلفاء وبغيت عليهم، عرفنا ذلك من نظرك الشزر، وقولك الهجر، وتنفسك الصعداء، وإبطائك عن الخلفاء».

قال: وإنما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين، والمشهور عندهم كتاب أبى مسلم، فيجعلون هذه اللفظة فيه، والصحيح: أنها في كتاب أبي أمامة. ألا تراها عادت في جوابه ولو كانت في كتاب

---

(1) الآية 17 من سورة الحجرات.

(2) الآية 264 من سورة البقرة.

أبى مسلم لعادت في جوابه!

انتهى كلام النقيب أبى جعفر»[1].

المعذبون من قريش:

وقد أشار «عليه السلام» في كتابه المتقدم إلى الذين عذبوا على يد المشركين بمكة، فحددهم بدقة أظهر أن ما يزعمونه من أن أبا بكر وطلحة بن عبيد الله، وسواهما من قريش في جملة المعذبين في الله على يد المشركين..[2]. غير صحيح.

وقد نفى أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا الأمر جملة وتفصيلاً، فهو يقول:

«فأما من أسلم من قريش بعد، فإنهم مما نحن فيه أخلياء، فمنهم حليف ممنوع، أو ذو عشيرة تدافع عنه، فلا يبغيه أحد بمثل ما بغانا به قومنا من التلف، فهم من القتل بمكان نَجْوةٍ وأمن. فكان ذلك ما شاء الله أن يكون، ثم أمر الله رسوله بالهجرة»[3].

---

(1) شرح نهج البلاغة ج15 ص186 - 188.

(2) راجع في ذلك: العثمانية للجاحظ ص27 و 28 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص253 والسيرة النبوية لابن هشام ج1 ص301 ونسب قريش لمصعب الزبيري ص230 والبداية والنهاية ج3 ص29 والمستدرك للحاكم ج3 ص369 والبدء والتاريخ ج5 ص82 والبيهقي.

(3) مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص31 وبحار الأنوار ج33 ص112 ونهج السعادة ج4 ص179 و 180 وأنساب الأشراف ج2 ص189 و 190 وصفين للمنقري ص90.

ويدل على هذا، ما يقوله أبو جعفر الإسكافي يقول: «فإنا لا نعلم أن العذاب كان واقعاً إلا بعبد أو عسيف (أي أجير)، أو لمن لا عشيرة له تمنعه»[1].

فكيف يعذب أبو بكر إذا كان ـ كما يدعون ـ رئيساً متبعاً، وكبيراً مطاعاً؟![2]. ولا يقطع قومه أمراً دونه. وكان ذا مكانة علية، وصدراً معظماً، ورئيساً في قريش مكرماً[3].

أنصح وأطوع الناس لله ولرسوله:

ثم إنه «عليه السلام» قد أبطل جميع ما ادعاه معاوية من فضائل، وامتيازات لأي من الشخصيات التي كان يهمه أمرها، فقد اعتبر «عليه السلام» عبيدة، وحمزة، وجعفراً، وزيد بن حارثة، بالإضافة إلى نفسه الشريفة أنصح الناس، وأطوعهم لله ولرسوله، وأن لا أحد أصبر منهم على اللأواء والضراء وحين البأس، ومواطن المكروه مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

ومعنى ذلك: أنهم أفضل من كل من ذكرهم معاوية بالاسم أو بالوصف، وادعى لهم فضلاً أو مقاماً أو عملاً صالحاً..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص255 والعثمانية للجاحظ ص311 .
(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص255 والسيرة الحلبية ج1 ص273 والسيرة النبوية لدحلان ج1 ص123.
(3) السيرة النبوية لابن كثير ج1 ص433 والبداية والنهاية ج3 ص26.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد نقض ما يدَّعيه معاوية وحزبه بطريقة هادئة، ومن دون أن يثير حفيظة أحد، ومن دون أن يطعن بأحد، كما أنه قد أورد مقاصده في سياق استدلالي، عن طريق عرض الوقائع التي لا يجهلها أحد..

الحقائق تدفع الأباطيل:

وكانت دعوى معاوية الكاذبة بأنه «عليه السلام» قد حسد الخلفاء قد فتحت الباب للبحث في أمور أساسية ومحورية، حيث أبطل «عليه السلام» ما يدَّعونه للخلفاء من فضائل وكرامات، وما يمنحونهم إياه من أوسمة وامتيازات، وأوضح أن كثيرين غيرهم كانوا أفضل منهم، وأطوع لله، وأنصح لرسوله، وأصبر على المكاره في سبيل هذا الدين، وبين عدم صحة كثير مما يُنْسَبُ لغير أهل البيت في هذا المجال، وبيَّن أن الخلافة هي حقه المغتصب، وأن أهل بيته ما زالوا مظلومين مقهورين، ومعتدى عليهم، وأبطل الأساس الذي يقوم عليه ادعاء الخلفاء الأولين استحقاقهم الخلافة دون الأنصار، وأوضح أنهم كانوا يكيلون بمكيالين.

وشرح أيضاً أسباب سكوته عن مناوأة الذين غصبوا الخلافة منه، وأبطل ما يدعيه معاوية لنفسه، من أنه أهل لمقام الخلافة. حتى إنه استشهد بمواقف أبيه أبي سفيان، التي تؤكد أن الحق لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنه أحق بالخلافة من كل أحد.

ولم ينكر معاوية شيئاً من ذلك كله، ولا شكك فيه، كذلك الحال

بالنسبة لسائر ما أورده «عليه السلام»، وكلها أمور أساسية وحساسة، ومصيرية، لا يمكن لأحد أن يمر عليها مرور الكرام.

البنات ربائب:

بقي أن نشير هنا إلى قوله «عليه السلام»: «وحسبي برسول الله «صلى الله عليه وآله» صهراً، وابنته فاطمة شرفاً وعزاً وفخراً».

فإنه دليل آخر على أن اللتين تزوجهما عثمان لم يكونا بنات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه «عليه السلام» كان يفتخر بذلك على معاوية، باعتباره واجهة لبني أمية وسائر مناوئيه «عليه السلام»..

فلو لم يكن «عليه السلام» متفرداً في هذه الخصوصية لم يصح أن يقول لمعاوية: إن هذه الفضيلة تكفيه شرفاً وعزاً وفضلاً يميزه عن معاوية وسائر من يحاول معاوية أن يدَّعي لهم فضلاً وتقدماً، ولا سيما عثمان الذي كان أموياً، فلو كانت زوجتاه بنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لبادر معاوية إلى إبطال هذه الفضيلة له، وقال له: إن كان زوجتك بنت الرسول، فعثمان قد تزوج بنتين لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا بنتاً واحدة.

وهذا يؤكد الإحتمال الذي يقول: إنهن نسبن إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بالتربية والرعاية.

مع أننا لا نخفي أن من القريب جداً أن يكون للنبي «صلى الله

عليه وآله» بنات باسم رقية وأم كلثوم وقد متن صغاراً.

لا تتدخل فيما لا يغنيك:

وقد ركز الكتاب المتقدم كثيراً على ردع معاوية عن التدخل فيما لا يعنيه، وما لا شأن له به.. وقد أكد «عليه السلام» على هذا الأمر وشرحه بصورة وافية في مختلف المواضع.

ولعل سبب ذلك أمران:

أولهما: أن معاوية قد اعتمد في حركته، وأقام دعوته على التدخل فيما لا يعنيه، والإستناد إلى أمر لا شأن له به، فجعله هو الأساس والمنطلق، ورأس الحربة له لبلوغ أغراضه، ألا وهو موضوع الأخذ بثأر عثمان.. فأراد «عليه السلام» أن يوجه الأنظار إلى هذه الحقيقة، ويبينها للناس ليظهر لهم كيف أن أمر معاوية قد انطلق من نقطة الصفر على أساس البغي، والتجني، ودس أنفه فيما لا شأن له به.

الثاني: إن وسائل معاوية أيضاً، وحتى استدلالاته واحتجاجاته، تعتمد هي الأخرى نفس هذه الطريقة، فهو يستعير فضائل غيره، وينتحلها، ويجعل منها ذريعة لتسويق مشاريعه العدوانية والباغية، ويعتمد هذا الأسلوب في مختلف احتجاجاته، ووسائله..

وقد فضحه أمير المؤمنين «عليه السلام» في رسالته هذه، أيما فضيحة كما يظهر لكل من أمعن النظر في مضامينها، فإنها ركزت

على بيان هذه الخصوصية بالذات في مختلف القضايا..

ونذكر بعض الأمثلة والشواهد على ذلك لكي يتخذ منها القارئ الكريم أنموذجاً، أو فقل: مفتاحاً لفهم سائر الموارد.

المثال الأول:

إن معاوية ذكر لأبي بكر وعمر فضائل اعتبرها من موجبات تقدمهما على أمير المؤمنين «عليه السلام»..

فأجابه «عليه السلام»: بأن هذا التفضيل إن تم، فهو لا يفيدك، لأنه فضل لغيرك، ولست شريكاً لهما فيه، ولا لك نصيب منه.. وإن نقص لم يلحقك عيب ولا نقص بسببه، فما معنى خوضك فيه؟!. إلا إذا كنت تريد إيهام الناس..

المثال الثاني:

لقد قرر «عليه السلام»: أن معاوية ليس من القوم الذين يريد أن يفضل بعضهم ـ كأبي بكر وعمر ـ على البعض الآخر كعلي «عليه السلام»، ولا هو بمنزلتهم. فما معنى أن يحشر نفسه في جملتهم، وأن يجعل نفسه حاكماً وحكماً، وهو ليس أهلاً للحكم ويقرر مراتب ودرجات المهاجرين في الفضل؟!

بل هم الذين يحكمون عليه أو له.. وهذا ما قصده «عليه السلام» بالمثل الذي يقول: «حن قدح ليس منها». وأراده أيضاً بقوله: «وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها».

ثم أشار «عليه السلام» إلى قصور معاوية عن اللحاق بهؤلاء بقوله: «أربع على ظلعك»، فإن الظالع وهو الأعرج لا يلحق غير الأعرج..

ثم ترقى إلى ما هو أشد وهو إثبات عجزه عن ذلك، فقال: «وتعرف قصور ذرعك»..

ثم أكد ذلك ورسخه بقوله: «وتتأخر حيث أخرك القدر..».

وذلك كله يدل على أن معاوية يتعاطى ما ليس له، ويتدخل فيما لا يعنيه، ليسخره في الوصول إلى مقاصده غير المشروعة..

المثال الثالث:

ثم ذكر «عليه السلام»: أن من الطبيعي أن المتنازعين إذا غلب أحدهما على صاحبه، فإن الغالب هو الذي ينتفع بغلبته والمغلوب هو الذي يعاني من غلبة خصمه. وليس لغيرهما في هذا الأمر وزر ولا أجر.

ولكن معاوية يحشر أنفه، ويدخل نفسه في مثل هذا الأمر، الذي لا يعنيه، ويحاول أن يستفيد منه لمصلحته، حتى كان تصرفاً سفهياً، لا يرضاه العقلاء لأنفسهم.

المثال الرابع:

وحديث معاوية عن بغي علي «عليه السلام» على الخلفاء، هو الآخر تدخُّل في شأن لا يعنيه، لأن هذه الدعوى إن كانت صادقة،

فليست الجناية فيها على معاوية ليعتذر علي له منها، وإن كانت كاذبة فهي فضيحة جرها معاوية لنفسه.

المثال الخامس:

قوله: إن علياً «عليه السلام» كان يقاد إلى البيعة كالجمل المخشوش، تدخّل فيما لا يعنيه، ولا يثبت حقاً..

وإنما أراد معاوية من ذكر هذا الأمر مجرد الأذى لعلي «عليه السلام» والتنفيس عن حقده الشخصي عليه..

ولم يفقه معاوية أن حصول هذا الأمر ليس قدحاً في علي «عليه السلام»، وإنما هو مدح له، وثناء عليه..

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على قصر نظر معاوية، وسوء فهمه للأمور.

والوجه في اعتباره هذا مدحاً وثناء: أن الإنسان الفاضل والكامل إذا اعتدى عليه معتدٍ، وظُلم وأُخذ حقه، فإن ذلك لا ينقص من كماله، ولا يذهب بفضله ونبله، بل الظالم هو المهان والمذموم، والمظلوم هو الممدوح المثاب على صبره، الذي يتمنى كل ذي لب أن يعينه على أمره.. ولا سيما إذا عظم بلاؤه، واشتدت محنته، ثم صبر، ولم يفرط بما يجب عليه..

ولذا قال «عليه السلام»: «وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً.. إلى قوله: بيقينه».

ثم إنه بعد أن أثبت «عليه السلام» أن معاوية لا يعرف المدح من الذم.. بل يتدخل فيما لا يعينه لمقاصد شريرة.. عقَّب على ذلك بالجواب على سؤال مبطنٍ مفاده: إنه إذا كان الأمر كذلك، فقد كان يفترض أن يكتفي «عليه السلام» بالقول لمعاوية: إن هذا الأمر لا يعنيك.. بل هو بيني وبين غيرك، فلا تتدخل فيها.. فلماذا صار يستدل على مظلوميته، ويشرحها له؟!

فأجاب «عليه السلام»: بأنني إنما أستدل بهذه الحجة على الذين ظلموني..

وإنما ذكرتها لك، لأن الحاجة دعت إلى ذلك.. فذكرت منها ما اقتضاه المقام.

علي × ناصر، ومعاوية خاذل:

وبعد ما تقدم نقول:

1 - إنه «عليه السلام» بعد أن أفاض في بيان تدخلات معاوية فيما لا يعنيه، وبعد أن لامه أشد اللوم على اتباعه هذه الطريقة السيئة.. ختم كلامه بإعطاء معاوية الحق في أن يجاب على ما ادعاه عليه في أمر عثمان، من أنه ألب عليه، وخذله، وذلك لأجل رحم معاوية من عثمان..

ثم شرع «عليه السلام» في الجواب.. فذكر أن معاوية هو الذي خذل عثمان، وأسلمه إلى القتل، وكان أشد الناس عداوة له، وكان

أهدى (أي أكثر) هداية للناس إلى مقاتل عثمان، حيث كان معاوية يلتمس الحيل ويسعى لتعريف الناس بوجوه قتله ومواضعه.

أما علي «عليه السلام» فقد عمل على الذب عن عثمان، ولكن عثمان هو الذي طلب من علي «عليه السلام» أن يكف عن ذلك، ويقعد في بيته، لأن عثمان كان يتهم علياً «عليه السلام» بالدخول في أمره.

2 ـ إنه «عليه السلام» أشار إلى لزوم التفرقة بين أمرين:

الأول: الإعتراض على المخالفات ورفضها، وطلب تصحيح الأخطاء.

الثاني: تأليب الناس على المخطئ ودعوتهم لقتل المخالف، فالأول مطلوب، بل واجب شرعاً، ولا يعتذر منه فاعله لأحد، ولا يلام عليه، لأنه لا ذنب له.. بخلاف الثاني، فإن له أحكاماً أخرى تختلف باختلاف الأحوال والمقامات..

ما ذنب أبناء الطلقاء؟!:

وقد ورد في كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قوله: «وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم . هيهات، لقد حن قدح ليس منها الخ..».

فيرد على هذا الكلام سؤالان:

أولهما: إن الطليق هو من كان محارباً للإسلام وأهله ثم أسر، وأطلق سراحه إحساناً من النبي «صلى الله عليه وآله»، ولإعطائه فرصة لإصلاح نفسه، وتصحيح مساره..

ومن المقبول والمعقول: أن لا يكون للطليق حق في الخلافة، ولكن لماذا لا يكون لأبناء الطلقاء إذا كانوا صالحين حق بها؟!

الثاني: لماذا لا يحق للطقاء وأبنائهم التمييز بين الناس، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم؟! فإن التمييز ليس مقاماً ولا منصباً. بل هو من شؤون أهل العقل والبصيرة، فإذا كان الطلقاء وأبناؤهم عقلاء، فلماذا لا يسمح لهم باستعمال عقولهم في هذا المجال؟!

ولو كان هناك مانع يمنع الطلقاء من ذلك، وهو محاربتهم للإسلام، وأسرهم، فإن أبناءهم لم يحاربوا ولم يؤسروا وقد قال تعالى: **(وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**(1).

وقبل أن نجيب على هذين السؤالين نشير إلى أن محبي معاوية قد حاولوا الدفاع عنه بما يلي:

أولاً: لقد حاول الواقدي أن يخرج معاوية من الطلقاء، بادِّعاء أنه قد أسلم بعد الحديبية قبل الفتح، وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح،

---

(1) الآية 164 من سورة الأنعام.

وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً(1).

وهذا غير صحيح، فإن معاوية نفسه كان من الطلقاء، كما أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» في كتابه لمعاوية: «ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل»(2).

وصرح ابن ميثم: بأن معاوية كان «طليقاً وابن طليق»(3).

ولو كان معاوية قد أسلم قبل الفتح لكان قد أجاب: بأنني لست من الطلقاء، لأنني أسلمت قبل فتح مكة.

---

(1) الإصابة ج3 ص433 وراجع الاستيعاب (مطبوع مع الإصابة ج3 ص395).

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص17 الكتاب رقم 17 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص117 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص361 وبحار الأنوار ج33 ص105 و 106 و 107 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص228 وج6 ص573 وتذكرة الخواص ص9 وإحقاق الحق (الأصل) ص249 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص50 والغدير ج3 ص254 وج10 ص151 عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري باب 66، وعن مروج الذهب. وراجع أيضاً: المناقب للخوارزمي ص180 وصفين للمنقري ص471 ومروج الذهب ج3 ص22 و23 والإمامة والسياسة ص117 و188 والفتوح لابن أعثم ج3 ص260 و (ط دار الأضواء) ج2 ص155.

(3) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج4 ص391.

ثانياً: رووا في الخبر الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج: فعلناه وهذا يومئذٍ كافر(1).

ثالثاً: روى محمد بن سعد عن معاوية نفسه: أنه كان يقول: «لقد أسلمت قبل عمرة القضية، ولكني كنت أخاف أن أخرج إلى المدينة، لأن أمي كانت تقول: إن خرجت قطعنا عنك القوت»(2).

وهذا من المضحكات، فإن عمر معاوية كان في عمرة القضاء ما بين خمس وعشرين وخمس وثلاثين سنة.. فما معنى أن يخضع لتهديد أمه له بقطع القوت عنه؟! ألم يكن رجلاً قادراً على كسب قوته بنفسه؟! وهل كانت أمه هي التي تنفق عليه إلى هذا السن؟!

ولماذا لا يتأسى معاوية بمن هاجر من المسلمين إلى الحبشة، وبمن هاجر إلى المدينة. فيكون حاله حالهم؟! هل كان أحد يرسل إليهم

(1) الإصابة ج3 ص433 و (ط دار الكتب العلمية) ج6 ص120 وراجع: مسند أحمد ج1 ص181 وصحيح مسلم ج4 ص47 والسنن الكبرى للبيهقي ج5 ص17 وشرح مسلم للنووي ج8 ص204 وفتح الباري ج3 ص451 وعمدة القاري ج9 ص199 وتحفة الأحوذي ج3 ص470 ومسند سعد بن أبي وقاص ص204 ومعرفة السنن والآثار ج3 ص522 وتهذيب الكمال ج23 ص123 و 124 والبداية والنهاية ج5 ص145 و 153 و 159 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص250 و 267 و 279.

(2) الإصابة ج3 ص433 و (ط دار الكتب العلمية) ج6 ص121 وتهذيب الكمال ج28 ص177 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص57.

بالقوت من مكة إلى الحبشة، أو إلى المدينة؟!

وبعد ما تقدم نقول:

إننا نجيب على السؤالين المتقدمين بجواب واحد، وهو كما يلي:

إن من عاش شطراً كبيراً من عمره منغمساً في الرذيلة، محارباً للحق والفضيلة، ساعياً إلى إطفاء نور الله، محارباً لله ولرسوله..

ثم أظهر الإسلام مرغماً مستسلماً، لا طائعاً مسلماً، ولم تظهر منه بعد إظهاره الإسلام أية رغبة في تزكية نفسه، وتطهيرها، ولا تفقه في دين الله، ولا عاش معنى الطهر والتقوى، ولا ظهرت عليه سيماء الصالحين، ولا تحلى بحلية العارفين، كيف يمكن أن ينصب نفسه حكماً، وقاضياً، ومفاضلاً بين اتباع هذا الأمر الذي رغب عنه، ولم يندمج فيه، ولا عاشه، ولا نال من معارفه قليلاً ولا كثيراً؟!

ولأجل ذلك صرح «عليه السلام» باستحقاره له، ووقوفه على صغر شأنه، وقلة حيلته، وإفلاسه وقصوره عن نيل هذه الأمور الكبيرة والخطيرة..

هل دافع علي × عن السلف؟!:

وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنه ليس لمعاوية أن يميز بين المهاجرين الأولين، وترتيب طبقاتهم، وتعريف درجاتهم..

فزعم المعتزلي: أن «هذا ينقض ما يقول من يطعن في السلف، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنكر على معاوية تعرضه

بالمفاضلة بين أعلام المهاجرين، ولم يذكر معاوية إلا للمفاضلة بينه «عليه السلام» وبين أبي بكر وعمر..

فشهادة أمير المؤمنين «عليه السلام» بأنهما من المهاجرين الأولين، ومن ذوي الدرجات والطبقات التي اشتبه الحال بينهما وبينه «عليه السلام» في أي الرجال منهم أفضل. وأن قدر معاوية يصغر حين يدخل نفسه في مثل ذلك شهادة قاطعة على علو شأنهما، وعظم منزلتهما»(1).

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق لما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» لم يكن بصدد إثبات المنازل ونفيها لأحد من الصحابة، ولا كان بصدد تصحيح ما قاله معاوية في ذلك أو تخطئته.. بل كان يريد أن يقول لمعاوية:

لا تدخل في أمر لا يعنيك، فإنك لست من فرسان هذا الميدان، فإنك طليق ابن طليق، فهذه المنقصة متأصلة فيك، إلى حد أنها تقعدك عن التصدي لهذا الأمر، لا نفياً ولا إثباتاً، ولا إمضاء..

ثانياً: إن المعتزلي نفسه قد نقل عن شيخه النقيب يحيى بن أبي زيد: أن مقصود معاوية كان إثارة حفيظة أمير المؤمنين «عليه السلام» ليقول في أبي بكر وعمر ما يعتقده فيهما، ويسجله في كتابه،

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص191.

ليجعله وسيلة لتحريض أهل الشام وأهل العراق عليه «سلام الله تعالى عليه».

ولكن علياً «عليه السلام» كان يعرف ما يريده معاوية، فأورد كلامه في الكتاب مجمجماً، ليس فيه تصريح بذم ولا بمدح..

ثالثاً: إن غاية ما ورد في كلامه «عليه السلام» هو أن المهاجرين الأولين كانوا طبقات ودرجات، ولم يدخل في تفصيل ذلك، ولم يقل فلان من هذه الطبقة أو من تلك.. وتبدأ الدرجات من أدناها، وهي مجرد الهجرة.. وربما كانت لأهداف ليست ذات قيمة.. ثم تترقى درجاتها الأعلى فالأعلى إلى أن تصل إلى أعظم غاياتها وأقصى نهاياتها..

ولعل الطبقة العليا هم من أمثال جعفر بن أبي طالب، وحمزة، وسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، ونظائرهم المتفق على عظمتهم وجلالتهم.. أما من يختلف فيهم المسلمون فلعلهم في درجات أدنى..

رابعاً: روي أن رجلين خرجا من الحمام متدهنين، فقال علي «عليه السلام» لهما: من أنتما؟!

قالا: من المهاجرين.

قال: كذبتما إنما المهاجر عمار بن ياسر[1].

---

(1) حلية الأولياء ج1 ص141.

وفي المهاجرين من قال له رسول الله: سلمان منا أهل البيت(1).

---

(1) راجع: أسد الغابة ج2 ص331 وتهذيب تاريخ دمشق ج6 ص200 وتاريخ مدينة دمشق وج21 ص408 وعيون أخبار الرضا ج1 ص70 والغارات للثقفي ج2 ص823 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج1 ص221 وج2 ص384 والسيرة النبوية لابن هشام ج1 ص46 وج3 ص708 والسيرة النبوية لابن كثير ج1 ص49 وج3 ص192 وج4 ص626 وفضل آل البيت للمقريزي ص86 وشرح الأخبار ج3 ص14 ودلائل الإمامة ص140 والإحتجاج ج1 ص387 وتهذيب الكمال ج11 ص251 وسير أعلام النبلاء ج1 ص540 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص235 وفتوح الشام للواقدي ج2 ص204 واليقين لابن طاووس ص477 والمحتضر للحلي ص117 وبحار الأنوار ج10 ص123 وج17 ص170 وج18 ص19 وج20 ص189 وج22 ص326 و 330 و 348 و 374 و 385 وج30 ص223 وج37 ص331 وج65 ص55 وكتاب الأربعين للماحوزي ص341 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص75 وإمتاع الأسماع ج1 ص226 وج13 ص291 والبداية والنهاية ج2 ص226 وج4 ص114 وج5 ص338 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص128 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص495 والمستدرك للحاكم ج3 ص598 ومجمع الزوائد ج6 ص130 والمعجم الكبير ج6 ص213 والدرر لابن عبد البر ص170 والجامع الصغير ج2 ص52 وكنز العمال ج11 ص690 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص147 وفيض القدير ج4 ص140 وكشف الخفاء ج1 ص459 والتفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص121 وجامع البيان ج21 ص162 وتفسير الثعلبي ج3

وفيهم الطيار، وفيهم سيد الشهداء.. وفيهم.. وفيهم..

وعلى كل حال، فإن مفهوم المهاجرين الأولين يتسع لطبقات عديدة، لأن المقصود بهم كما يقول سعيد بن المسيب من صلى إلى

ص40 والجامع لأحكام القرآن ج14 ص129 ودقائق التفسير لابن تيمية ج2 ص256 وأضواء البيان للشنقيطي ج3 ص47 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص60 و 71 وتفسير البغوي ج3 ص510 وموسوعة أحاديث أهل البيت«عليهم السلام» للنجفي ج1 ص369 والإختصاص ص341 ونفس الرحمان (ط حجرية) ص29 و 43 و 34 و 35 و 32 و (ط مؤسسة الآفاق) ص32 و 124 و 127 و 134 و 135 و 137 و 138 و 145 و 179 و 210 و 213 و 217 و 351 و 374 و 585 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص85 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص75 وتفسير فرات الكوفي ص171 ومجمع البيان ج2 ص269 وج8 ص126 والميزان ج16 ص292.

وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص233 والدرجات الرفيعة ص207 و 210 و 218 و أبو هريرة للسيد شرف الدين ص195 والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج4 ق1 ص59 و (ط دار صادر) ج4 ص83 وج7 ص319 وأسد الغابة ج2 ص331 وذكر أخبار أصبهان ج1 ص54 وطبقات المحدثين بأصبهان ج1 ص203 و 204 و 205 والكامل في التاريخ ج2 ص179 وقاموس الرجال ج4 ص424 والوافي بالوفيات ج15 ص192 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص397 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص634 وينابيع المودة ج2 ص93.

القبلتين(1).

أما الشعبي، فيقول: المراد بهم من أدرك بيعة الرضوان(2).

للتضحيات مراتب وإن اتحدت شكلاً:

وقد بين «عليه السلام» هنا: حقيقة مهمة، وهي أن الأعمال قد تتوافق من الناحية العملية بحسب الظاهر.. فهذا شهيد، وذاك شهيد، وهذا قطعت يده في سبيل الله، وذاك قطعت يده في سبيل الله، وهذا ضَرَب بسيفه في سبيل الله، وذاك كذلك.. وهكذا..

ولكنها تختلف في قيمتها وفي أهميتها وعظمتها، فقد استشهد كثيرون من المسلمين، ولكن حمزة كان سيد الشهداء، وقطعت أيد كثيرة في سبيل الله أيضاً.. ولكن يدي جعفر صارتا جانحين له يطير بهما في الجنة..

وكثيرون أيضاً ضربوا بسيفهم في سبيل الله، ولكن ضربة علي «عليه السلام» يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين: الأنس والجن، إلى يوم القيامة..

وما ذلك إلا لأن وراء هذه الشهادة، والضربة والتضحية باليدين في سبيل الله نفحات روحية، ومعارف إلهية، ووعياً، وتوهجاً،

(1) المعارف لابن قتيبة ص572.

(2) المصدر السابق.

وانصهاراً وفناء في الله لم يوجد في سائر الموارد..

وبذلك يظهر: أنه حتى لو كانت لغيرهم «عليهم السلام» فضائل، فإنه ليس لمعاوية أن يقرر أنها كانت توجب امتيازاً لهم أو لا توجب، لأنه ليس أهلاً لذلك، بل هو عاجز وقاصر عن إدراكه، ولا يعرف المعايير التي يجب الإستفادة منها في التفضيل وعدمه، وفي التقديم والتأخير..

جاهليتنا لا تدفع:

وأما قوله «عليه السلام»: «وجاهليتنا لا تدفع»، فإنما يريد به أن التزام بني هاشم بمكارم الأخلاق، وتحليهم بالمزايا الحميدة، وترفعهم عن الموبقات في الجاهلية وتميزهم بذلك عمن سواهم ظاهر للناس، ولا يمكن النقاش ولا الجدال فيه.

فإن حاول البعض التجني عليهم، وإنكار فضائلهم، وسلبهم حقهم في الخلافة، أو في غيرها.. فالقرآن يؤكد لهم حقهم فيها وفي ما سواها، ثم استدل «عليه السلام» على هذا الحق الثابت لهم بالخلافة بعدة أدلة هي:

آية أولي الأرحام:

استدل «عليه السلام» على معاوية على حقه بالخلافة بما يفهمه معاوية، ومن هم على شاكلته ممن يستدلون بمنطق القبيلة، والإرث، فذكر: أن قوله تعالى: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ

اللهِ)[1] يدل على أن أولي الأرحام هم الذين يهمهم حفظ ما يهتم رئيسهم الذي هو منهم بحفظه، ودفع العوادي عنه، سواء أكان إرثاً مالياً، أو كان مكرمة من مكارمه، أو تراثاً إيمانياً وأخلاقياً، أو شأناً عاماً، كما أن أولي الأرحام هم أعرف الناس بمرادات ذي رحمهم، وأحرص الناس عليها. وأخلص الناس له ولها..

أما البعداء، ولا سيما الذين يحسدونه ويناوؤونه، ويحاولون أن ينافسوه، ومن يسعون في إبطال أمره، وتقويض جهوده، ومن حاربوه سنوات طوال لإفساد ما جاء به، فإنهم لن يكون لهم حق في شيء من ذلك.. فإن استولوا على شيء منه، فإنه يكون على سبيل العدوان والتجني. ولكن العدوان لا يجعل الحق باطلاً والباطل حقاً..

وهذا استدلال إلزامي لمعاوية وجميع مناوئي علي «عليه السلام».

أولى الناس بإبراهيم

ثم استدل أيضاً على أن الحق له «عليه السلام» دون كل من عداه، بآية: (**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**)[2]، فإن علياً «عليه السلام» أول من آمن برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأطاعه في أمره كله، وكان يتبعه

(1) الآية 6 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 68 من سورة آل عمران.

اتباع الفصيل أثر أمه، وهو أفضل من أخذ عنه، ودافع وناضل عن دينه ومبادئه، فهو أولى بمقامه ممن لم يكن كذلك.. بل حاربه، وعاداه، ولم يخضع لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا بعد أن عجز عن القيام بأي عمل غير الإستسلام..

وهذا دليل إلزامي أيضاً، كسابقه.

دليل الإلزام:

ثم استدل «عليه السلام» ثالثاً بدليل إلزامي، مفاده: أن أبا بكر وعمر احتجا على الأنصار: بأنهم أحق منهم بالخلافة، لأنهم من شجرة النبي «صلى الله عليه وآله».. فإن كانت الأقربية منه «صلى الله عليه وآله» هي السبب في استحقاق أبي بكر للخلافة، فالحق بها لعلي «عليه السلام» وليس لأبي بكر، لأن علياً «عليه السلام» أقرب إلى الرسول «صلى الله عليه وآله» منه.

وإن كان هناك سبب غير الأقربية، إستحق به أبو بكر مقام الخلافة، فأبو بكر لم يذكره.

وقد بقيت حجة الأنصار، وهي قولهم: منا أمير ومنكم أمير عل حالها.. لأن الأنصار هم الذين آووا ونصروا الدين، والمهاجرون خرجوا من بلادهم هرباً بدينهم، فإن كان الإيواء والنصر، لا يوجب استحقاق الخلافة، فالهجرة وحدها ليست كافية في هذا الإستحقاق أيضاً..

وإذا كانت حجة الأنصار باقية، فلماذا سلب المهاجرون الخلافة

الفصل الرابع:

رسائل معاوية ترهات وأباطيل..

تحريض معاوية على القتال:

وبعد أن ذكر ابن أعثم مراسلات معاوية لابن مسلمة، وابن عمر، وسعد.. قال:

فعندها قام معاوية في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! قد علمتم أن خليفتكم عثمان بن عفان قتل مظلوماً، وقد جعل الله لمن قتل مظلوماً ولياً وناصراً، وجعل لوليه سلطاناً. وأنا وليه، استعملني ولم يعزلني، وأنتم أهل الحق، والناس سواكم أهل فتنة وباطل، من بين باسط يديه في دم عثمان، أو معين عليه.

وقد قام بأمور الناس أبغض الناس إليه علي بن أبي طالب.

ولنخوضن إليه حومات الموت، ثم لنقدحن لكم من زندة شرره، لا يثبت لها شيء إلا أحرقته.

وقد علمتم أني لا أضبط الشام إلا بالطاعة، ولا أقوى على حرب أهل العراق إلا بالصبر، وأنتم عازمون على أن تحرزوا الشام

والعراق.

لعمري ما للشام كرجال العراق، ولا للعراق كصبر أهل الشام! والقوم لا قوم (لعل الصحيح: لا توهم) غداً ببصائر أهل الحجاز، ورقة أهل اليمن، وقسوة أهل البصرة، وكيد أهل الكوفة، وإنما يصبر غداً من قرأ هذه الآية: **(اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)**(1).

قال: فوثب أبو الأعور السلمي، فقال: يا معاوية! إنك والله ما تستطيع أن تضرب الناس بمثل ما يضربهم علي بن أبي طالب! ولا يرجعون من أمرك إلى ما يرجعون إليه من علي، وإنك لتحملنا على أمر لو تركته لحملناك عليه، ونحن على بيعة الخليفة عثمان بن عفان، وأنت وليه وابن عمه، وعلي عدوه وخاذله، فنحن معك عليه ـ والسلام ـ.

قال: ثم وثب ذو الكلاع الحميري فقال: يا معاوية! إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان استعملك فلم توف له، واستنصرك فلم تنصره، وأردت أن تصرف وجوه الناس إليك، فقد بلغت الذي أردت. والله! لو خذلتك العرب قاطبة لكفيتك خذلانها بقومي وعشيرتي ـ والسلام ـ.

قال: ثم تكلم حوشب ذو الظليم فقال: يا معاوية! لقد علمت العرب

(1) الآية 153 من سورة البقرة.

أننا أهل فعال، ولسنا بأهل مقال، وأن عظيم فعالنا يأتي على قليل مقالنا. والامر لك ولمن شئت من بعدك ـ والسلام ـ.

ثم تكلم سعد بن وخاطة الحميري، فقال: يا سبحان الله! أما من رجل يقدم رضا الله عز وجل على رضا الناس؟!

ويحكم يا أهل الشام! أما علمتم أن أهل الحجاز هم الحكام على جميع الناس، لمكانهم من الهجرة، والجهاد في سبيل الله بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وإن كان في أيديكم مثل ما في أيديهم فكانوا هم (لعل الصحيح: فكلموهم) في الأمر، وأشركوهم في المشورة، فإن الله لا يستحيي من الحق، ثم أنشأ أبياتاً يقول مطلعها:

قل لقوم يرون حرب علي احرزوا الشام لا تروموا العراقا

وقال في الهامش: في د بدلها:

إن دون الذي ترون من المو ت طعان الكلى، وكأساً دهاقا
ونزالاً لمن أراد نزالاً وعناقاً لمن أراد العناقا
يا ابن هند دع التوثب في القو ل فحرب العراق يشجي العراق
اترك القوم في الديار يناموا إن في الشام فتنة ونفاقا
يلقك العام في العجاج علي يقحم القلب بالقداح العناقا
واضع السيف فوق عاتقه الأ يمن، فانظر هل تثبت فواقا؟

ثم نادى إليه في الرهج رجا لاً لم ينقضوا الميثاقا
فهناك الغداة محترم التنا س وكأساً من المنون زعاقا

قال: فلما سمع معاوية شعره أمر به، فلبب، وخنق، وشتم، وسحب، وهمَّ بقتله، فقاموا واستوهبوه من معاوية، فلحق الفتى بالعراق، وصار إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»(1).

معاوية يدَّعي استحقاق الخلافة:

قال: ثم أقبل معاوية على أصحابه فقال: يا هؤلاء! أخبروني بماذا صار علي بن أبي طالب أولى بهذا الأمر مني؟!

والله! إني لكاتب رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد كانت أختي تحت رسول الله «صلى الله عليه وآله». وإني لعامل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. وأمي هند بنت عتبة بن ربيعة، وأبي أبو سفيان بن حرب.

وإن كان قد بايعه أهل الحجاز وأهل العراق فقد بايعني أهل الشام، وإن هؤلاء في الأمر سواء.

ومن غلب على شيء فهو له.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص425 - 428 و(ط دار الأضواء) ج2 ص528 - 533.

قال: وانصرف معاوية إلى منزله، فلما أصبح إذا برقعة موضوعة على بساطه فيها أبيات من الشعر، مطلعها:

معـاوي لله مــن خـلـقـــه عبـــاد قـلــوبـهــم قـاسـيـــه
وقلبك من شر تلـك الـقـلـوب وليس المطيعـة كالـعـاصـيـــه

وقال في الهامش: في د مكانها:

دع ابــن خـديـج ودع حـوشـبـا وذا كـلـــع واقـبـــل الـعـافـيـــة
وبـايـــع عـلـيـاً فـــإن الـــذي تـحـــاولـــه حـبـة قـاصـيـة
فـإن عـلـيـــاً لـــه فضلـــه ويـكـفـيـك مــن خـطـة شـافـيـة
وإن عــلـيـــاً لـــه صـــولـــة لـهـا تـفْـرَقُ الـلـبـوة الـغـابـيـة
أردت الـخـلافـة مـــن دونـــه وغـــرتـــك أكـلـبـك الـعاويـــة
وأنـــت طـلـيـق فـلا تـرجـهـا وتـهـوي (كـذا) فـي الـهـاويـة
وإن تـك شورى إلى المسـلـمـين فـأنت مـنـحى بـهـا نـاحـيـــة(1)

ثم ذكر أن معاوية دعا بكتاب وكتب إلى علي «عليه السلام» الكتاب الذي ذيَّله بأبيات كعب بن جعيل.. فأجابه «عليه السلام» على كتابه هذا.

وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب.

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص428 و 429 و (ط دار الأضواء) ج2 ص533.

معاوية ليس ولي عثمان:

لا معنى لتنصيب معاوية نفسه ولياً لعثمان، فإن أولياء عثمان هم أبناؤه. وأمير المؤمنين «عليه السلام» هو الولي لكل أحد، كما نص عليه القرآن العظيم، والرسول الكريم «صلى الله عليه وآله».

أما فيما يرتبط بما يثيره بنو أمية عن مظلومية عثمان فهذا أمر آخر.. غير أن من الواضح: أن الصحابة من المهاجرين والأنصار هم الذين حضروا قتله، وهم كانوا أعرف من معاوية بهذا الأمر.. فلا بد من الرجوع إليهم، وأخذ هذا الأمر منهم وعنهم.

استعملني ولم يعزلني:

ومن المضحك المبكي: استدلال معاوية على أنه ولي عثمان: بأنه استعمله ولم يعزله، فإن هذا الأمر. أعني مجرد عدم عزله إلى أن مات عثمان لا يعطي ولاية لمعاوية، ولا يجعل له شرعية، ولا ينشئ له ولاية لدم عثمان.

والشاهد على ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استشهد، وكان له عمال منصوبون من قبله يتولون أعمالاً، ومنهم من يتولى جباية الصدقات ـ كأبي سفيان ـ ولم يعطهم موته «صلى الله عليه وآله» ولاية، ولا يجعل لهم قتله بالسم حقاً بمنصب ولا مقام.

كما أن عمر بن الخطاب قد مات، وكان له ولاة على البلاد، فلم يجعل ذلك لهم حقاً، ولا صاروا أولياء دمه.. بل كان أولياء دمه أبناؤه.

من هم أهل الفتنة؟!:

وقد ذكر معاوية لأهل الشام: أنهم هم أهل الحق، وكل من عداهم من الناس هم أهل فتنة وباطل، ويقصد بأهل الفتنة والباطل: صحابة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بما فيهم كبار المهاجرين والأنصار.

وبهذا يكون معاوية قد خالف ما أجمعت عليه الأمة في شأن الصحابة، فإن الشيعة يرون أن من ظهرت منه المخالفة والمعصية من الصحابة هو الذي يجوز توجيه الطعن إليه بخصوص ما ظهر منه.. أما من ظهر بره واستقامته وتقواه، أو صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام المعصوم بتزكيته والثناء عليه، وكذلك من كان مستور الحال، فلا يجوز الطعن فيه، سواء أكان صحابياً أو غير صحابي.. وهذا ما ذهب إليه بعض أهل السنة أيضاً.

ولكن أكثر علماء أهل السنة قد حكموا بعدالة جميع الصحابة، وكل من رأى النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان مسلماً مميزاً..

أما معاوية فهو يدَّعي أن أهل الشام هم أهل الحق، وكل من عداهم أهل فتنة وباطل. كما أنه قد طعن فيهم بسبب الممالأة أو المشاركة في قتل عثمان، وهو أمر غاب هو عنه، وشهدوه.. فهم أعرف به منه، فكيف يسارع إلى رميهم بالفتنة والباطل؟! فكيف إذا كان قد شركهم فيه بنفس المستوى الذي يؤاخذهم عليه..

يضاف إلى ذلك: أن الكثيرين منهم إما آثروا اعتزال أمر عثمان، وعدم التدخل فيه، لا سلباً ولا إيجاباً، أو أنهم كعلي «عليه السلام»، قد تدخلوا في بادئ الأمر، ليحلوا المشكلة، ويمنعوا القتل عن عثمان، ولكن عثمان كان يستجيب له «عليه السلام»، ثم يتراجع.. إلى أن انتهى الأمر به إلى الطلب منه أن لا يتدخل في هذا الأمر.. ورفض أية معونة تأتي من قبله.. فكان لا بد لعلي «عليه السلام» من اعتزاله.

أما معاوية فقد منع الناس الذين جاؤوا لمعونة عثمان من أن يعينوه.. وقد ذكرنا ذلك حين تكلمنا عن قتل عثمان.

وكان معاوية يكيل بمكيالين، فهو من جهة يلوم علياً «عليه السلام» على اعتزاله أمر عثمان، بالرغم من أن هذا الإعتزال قد حصل بطلب من عثمان نفسه.

ثم هو من جهة أخرى يناصر ويحابي، ويؤيد بكل قوة وشدة أولئك الذين أمروا بقتل عثمان، مثل عائشة، أو شاركوا في حصاره وقتله، وتأليب الناس عليه، مثل: طلحة والزبير، ومن كان معهما ومن حزبهما!!

عثمان يبغض علياً ×:

1 - ولا أدري كيف استجاز معاوية أن يتهم عثمان ببغض علي «عليه السلام»، بل هو يقول: إن علياً «عليه السلام» كان أبغض الناس إليه، مع أن ذلك من موجبات العيب على عثمان، وهو مدان

ولا يجدي.

لأن الناس كلهم قد عرفوا أنه لا يجوز لأحد أن يبغض أحداً من أهل البيت، وخصوصاً علياً «عليه السلام». إذ لا شك لأن الله تعالى يقول: **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)**(1). وعلي «عليه السلام» من قربى الرسول «صلى الله عليه وآله».

وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «..لا يحبك ـ والذي نفسي بيده ـ إلا مؤمن قد امتحن قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر»(2).

---

(1) الآية 23 من سورة الشورى.

(2) راجع: أمالي الشيخ الطوسي ج2 ص83 - 86 و (ط دارالثقافة) ص472 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص183 و 184 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص160 وحلية الأبرار ج1 ص152 و 153 وبحار الأنوار ج19 ص64 - 67 و 85 وكشف الغمة ج2 ص33 وتأويل الآيات ج1 ص127 والبرهان (تفسير) ج1 ص332 و 333 عن الشيباني في نهج البيان، وعن الإختصاص للشيخ المفيد، وإعلام الورى ص190 وإمتاع الأسماع ج1ص48 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص69 وأسد الغابة ج4 ص19 وأعيان الشيعة ج1 ص377 وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ص180 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص51 وج8 ص341 وج18 ص68 وج21 ص293 وج30 ص14.

بالإضافة إلى نصوص أخرى تنعى على من أبغض علياً «عليه السلام»، وتصفه بأبشع الأوصاف.

2 - إن بغض عثمان لأي كان من الناس لا يبطل بيعة الناس له، ولا يسقطه عن الأهلية لمقام الخلافة. فكيف إذا كان الله تعالى قد صرح بأن الخلافة والإمامة حق له «عليه السلام» دون سواه، كما في آية: (**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**)(1). بالإضافة إلى آية: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**)(2).

وهناك آيات كثيرة أخرى تدل على ذلك.

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخذ لعلي «عليه السلام» البيعة من الناس بالخلافة بعده. وذلك في حجة الوداع.. وصرح بالتنصيص عليه لهذا المقام في العديد من المناسبات.

وبعد هذا فليرض جميع الناس، أو فليبغضوا، فإن ذلك لا يبطل هذه الحقيقة ولا يلغيها، فقد قال تعالى: (**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**)(3). وقال سبحانه: (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا**

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

(2) الآية 67 من سورة المائدة.

(3) الآية 71 من سورة المؤمنون.

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ(1).

3 ـ رأينا كيف أن معاوية قد تعمد التعمية على الناس، حيث لم يصرح لهم بكيفية تولي علي أمور الناس، فهو لم يقل لهم:

إن الناس وعلى رأسهم صحابة الرسول، بما فيهم المهاجرون والأنصار، وأولهم طلحة والزبير هم الذين أصروا على علي «عليه السلام» بالبيعة له.. وأن بيعة كانت إجماعية.

كما أنه لم يقل لهم: إن علياً «عليه السلام» قد رفض قبول هذا الأمر منهم، ولكنهم أصروا عليه كاشد ما يكون، وقد بقي أياماً كثيرة يأبى قبول ذلك منهم، وهم يصرون عليه به.

ولم يقل لهم أيضاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ له البيعة بالخلافة بعده من أكثر من مئة وعشرين ألفاً من الصحابة.

ولم يقل لهم: إن الله تعالى هو الذي أمر رسوله بهذا، وفرضه عليه..

ولم يقل لهم: إن هذه البيعة لا تزال حاضرة في أذهان الناس، لأنها قد أخذت منهم قبل استشهاد الرسول بسبعين يوماً فقط.

ولم يقل لهم: إن الشيخين أبا بكر وعمر قد قالا لعلي بعد بيعتهما له يوم الغدير: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب، لقد أصبحت مولاي،

---

(1) الآية 36 من سورة الأحزاب.

ومولى كل مؤمن ومؤمنة!!

كيف يؤتمن الخائن والخاذل؟!:

وقد تضمن كلام ذي الكلاع أمراً غريباً وعجيباً، لا يقدم عليه عاقل، ولا تستسيغه الفطرة السليمة، فقد أعلن أن عثمان قد استعمل معاوية، ولكن معاوية لم يوف له، واستنصره فلم ينصره.

وقرر أن معاوية كان يسعى لصرف وجوه الناس إلى نفسه، بهدف الإستئثار بالأمر، وانه قد بلغ مراده.

ثم عاد فرتب على ذلك: أنه هو وعشيرته سينصرون معاوية في حربه ضد وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن أجمع المهاجرون والأنصار على البيعة له، وهو الإمام الذي أخذ له الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» البيعة له في يوم الغدير.

فإذا كان معاوية لم يف لمن ولاه، وخذله ولم ينصره حين احتاج إلى نصرته، مع كونه من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة.

فكيف يمكن تبرير إقدام ذي الكلاع على اتخاذ قرار بنصرته بنفسه وبعشيرته؟! أليس هذا هو السفه بعينه؟! وأليس هذا من دلائل خذلان الله تعالى له؟!

وأليس هو من مصاديق قوله تعالى: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ**

قُلُوبَهُمْ)(1). وقوله تعالى: **(تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)**؟!(2).

ومن تجليات قول النبي «صلى الله عليه وآله»: كما تكونوا يولى عليكم؟!(3).

والقول المأثور الآخر: الناس على دين ملوكهم؟!

وسؤالنا هو: إذا كان هذا هو حال القادة، فكيف سيكون حال الأتباع، وهم من الناس الغافلين، والبسطاء، والجاهلين، الذين ينقادون للحاكم، من دون تدبر ولا تأمل؟! وماذا سيكون موقفهم وشعورهم حين تنكشف لهم الحقائق، ويرون أنفسهم في مواجهة أوصياء الأنبياء، ويحاربون الله ورسوله، ويصدون الناس عن الحق، ويوغلون في دماء الأبرار والأخيار من أمثال: هاشم المرقال، وعمار بن ياسر، وخزيمة ذي الشهادتين، وغيرهم، وغيرهم؟!!

(1) الآية 5 من سورة الصف.

(2) الآية 118 من سورة البقرة.

(3) الجامع الصغير للسيوطي ج2 ص294 وميزان الحكمة ج3 ص2577 و 3688 عن كنز العمال: 44166 و 14972 و 14973 و (ط مؤسسة الرسالة) ج6 ص89 وفيض القدير ج5 ص60 وكشف الخفاء ج2 ص126 وتفسير الآلوسي ج2 ص146 ومغني اللبيب ج2 ص697 وخزانة الأدب ج8 ص426.

لا بد من إتمام الحجة:

وقد جاء كلام سعد بن وخاطة الحميري ليصوب المسار، ويتم الحجة على الناس، ولا يبقي عذراً لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة.

وإذا كان الحماس الذي أثار كلام معاوية قد استفز بعض الناس، فأعمى أبصارهم عن الحق وأهله، فإن كلام ابن وخاطة قد أعاد الأمور إلى نصابها، وأجبر أولئك المتزلفين، أو التائهين على العودة إلى رشدهم، والتبصر في مواقع أقدامهم. حيث سحب منهم الذرائع الواهية، وأزاح الغشاوة عن العيون، ليحيا من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وقد جاء كلامه «رحمه الله» قاطعاً وواضحاً.. وقد تضمن الإشارة إلى العديد من الأمور التي لا تروق لمعاوية، ولا يرضى أن يسمعها أهل الشام..

الأمر الأول: أن أهل الحجاز هم المعنيون بأمر الخلافة، فإنهم صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهم أعرف الناس بما جاء به «صلى الله عليه وآله»، وإن كان «صلى الله عليه وآله» قد أشار بالخلافة إلى أحد، فهم أعرف الناس إلى من أشار، وعلى من أثنى، ومن الذي سار على خطه، ولم يغير ولم يبدل، ومن خالف أمره، ومن أطاعه.. فيفترض إعطاؤهم المجال للتعبير والتصريح بما رأوه وسمعوه، والبوح بما في ضمائرهم مما علموه، والجهر بالحقيقة التي يعرفونها.. بعيداً عن أي محاولة ابتزاز، أو سعي للتأثير على

مواقفهم..

وقد عبروا عن قناعاتهم، بإجماعهم على البيعة لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وإصرارهم عليه، الذي استمر أياماً كثيرة، حتى رضي في نهاية المطاف وفق ما شرحناه في هذا الكتاب..

الأمر الثاني: إن سعد بن وخاطة، قال: إنه يستند في قوله هذا: إلى أن هذه الحاكمية، إنما اختصت بأهل الحجاز، لمكانهم من الهجرة، فإن من تحمل الأذى في سبيل الله، وأخرج من دياره بغير حق، قد أثبت عملياً: أنه هو الأمين على هذا الدين، والمستعد للتخلي عن منافعه الشخصية في سبيل نيل رضا الله سبحانه..

الأمر الثالث: إن من يجاهد في سبيل الله، ويبذل ماله ونفسه ودمه، وكل علاقاته الإجتماعية والإقتصادية وسواها من أجل دينه، ورضا ربه، كما فعله الأنصار، وبعض المهاجرين.. يكون هو الآخر، الأقرب إلى نصيحة الأمة في أمر الحكم والحاكمية. من ذلك الذي جاء لأمر ممهد، ومائدة حاضرة، وثمرة يانعة، يريد أن يستأثر بها لنفسه..

وعلينا أن نضيف نحن هنا أمرين آخرين، لا بد من أخذهما بنظر الإعتبار في خصوص هذا المورد، وهما:

الأول: إن سعد بن وخاطة، حين تكلم في مجلس معاوية بهذا الكلام، لم يأخذ بنظر الإعتبار النص الوارد على أمير المؤمنين «عليه السلام»، بل أجرى كلامه بنحو منسجم مع مذاق ومنطق من

يستبعد النص، ويحاول تجاهله، أو إثارة الشبهات حوله، إن لم يتمكن من إنكاره..

الثاني: إن هذا المنطق الذي نحا إليه ابن وخاطة، يحتم فهم معنى الهجرة، بنحو تتجلى فيه خصوصية أن تكون هجرة إلى الله ورسوله، وسعياً للحرية، والتخلص من الأذى، والتخلي عن الأموال والأوطان، والأهل.. من اجل دينه، ونصرة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أما إذا كانت هجرة إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة يتزوجها.. كما هو حال كثير ممن هاجروا من مكة إلى المدينة.. ممن لم يكن يتعرض لأي نوع من أنواع الأذى.. لأن الأذى والتعذيب إنما كان واقعاً بالضعفاء، كالمملوك والعسيف(1)، فإن هجرة هؤلاء لا تعطي الطمأنينة الكافية إلى أمانة وصدق وإخلاص نوايا ذلك المهاجر لدينه، وإيمانه..

وقد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها (يتزوجها)، فهجرته إلى ما هاجر

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص247 والعثمانية للجاحظ ص23 وراجع: الكامل في التاريخ ج2 ص265.

إليه»(1).

كما أن الأمر في جهاد العدو لا يبتعد عن هذا، فإن من قاتل لأجل الغنائم والسبايا، أو دفاعاً عن الأحساب، كما هو الحال بالنسبة لقزمان.. الذي قاتل مع المسلمين بشراسة حتى جرح، فغبطه بعض

(1) راجع: مستدرك الوسائل ج1 ص90 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص187 وج10 ص207 ومصباح الشريعة ص53 وبحار الأنوار ج67 ص210 و 211 و 249 وراجع: غوالي اللآلي ج1 ص81 ومنية المريد ص133 ومسند أحمد ج1 ص25 و 43 وصحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب 1 وكتاب الأيمان باب 41 وكتاب العتق / 6 ومناقب الأنصار / 45 والنكاح / 5 والإيمان / 23 والحيل / 1 و (ط دار الفكر) ج1 ص3 و 20 وج3 ص119 وج4 ص252 وج6 ص118 وج7 ص231 وج8 ص59 وصحيح مسلم كتاب الإمارة /155 و (ط دار الفكر) ج6 ص48 وسنن أبي داود، كتاب الطلاق / 11 و (ط دار الفكر) ج1 ص490 وسنن الترمذي فضائل، كتاب الجهاد / 16 و (ط دار الفكر) ج3 ص100 وسنن النسائي، كتاب الطهارة / 59 والطلاق / 24 والأيمان / 19 و (ط دار الفكر) ج1 ص60 وج6 ص159 وج7 ص13 وسنن ابن ماجة الزهد / 26 و (ط دار الفكر) ج2 ص1413 والسنن الكبرى للبيهقي ج1 ص41 و 215 و 298 وج2 ص14 وج4 ص112 و 235 وج5 ص39 وج6 ص331 وج7 ص341 و مسند أبي داود الطيالسي ص9 ومسند الحميدي ج1 ص16 والسنن الكبرى للنسائي ج1 ص79 وج3 ص130 وج3 ص361 .

المسلمين على جهاده هذا، فأخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» أنه من أهل النار، ثم ظهر لهم تصديق ما قاله «صلى الله عليه وآله» على لسان قزمان نفسه(1).

تضييع أحلام معاوية:

وقد أشار سعد بن وخاطة في شعره إلى ما كان يحاوله معاوية من خداع أهل الشام، حيث قال لهم: «وأنتم عازمون على أن تحرزوا الشام والعراق..».

فإنه أراد بهذا الأسلوب: أن يثير أطماع أهل الشام، ويضخم أوهامهم، لكي يورطهم في حرب علي «عليه السلام»، فإن تم له ذلك، فإنه يكون قد استفاد منهم كمطية تبلِّغه مراده، ثم يكون بعد ذلك هو الذي يتحكم فيهم، ويكون قيادهم بيده، تماماً كما هو حال المطية التي لا ترى أنها تستطيع الحياة بدون صاحبها، فتبقى تدور حوله، وتتمسح بأثوابه، وتبصبص له بذنبها، ويسيل على الفتات الذي يلقيه إليها لعابها.

وإن حلت الهزيمة، ووقعت بها المصيبة، فلن يكون هو الذي

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف) ج2 ص531 وتاريخ الخميس ج1 ص438 والسيرة النبوية لابن هشام ج3 ص94 والمغازي للواقدي ج1 ص224 و 264 والكامل في التاريخ ج2 ص162 والسيرة الحلبية ج2 ص239.

يجبر كسرها، ويغنيها من فقرها.. بل هو سيكون في موضع المتبرئ من اية مسؤولية تجاهها، بل سيكون اللائم لها، والمقبح لفعلها، والمتهم لها بالتواني والتقصير، إن لم يكن بالخيانة للأمانة.

وقد جاء قول ابن وخاطة:

قل لقوم يرون حرب علي احرزوا الشام لا ترومو العراقا

إن دون الذي ترون نزالاً ..إلخ

فقد جاء ليضع النقاط على الحروف، وليعيد الناس إلى الصواب، ويعرفهم بأن معاوية يريد أن يخدعهم بشعاراته هذه، وأن يجعل منهم مطية لأغراضه.. في تصوير بديع ورائع، وبيان واف وجامع.

وحين توالت على معاوية ضربات سعد بن وخاطة استشاط غضباً، وحاول قتل سعد هذا، فقيض الله له من أنقذه من براثنه..

ولكن سعداً كان يعلم أن معاوية لن يتركه، بل هو سوف يغدر به، ويدبر لاغتياله، فلحق بعلي «عليه السلام» بالعراق.

معاوية أولى بالخلافة من علي ×:

ومن عجائب الدهر ـ وما عشت أراك الدهر عجباً ـ: أن نرى الطليق ابن الطليق معاوية بن أبي سفيان، يقدم نفسه على أنه أحق بالخلافة من علي «عليه السلام»، ويستدل على ذلك بما يلي:

1 ـ أنه كاتب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

2 ـ أن أخته أم حبيبة زوج رسول الله «صلى الله عليه وآله».

3 ـ أنه عامل عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان.

4 ـ أن أمه هند بنت عتبة.

5 ـ أن أباه هو أبو سفيان.

6 ـ وأن أهل الشام قد بايعوه، كما بايع أهل العراق والحجاز علياً «عليه السلام».

7 ـ أن من غلب على شيء، فهو له.

ونقول:

إن هذا الكلام مما يضحك الثكلى.. فلاحظ الأمور التالية:

ألف: بالنسبة لكون معاوية كاتباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:

أولاً: إن معاوية إنما كتب بعض الرسائل التي أرسلها «صلى الله عليه وآله» إلى بعض القبائل، ولم يكتب القرآن[1].

ولأجل ذلك أطلق كلامه هنا، مدعياً: أنه مجرد كاتب، ولم يقيد ذلك بكتابة القرآن.. ربما لكي يوهم الناس، بأنه كان كاتباً لكل ما يحتاجه النبي «صلى الله عليه وآله» بما في ذلك القرآن أيضاً .

---

(1) راجع: الإصابة ج6 ص121 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص309 وسير أعلام النبلاء ج3 ص123 والنصائح الكافية لابن عقيل ص206.

ثانياً: إن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد كتب القرآن، ثم ارتد، وصار يفتري، ويدعي أموراً باطلة في هذا المجال، وقد أهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه في فتح مكة.. فليست الكتابة بما هي كتابة فضيلة، إذا لم يصاحبها الإيمان والعمل الصالح..

ثالثاً: إننا لم نجد علياً «عليه السلام» ولا أحداً من شيعته جعل كتابة علي «عليه السلام» للوحي ولغيره من جملة فضائله التي استحق بها الإمامة والخلافة..

رابعاً: لو سلمنا أن هذا الأمر فضيلة لمعاوية، فإن المهم هو أن لا يبطل عمله هذا بالتصدي لمنصب مقام الإمامة التي لا يحل لطليق، وابن طليق، ثم يشن حرباً على إمامه يقتل فيها عشرات الألوف من أهل القبلة.. بالإضافة إلى الكثير من القبائح التي ارتكبها والموبقات التي انغمس فيها.

ب: بالنسبة لتزويج أم حبيبة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:

أولاً: إن هذا التزويج لم يكن يراد به التكريم لمعاوية، لأن معاوية حين حصل هذا التزويج لم يكن من أهل الكرامة، ولا يستحق أي نوع من أنواع التكريم، لأنه كان لا يزال كافراً يعبد الأصنام..

ثانياً: ليس هناك ما يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد قصد بهذا الزواج التكريم لأم حبيبة نفسها، بل الظاهر: أنه قصد به حل مشكلتها، بعد أن فقدت زوجها في أرض الحبشة..

وربما قصد به أيضاً التوطئة للتخفيف من غلواء أبي سفيان في عدائه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وللمسلمين، وفي جده واجتهاده في حربهم.

ولعل نفس حفظ أم حبيبة كان أيضاً سيرفع معنويات المسلمين المهاجرين. ويزيد من قدرتهم على مواجهة الصعاب. وتحمل المشقات، حين يشعرون برعاية ومحبة النبي لهم، واهتمامه بهم.

ولعل هناك مصالح أخرى، قد لاحظها النبي «صلى الله عليه وآله» في هذا الزواج..

فلا دليل على أن التجليل والتكريم والتشريف كان مقصوداً بهذا الزواج حتى لأم حبيبة نفسها. فضلاً عن غيرها.

ثالثاً: إنك قد تكرم شخصاً انسجاماً مع خلقك الطيب، وكرم نفسك، وسجاحة خلقك، فيقابلك بالإساءة، انطلاقاً من خبث نفسه، ولؤمه، وسقوط مروءته، وسوء خلقه..

كما أنك قد تكرم شخصاً بهدف تألّفه، وسل سخيمته، وتسهيل اندماجه في المحيط الذي توجس في نفسه خيفة منه، فيأتي هذا الزواج لإشعاره بالأمان، وحل عقدة الخوف لديه..

وقد يستفيد هذا الشخص من إكرامك له برهة من الزمان، ثم يرتد عليك، وينزل بك ضرباته الغادرة بأساليب خادعة وماكرة..

وهذه الإثارات من معاوية أدل دليل على هذه الحقيقة..

ج: أما استدلال معاوية بأنه منصوب من قبل عمر، فيلاحظ عليه:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» قد نصبه الله ورسوله، وأخذت له البيعة من أكثر من مئة ألف في يوم الغدير، بتدبير ورعاية من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» قد أجمع عليه المهاجرون والأنصار، وبايعوه، وثبتت إمامته وخلافته بالنص، وبالبيعة في عهد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وبإجماع أهل الحل والعقد عليه، وببيعتهم له بعد قتل عثمان..

ثالثاً: لقد نصب عمر وعثمان الكثير من الولاة، فهل صانهم ذلك عن شرب الوليد بن عقبة للخمر، ثم تقيآها في المسجد، وهل يمنع من ارتكاب جريمة الزنا، ومن سرقة بيوت المال، وغير ذلك من جرائم؟!

وهل يصح أن يقال: إن هؤلاء الآثمين والمجرمين قد صاروا أتقياء أبراراً، بتوليهم من قبل هذا، أو من قبل ذاك؟!

وقد ولى النبي «صلى الله عليه وآله» خالداً على سرية وأرسله إلى بني جذيمة داعياً، فبطش بهم(1)، وقد أغضب ذلك رسول الله

---

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص66 - 68 و (ط الأعلمي) ج2 ص341

«صلى الله عليه وآله» حتى قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد[1].

والكامل في التاريخ ج2 ص255 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص148 والثقات لابن حبان ج2 ص61 وسير أعلام النبلاء ج1 ص370 و 371 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص61 وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج5 ص107 ومسند أحمد ج2 ص150 وج8 ص118 وسنن النسائي ج8 ص237 والسنن الكبرى للبيهقي ج9 ص115 والمصنف للصنعاني ج10 ص174 والسنن الكبرى للنسائي ج3 ص474 وصحيح ابن حبان ج11 ص53 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج2 ص428 والدرر لابن عبد البر ص222 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج1 ص317 وج13 ص222 وتفسير القرآن العظيم ج4 ص328 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص234 و 235 وراجع: الأمالي للشيخ الصدوق (ط سنة 1389 هـ) ص152 و 153 و (ط مؤسسة البعثة) ص238 وبحار الأنوار ج21 ص142 و ج101 ص423 و 424 ومستدرك الوسائل ج18 ص366 و 367 وعلل الشرائع (ط سنة 1385 هـ) ج2 ص473 و 474 وجامع أحاديث الشيعة ج26 ص486 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج11 ص80 وغاية المرام ج2 ص76.

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص201 وأشار في هامشه إلى: البخاري ج4 ص122، والنسائي ج8 ص237 وأحمد في المسند ج2 ص151 والبيهقي في السنن ج9 ص115.

وراجع: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج1 ص153 ودلائل الصدق ج3 ق1 ص33 و 34 والإصابة ج1 ص318 و 227 وج2 ص81 والطبقات

وولى أبو بكرخالداً، ففعل ببني حنيفة ما فعل، حيث قتل مالك بن نويرة وغيره منهم، ثم زنى بامرأته، في نفس ليلة قتله(1).

الكبرى لابن سعد ج2 ص147 و 148 والبداية والنهاية ج4 ص358 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص592 وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج3 ص67 و 68 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص342 وأعيان الشيعة ج1 ص278 و 409 والكامل في التاريخ ج2 ص173 والغدير ج7 ص168 و 169 والسيرة النبوية لابن هشام ج4 ص72 و 73 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج4 ص884 وتاريخ أبي الفداء ج1 ص145 وأسد الغابة ج3 ص102 والمغازي للواقدي ج3 ص882 وتاريخ الخميس ج2 ص98 والمنمق ص259 و 260 و 217 وراجع: الثقات لابن حبان ج2 ص62 و 63.

(1) راجع: تاريخ اليعقوبي ج2 ص110 ووفيات الأعيان ج6 ص15 وقاموس الرجال ج4 ص146 و 147 عن تاريخ الأمم والملوك ج3 ص278 و 279 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص504 والغدير ج7 ص159 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص204 - 206 والنص والإجتهاد ص119 و 123 وعن أسد الغابة ج4 ص295 و 296 ومعجم البلدان ج1 ص455 وعن البداية والنهاية ج6 ص354 و 355 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص73 وبحار الأنوار ج30 ص476 و 477 و 491 و 493 والثقات ج2 ص169 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص274 وعن الإصابة ج2 ص218 وج5 ص560 و 561 والإستغاثة ج2 ص6 والكنى والألقاب ج1 ص42 و 43 وبيت الأحزان ص104.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل الوليد بن عقبة، ليأخذ الصدقات من بني المصطلق، فافترى عليهم، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[1].

د: وقد قال معاوية: إن أمه هي هند بنت عتبة، وأن أباه هو أبو سفيان.. فيقال له:

أولاً: لقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم. وفي أيدينا بعد فضل النبوة..»[2].

---

(1) الآية 6 من سورة الحجرات.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص17 الكتاب رقم 17 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص117 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص361 وبحار الأنوار ج33 ص105 و 106 و 107 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص228 وج6 ص573 وتذكرة الخواص ص9 وإحقاق الحق (الأصل) ص249 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص50 والغدير ج3 ص254 وج10 ص151 عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري باب 66، وعن مروج الذهب. وراجع أيضاً: مناقب الخوارزمي الحنفي ص180 وصفين للمنقري ص471 ومروج الذهب للمسعودي ج3 ص22 و23 والإمامة والسياسة ص117 و188 والفتوح لابن أعثم ج3 ص260 و (ط دار الأضواء) 2 ص155.

ثانياً: وقد ادعى معاوية: أن أباه هو أبو سفيان، مع أنهم قد ذكروا: أن معاوية كان يعزى إلى أربعة، هم: مسافر بن أبي عمرو، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، والصباح، مغني عمارة، والعباس(1).

وقد اعترف معاوية لابنه يزيد: بأن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنه للعباس(2).

ويشهد لذلك أيضاً: قول علي «عليه السلام» المتقدم: «ولا الصريح كاللصيق».

ثالثاً: أما هند، فلست أدري كيف يجرؤ معاوية على الإنتساب إليها، والإفتخار بها، وهو يعلم أنها هي التي حاولت أن تأكل كبد حمزة.. وهي التي يقال: «إنها كانت من المغتلمات»(3).

---

(1) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص116 و (طبعة النجف) ص 202 عن هشام بن محمد الكلبي، وربيع الأبرار للزمخشري ج3 ص551 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص336 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص123 وبحار الأنوار ج33 ص201.

(2) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي عن هشام بن محمد الكلبي ص116 والغدير ج10 ص170 وعن بهج الصباغة ج3 ص209 وج7 ص51 وقاموس الرجال ج1 ص489 .

(3) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص203 و (ط أخرى) ص116 والصراط المستقيم ج3 ص46 ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص78 وكتاب الأربعين للشيرازي ص631 وقاموس الرجال للتستري

كما أنها هي المتهمة بأنها حملت به من غير أبيه..

هـ: وقد قال معاوية: إن أهل الشام متساوون مع أهل الحجاز والعراق في أمر الخلافة، فإذا جازت بيعة أهل العراق والحجاز، جازت بيعة أهل الشام.

وهذا غير صحيح، وذلك لما يلي:

أولاً: قلنا: إن أهل الحجاز ـ وأعني بهم: أهل المدينة ـ فيهم صحابة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله». وفيهم نزل القرآن، وبجهدهم وجهادهم حفظ وانتشر هذا الإسلام، ولم يكن أهل الشام كذلك..

ثانياً: إن كلام معاوية هذا يتضمن تكذيباً ضمنياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي أمر بقتل الخليفة الآخر الذي يبايع له، واعتباره باغياً وجائراً، ويجب رده عن غيه ولو بالقتال[1].. لأن هذا

ج10 ص123 والطرائف لابن طاووس ص501 والغارات للثقفي ج2 ص938 وبحار الأنوار ج33 ص198 ونهج الحق وكشف الصدق ص307 وربيع الأبرار، وغير ذلك.

(1) راجع: صحيح مسلم ج4 ص127 و (ط دار الفكر) ج6 ص23 و 18 وشرح مسلم للنووي ج12 ص242 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص144 و 169 والديباج على مسلم للسيوطي ج4 ص461 و 456 والمحلى لابن حزم ج1 ص46 وج9 ص360 والعمدة لابن البطريق ص317 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص349 والغدير ج10 ص27 و 145 و 372

القول من معاوية يوجب انتفاء هذا الموضوع من أساسه، لأن معناه: أنه يجوز أن يكون هناك أكثر من رأس للمسلمين. وتجويز البيعة لعشرات الأشخاص. ومن فعل ما هو جائز، فلا يصح قتاله، ولا يسمح بالإعتراض عليه..

ثالثاً: هل يمكن مقايسه البيعة لمتغلب قاهر. يمارس الخداع للناس، ويفتري على الأبرياء، ولا تحل له الخلافة، لأنه طليق ابن طليق.. ببيعة أجمع عليها المهاجرون والأنصار، لرجل لم يرض بها، وبقوا أياماً كثيرة يصرون عليه بقبولها؟!

كما أنه هو الذي قد بايعه في يوم الغدير أكثر من مئة ألف من الصحابة قبيل وفاة الرسول بأمر من الله، وبتدبير وأمر وإشراف

والمعجم الأوسط للطبراني ج3 ص144 ومسند الشهاب ج1 ص447 والإستذكار لابن عبد البر ج7 ص496 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج6 ص52 و 53 وفيض القدير ج1 ص566 وكشف الخفاء ج1 ص84 والجامع لأحكام القرآن ج1 ص272 وج7 ص133 وأضواء البيان للشنقيطي ج1 ص30 و 31 وتاريخ بغداد ج1 ص254 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص151 وسير أعلام النبلاء ج6 ص155 وميزان الإعتدال ج2 ص128 وج3 ص547 والنصائح الكافية لابن عقيل ص59. ومسند أحمد ج2 ص161 وسنن ابن ماجة ج2 ص1307 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص590 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص530 وتهذيب الكمال ج17 ص252 والبداية والنهاية ج2 ص186.

ورعاية منه «صلى الله عليه وآله»..

ثم قال له أبو بكر وعمر بهذه المناسبة: بخٍ بخٍ لك يا علي، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة؟!

و: وزعم معاوية: أن من غلب على شيء فهو له.. وهو كلام باطل:

أولاً: لأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين. وليست لمن يغلب عليها، وينتزعها من أهلها الشرعيين بغير حق..

ثانياً: إن هذا معناه: تصحيح خلافة الطغاة والجبارين، والمؤمنين، والكافرين، والقرشي، وغير القرشي.. وهو يوجب تصحيح حكومة حتى من يدعي لنفسه الربوبية كفرعون..

ثالثاً: إن حديث الأئمة، أو الخلفاء، أو الأمراء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش يبطل شرعية خلافة المتغلّبين، حتى لو بايعهم الناس ورضوا بهم..

الفصل

معاوية ومواعظ علي×..

كتاب نصيحة واحتجاج:

ذكر المنقري: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كتب إلى معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان.

سلام على من اتبع الهدى، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو.

أما بعد.. فإنك قد رأيت من الدنيا وتصرفها بأهلها وإلى ما مضى منها.

وخير ما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى.

ومن نسي الدنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً.

واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمراً لست من أهله، لا في القدم ولا في الولاية. ولست تقول فيه بأمر بيِّن تعرف لك به أثرة، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله، ولا عهد تدعيه من رسول الله.

فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا

أبهجت بزينتها، وركنت إلى لذتها، وخلي فيها بينك وبين عدو جاهد ملحّ، مع ما عرض في نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها، وقادتك فاتبعتها، وأمرتك فأطعتها.

فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يجنّك منه مِجَنٌّ.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعية، أو ولاة لأمر هذه الأمة، بغير قدم حسن، ولا شرف سابق على قومكم؟!

فشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك.

مع أني أعرف أن الله ورسوله صادقان. فنعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء.

وإلا تفعل أعلمك ما أغفلك من نفسك، فإنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه، فجرى منك مجرى الدم في العروق.

واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا وامتنوا به علينا، ولكنه قضاء ممن امتن به علينا على لسان نبيه الصادق المصدق.

لا أفلح من شك بعد العرفان والبينة.

اللهم احكم بيننا وبين عدونا بالحق وأنت خير الحاكمين(1).

---

(1) صفين للمنقري ص108 - 110 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص39 و 40 وبحار الأنوار ج33 ص100 و 101 ونهج

فأجابه معاوية بالكتاب الآتي..

أما ابن أعثم فذكر: أن كتاب معاوية الآتي قد أرسله إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، بعد أن كتب إليه ذلك الكتاب الذي كتبه «عليه السلام» إليه، وذيله بأبيات كعب بن جعيل.. وقد ذكرنا ذلك الكتاب في موضع آخر من كتابنا هذا، فراجع.

وعلى كل حال، فإن كتاب معاوية التالي هو إما جواب الكتاب المذكور آنفاً كما يقول المنقري، أو جواب الكتاب الذي فيه أبيات ابن جعيل، وكتاب معاوية هو التالي:

وذكر ابن أعثم، ويقرب منه ما ذكره المنقري أيضاً:

فلما ورد كتاب علي «عليه السلام» على معاوية كتب إليه معاوية:

أما بعد! فاتق الله يا علي، ودع الحسد، ولا تفسدن سابقة قدمك في الاسلام بشرة حديثك [نخوتك]، فإن الاعمال بخواتيمها، ولا تلحدن بباطل من حق من لا حق له، فإنك إن تفعل ذلك لن تضر إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك.

[وحسب نص المنقري: ولا تمحق سابقتك في حق من لا حق لك

السعادة ج4 ص246 - 249 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص86 و 87 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص132 و 133 وراجع: منهاج البراعة ج18 ص22.

في حقه، فإنك إن تفعل لا تضر بذلك إلا نفسك، ولا تمحق إلا عملك، ولا تبطل إلا حجتك].

ولعمري ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة أن تردعك عما قد اجترأت عليه، من سفك الدماء، وخلاف أهل الحق عن الحل والحرم، فاقرأ سورة الفلق، وتعوذ بالله من شر ما خلق، ومن شر نفسك [مالك] والحاسد إذا حسد.

أقبل الله بقلبك، وأخذ ناصيتك، وعجل توفيقك، فإني أسعد الناس بذلك ـ والسلام ـ(1).

قال: فكتب إليه علي «صلوات الله عليه»:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر.

أما بعد! قد أتاني كتابك ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك بحق، ولولا ما قد علمت من علمي بذلك، وبما قد سبق فيك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مما لا مرد له دون إنفاذه إذاً لوعظتك، ولكن عظتي لا تنفع من قد حقت عليه كلمة العذاب، ولن يخاف العقاب، ولم يرج لله وقاراً، ولم يخف له جداراً.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص433 و 434 و (ط دار الأضواء) ج2 ص535 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص87 و 88 وصفين للمنقري ص110 وبحار الأنوار ج33 ص79 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص350.

فشأنك وما أنت عليه من الضلالة، والحيرة والجهالة، تجد الله عز وجل في ذلك بالمرصاد، من دنياك المنقطعة عنك، وتمنيك الأباطيل، وقد علمت ما قال النبي «صلى الله عليه وآله» فيك، وفي أمك وأبيك. والسلام(1).

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي من مطالب:

تجنيات المعتزلي على الشريف &:

لا بد من لفت نظر القارىء إلى أن الرسالة التي أرسلها أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى معاوية، والتي ذكرناها أولاً، قد ذكرها نصر بن مزاحم في صفينه، وذكر جوابها المتقدم أيضاً.. ولكن ابن أعثم جعل جواب معاوية المتقدم، جواباً على الرسالة التي ذيَّلها «عليه السلام» بأبيات كعب بن جعيل..

إلا أن الشريف الرضي «رحمه الله» أورد في نهج البلاغة رسالة تشبه الرسالة الأولى المتقدمة لأمير المؤمنين «عليه السلام» في العديد من فقراتها. مع زيادات أخرى، أساسية وهامة. ومع اختلاف في بعض الفقرات التي توافقت فيها معها..

ولكن ابن أبي الحديد المعتزلي يدَّعي: «أن هذه الخطبة قد ذكرها

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص434.

نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) على وجه يقتضي: أن ما ذكره الرضي «رحمه الله» منها قد ضم إليه بعض خطبة أخرى.

وهذه عادته، لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه..»(1).

ونقول:

هذا كلام غير مقبول، فإن الشريف الرضي «رحمه الله» أتقى لله، وأورع وأعقل من أن يرتكب مثل هذه المخالفة الجسيمة لأنها:

أولاً: أشبه بالتزوير والخيانة، من حيث نسبة سياق كلام إلى أمير المؤمنين، ليس له في كلامه «عليه السلام» عين ولا أثر.

ثانياً: إن هدف الشريف الرضي «رحمه الله»، ليس مجرد الفصاحة والبلاغة، مع الإساءة إلى المضمون بالتلفيق، والزيادة، والحذف، بل الهدف هو حفظ الحقائق وعرضها للناس ليستفيدوا منها..

ثالثاً: إذا كانت البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وللاعتبار المناسب، فإن في ضم الكلام بهذا النحو يصبح تضييعاً لمعنى البلاغة، لأن الكلام حينئذ لن يكون هو المطابق لمقتضى الحال..

رابعاً: لنا بعد هذا وذاك أن نطالب ابن أبي الحديد بتقديم شواهد تثبت هذه العادة، التي نسبها للشريف الرضي «رحمه الله» على نحو

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 15 ص 86.

الجزم واليقين، دون الحدس والتخمين، فإنه إذا كان الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فما بالك إذا بلغ الأمر إلى التخيلات والأوهام إلى هذا الحد.

خامساً: لم لا يظن المعتزلي أن الشريف الرضي «رحمه الله»، قد اعتمد على رواية لم تصله.

أو لماذا لا يحتمل أن يكون «عليه السلام» قد أرسل لمعاوية رسالتين:

إحداهما: قبل مسيره من الكوفة إلى صفين.

والأخرى ـ وهي التي في نهج البلاغة ـ: في صفين نفسها، لأنها تضمنت الدعوة إلى المبارزة، وحسم الأمر بينهما، وإعفاء الناس من بذل دمائهم وأرواحهم ..

ولعل علياً «عليه السلام» قد رأى أن يعيد بعض الفقرات بعينها على مسامع معاوية لتشابه الأسباب الموجبة، تماماً كما هو الحال حين تتكرر بعض الآيات القرآنية في أكثر من مورد، لحضور تلك الأسباب بعينها فيهما.. كما في الآيات التي في أول سورة «المؤمنون».. وغيرها..

وهذا بالذات ما يفسر لنا تكرار أمير المؤمنين «عليه السلام» لاحتجاجاته على معاوية وعلى طلحة والزبير في رسائله وخطبه وكلماته..

أما فيما يرتبط بمضامين الرسالة الأولى المتقدمة، التي أرسلها

أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى معاوية، فهي بالغة الأهمية. وحيث إننا غير قادرين على استيفاء الأمور التي ألمحت إليها، بل نحن عاجزون عن استكناه جميع ما ترمي إليه، فقد آثرنا الإقتصار على بعض ما بلغ إليه فهمنا القاصر، وهو الأمور التالية:

الرسالة الجامعة:

إن ملاحظة مضمون هذه الرسالة يعطي: أنها رسالة جامعة، وكافية، ووافية بجميع المقاصد، فهي رسالة احتجاج، وموعظة، ونصيحة، وهي نظرة صائبة للكون، وللحياة، وللدنيا والآخرة.. تحدد المسار والمصير، والمبدأ والمنتهى. وهي دراسة نفسية، وبيان دقيق وشامل لحال معاوية، وملكاته وقدراته، ومقاصده وغاياته، وغير ذلك من امور دقت وجلت، كثرت وقلت..

شمولية النظرة ودقة الاختيار:

1 - لقد بدأ كلامه «عليه السلام»: بما دل على أنه قد نظر إلى الدنيا نظرة جامعة، وشاملة، لم تقتصر على ما لها من حال حاضرة، من حيث تصرفها بأهلها، بل تعدى ذلك إلى النظر إلى ما مضى منها.

أما المستقبل، فليس إلا نتيجة للماضي والحاضر، لأنه إنما بُني بهما ومنهما. وهو نتيجة لهما.. وحين يدخل الإنسان فيه يصبح من جملة حاضره الذي لا بد من النظر في تصرف الدنيا فيه بأهلها، ليتحول بصورة تلقائية إلى ماضٍ قد أفرغ كل ما فيه في هذا

الحاضر.. وبالتصرف فيه يمكن أن تبقى منه بقية للمستقبل..

2 - وبعد أن اتضح أنه «عليه السلام» قد أعطى نظرة مستوعبة وشاملة للدنيا، ووضع الطرف الآخر في مقام الإختيار، واتخاذ القرار، خلص إلى توجيهه إلى ما هو أولى وأجدر، إذ لا معنى لترك الأمر إلى الهوى، أو إلى العفوية، والإرتجال.. بل لا بد من اللجوء إلى العقل، ليكون هو صاحب القرار، والإختيار. فانتهى «عليه السلام» إلى أن خير ما بقي من الدنيا هو ما أصابه العباد الصادقون فيما مضى..

3 - وهذه هي النتيجة الصحيحة والسليمة، لأنها تختزن في داخلها: أن يكون المنطلق هو الصلاح، والهدف هو الإصلاح، ليصبح وضع الأمور في مواضعها، والإنطلاق إلى الأهداف من مناشئها السليمة. على قاعدة اعتماد الأسوة والقدوة بالصالحين، الذين استعمرهم الله في هذه الدنيا، لكي يكونوا هم الذين يضعون الأمور في مواضعها، وفق ما تقتضيه سنن التكوين، والفطرة.

4 - ثم خرج «عليه السلام» بنتيجة رائدة أساسها اعتماد الواقعية، المنسجمة مع هذه السنن. من حيث الإستجابة لاقتضاءاتها بصورة متوازنة وصحيحة، دون ترجيح لأي منها على الآخر.. لأن الإخلال بالتوازن يؤدي إلى الفساد والإفساد في النسيج العام الذي يفترض فيه أن يفضي إلى النتائج الصحيحة، في مجال إعمار الكون، على أساس إيصال كل ما فيه إلى كماله المنشود..

وهذا ما ألمح إليه قوله «عليه السلام»: «ومن نسي الدنيا نسيان الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً».

معاوية بين الواقع والأوهام:

وبذلك يكون «عليه السلام» قد وضع معاوية أمام نتائج عمله، بصورة عملية وتحليلية لا لبس فيها.. وأوضح له أن انسياقه وراء أوهامه، وأهوائه سيلحق أعظم الأضرار بمسيرة الحياة الإنسانية نحو كمالها الذي تنشده، بسبب هذه الممارسات، حين ينتهي الأمر إلى تضييع الأهداف الكبرى، التي أراد الله سبحانه بلطف منه أن يوصل إليها مخلوقاته..

معاوية يفقد كل مقومات الولاية:

وما يقوله «عليه السلام» لمعاوية ولغيره إنما يؤسس لنهج، ويعطي ضابطة، فلا بد من العودة إليه، وتلمس هذا النهج، وكشف تلك الضابطة للإستفادة منهما في حياتنا، وفي تكوين قناعاتنا، وضبط حركتنا، وتصحيح مفاهيمنا واعتقاداتنا.

من أجل ذلك نقول:

إنه «عليه السلام» يصارح معاوية بأنه لا يملك الأهلية للأمر الذي يسعى إليه: «لا في القدم، ولا في الولاية»، فهو:

أولاً: ليست لديه أهلية في القدم، فليس له سوابق إيمانية، وجهادية، وعملية، وسلوكية، وتربوية، وغيرها مما من شأنه أن

يعطيه الغنى الروحي، والنفسي، والأخلاقي، والمشاعري الذي يتناسب مع المقام الذي يرشح نفسه له. علماً بأن هذا المقام يحتاج إلى هذا الغنى في ذلك كله..

ثانياً: إنه لا يملك الأهلية في الولاية، لأنه ليست لديه مؤهلات في نفسه، وفي حقيقة وعمق ذاته، بما له من قدرات عقلية، وملكات وإمكانات، حيث لم يؤت بسطة في العلم ولا في الجسم..

معاوية يفقد الحجة أيضاً:

ومع غض النظر عن هذين الأمرين، فإن معاوية يفقد الحجة، والمبرر الشرعي، والدليل والشاهد.. تماماً كما يفقد الأهلية في السوابق، وفي الملكات والمواصفات..

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «ولست تقول فيه بأمر تعرف لك فيه أثرة، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله. ولا عهد تدعيه من رسول الله..».

وهذه الأمور الثلاثة هي قوام الحجة الشرعية في مثل هذا الأمر.. أي أن معاوية ليس له عمل أو صفة، أو ميزة، تعطيه الحق بالخلافة بصورة بينة وظاهرة، ولا لبس فيها..

ولا توجد آية في كتاب الله تشهد له بشيء من هذا القبيل..

كما أنه ليس في يده عهد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك..

مع أن هذه الثلاثة كلها متحققة لعلي «عليه السلام». فلديه من آثار العلم والجهاد في سبيل الله، والشهادات النبوية له بالفضل، وبالتقدم على جميع البشر في ميزاته، وفي ملكاته، وفي جهاده، وعلمه وزهده، وتدبيره وحكمته، وتقواه، وفي كل شيء.. ما يجعله هو دون كل أحد خليفة الرسول والوصي، والإمام من بعده.

هذا بالإضافة إلى الآيات القرآنية التي قررت الولاية له، كما في آية الولاية له حين تصدق وهو راكع.. وكما في الآيات التي نزلت يوم الغدير، ومنها آية إكمال الدين وإتمام النعمة، وآية: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)**[1].

كما أنه هو الذي يملك العهد بالإمامة والخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين أخذ له الرسول نفسه البيعة من جميع الصحابة في يوم الغدير..

متى كنتم ساسة الرعية؟!:

وما أروع قوله «عليه السلام» لمعاوية في هذه الرسالة:

«ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية، أو ولاةً لأمر هذه الأمة، بغير قدم حسن، ولا شرف سابق على قومكم».

فإنه نتيجة طبيعية لقوله «عليه السلام» في أول الرسالة:

---

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

«ادَّعيت أمراً لست من أهله، لا في القدم، ولا في الولاية».

وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم..

غير أننا نشير هنا: إلى أنه «عليه السلام» قد عمم كلامه ليكون ضابطة لا بد من الإلتزام بها، والإنتهاء إليها، حيث جعل كلامه شاملاً لجميع بني أمية، وقرر: أنهم يفقدون السوابق الحسنة، ولا يملكون المقومات لتولي أمر الأمة في حقيقة ذاتهم، وفي أنفسهم.

كما أنه «عليه السلام» قد دعا في كلامه هذا معاوية إلى إجراء مقارنة بين ما يملكه هو وبنو أمية من ميزات وخصائص مع ما يملكه سائر قومهم منها، فإنهم سيجدون أن نتيجة هذه المقارنة ليس فقط في غير صالحهم، بل هي توجب تقديم الآخرين من قومهم عليهم.

ثم ختم «عليه السلام» كلامه بالإستدلال بالنص الإلهي على إمامته دون سائر الناس بما فيهم معاوية وبنو أمية، وهذا هو الذي يحسم الأمر.. ويرد عنه توثب المتوثبين.. ويظهر عدوان المعتدين، ويفضح كيد ومكر الماكرين..

وقاحة ما بعدها وقاحة:

1 ـ وأما أن ينسب معاوية الحسد إلى علي «عليه السلام»، ويدلي بنصائح له تستبطن تجويز صدور مساوئ الأعمال منه «عليه السلام»، فتلك وقاحة ما بعدها وقاحة، كيف وقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علي مع الحق والحق مع علي».

وقال: «علي مع القرآن».

وقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

وقال: «ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين: الجن والإنس إلى يوم القيامة».

وقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله».

وقال: «علي وشيعته هم الفائزون».

وقال: «لا يدخل الجنة إلا من كان معه جواز من علي بن أبي طالب».

وقال:.. وقال:...

ولم يوقت لأقواله هذه وقتاً، ولا جعل لها أمداً تنتهي إليه، وتقف عنده. بل قررها بنحو يشي بأنها واقع قائم وثابت، وليس لأحد التردد أو التشكيك فيه، ولو بأن ينسب إلى علي «عليه السلام» ما يناقضها وينافيها.. حيث ربطها بالله وبرسوله «صلى الله عليه وآله» مما يعني: أن في تكذيبها تكذيباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي قال الله فيه : **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)(1)**.

فما معنى أن يكتب معاوية إلى علي «عليه السلام»، رسالة

---

(1) الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

تتضمن نسبة الحسد إليه «عليه السلام». بالإضافة إلى ما تضمنته من نصائح تستبطن تجويز صدور مساوئ الأعمال منه «عليه السلام».

والأشر والأضر، والأدهى والأمر: أن معاوية حين يورد هذه الأمور بصورة نصائح وإرشادات، فإنما يريد بها ذر الرماد في العيون، وأن يجعل منها المصداق الواضح لكلمة الحق التي يراد بها تسويق الباطل وتكريسه..

2 ـ وإن نفس أن يسوق المبطل أباطيله، واتهاماته الكاذبة، وكأنها أمر واقع، وحقيقة مسلمة.. وما هو تزوير مضاعف، يجسد مكر معاوية وخداعه للناس، ويظهر مدى جرأته على الله، واستهتاره بالحق، وإمعانه في باطله..

3 ـ إننا نحب أن نؤكد على أن هذه الرسالة لا تنقص من قدر علي «عليه السلام»، بل هي تزيد من تعرية معاوية، وتسهم في فضحه.

بل هي تظهر جانباً من عظمة علي «عليه السلام» في صبره وصحة مواقفه، وفضله، وشرف جهاده. لأن هذا المستوى من التجني يدل على مدى إفلاس أعدائه، وعلى فشلهم الذريع في العثور على ما يستحق أن يعد توهماً لمخالفة صدرت منه «عليه السلام»، مهما كان نوعها، ومقدارها في الصغر، رغم كل جهدهم المبذول في هذا السبيل. ولو أنهم عثروا على شيء من ذلك، فلماذا يجازفون بتعريض أنفسهم لهذه الفضائح التي لا تطاق حين يظهر للناس أنهم يكذبون

على أمير المؤمنين «عليه السلام» عن علم وعمد، وإصرار؟!

الجواب الرصين:

أما فيما يرتبط بكتاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد تضمن ما يلي:

1 - إن هذا الكتاب، قد تضمن بيانات سامية، ووافية، وعلمية لأمور واقعية، لا مجال للشبهة ولا للترديد فيها..

2 - إن أول ما بينه «عليه السلام»: هو أن ثمة شبهاً بين الكتاب وكاتبه. وهذا أمر صحيح، فإن الكتاب يعبر عن ضمير كاتبه، وعن أخلاقه، وعقله، وخصائصه النفسية والروحية. ولذلك قال «عليه السلام»: «أتاني كتابك ليس ببعيد الشبه منك..».

وهذا يعطي: أن على القائد، بل على كل مؤمن أن يمتلك قدرة التحليل، والربط بين الأمور، ولا سيما وهو يتعامل مع أهل الريب، فلا يكون مغفلاً، ولا سقيم الذهن، وأن يستفيد من كل ما يقع تحت يده من مفردات تفيده في استجلاء النوايا، ومعرفة الطموحات، وأن لا يحجزه شيء عن استنطاق الأقوال والأفعال، ومعرفة دوافعها، ومناشئها، وموجباتها، فإنه إن أهمل ذلك فسيكون من المقصرين.

3 - ثم ألمح «عليه السلام»: إلى أن ما حمله الكتاب من دلائل وإشارات إلى أخلاق كاتبه، وإلى نظرته للأمور، وتطاول كاتبه على أقدس المقدسات، وعدم تورعه عن انتهاك المحرمات، يدل: على

مطامع كاتبه بما لا حق له فيه، وعلى جرأته على سلب الحقوق، والعدوان على الناس..

4 ـ ثم ألمح «عليه السلام»: إلى أنه إذا استطاع الحاكم أن يحصل من خلال القرائن والأحوال على اليقين بأمر، فعليه أن يرتب الأثر على هذا اليقين.

ويدل على ذلك: قوله «عليه السلام» لمعاوية: إن علمه «عليه السلام» بحاله.. قد فرض عليه أن يصرف النظر عن موعظته، لأن هذه الموعظة ستذهب سدى.

5 ـ ولكنه «عليه السلام» قد ضم إلى ما علمه عن معاوية بالوسائل المألوفة ـ ضم إليه ـ ما سبق في معاوية من قول رسول «صلى الله عليه وآله»، مما لا مرد له دون إنفاذه.

فيرد هنا سؤال: لماذا لم يكتف «عليه السلام» بما قاله الرسول في شأن معاوية، مع أنه يصرح أيضاً: بأنه «لا مرد له دون إنفاذه»؟! ألم يكن يكفيه قول رسول «صلى الله عليه وآله»؟!

بل إن التأمل في سياق كلامه «عليه السلام» يعطي: أنه «عليه السلام» إنما اعتمد على خصوص ما علمه هو بوسائله.. فجعل له المقام الأول، ثم ضم إليه قول الرسول، مع أن المتوقع هو أن يكون العكس، إن لم نقل: إن المفروض هو أن يكون قول الرسول هو الأساس الوحيد لموقفه، فإن هذا هو مقتضى التسليم المطلق الذي أمر الله به في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ**

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ)[1]. وفي قوله تعالى: **(إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)** [2].

ونجيب:

إن كلامه «عليه السلام» في غاية الدقة، فإن ما كان لديه عن النبي «صلى الله عليه وآله»، إنما هو من الإخبارات الغيبية عما سيكون في المستقبل، ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «مما لا مرد له».

وقد قلنا: إن هذه الإخبارات ليست من الأوامر والنواهي التي يجب العمل بها، لأن ما يجب العمل به هو ما يعلم بالوسائل العادية التي بمتناول أيدي الناس كلهم. ولأجل ذلك: شرب الإمام الرضا «عليه السلام» كأس السم، لأنه علم بالسم بطريق غير عادي، ولو أنه علم به بإقرار من المأمون، أو بإخبار بعض الناس الذين علموا به، أو كان هو «عليه السلام» قد رأى السم يوضع في ذلك الكأس لم يجز له أن يشربه..

وقد شرحنا هذا الأمر في العديد من المواضع في هذا الكتاب، وفي غيره..

(1) الآية 36 من سورة الأحزاب.

(2) الآية 56 من سورة الأحزاب.

على أن من الواضح: أن الإخبار بأمر لا يعني الأمر به أو النهي عنه، بل ذلك يبقى مرهوناً بحركة الواقع العملي الذي يحتاج إلى العلم به، والتعرف عليه.

6 ـ ثم أشار «عليه السلام» إلى ما يعلمه من حال أهل الضلالة والجهالة، فذكر أنهم لا ينتفعون بالمواعظ.. فلا مناص من إيكال أمرهم إلى الله تعالى، ليكون هو الذي يجازيهم بأعمالهم.. فإنه إذا أمكن لأهل الضلالة والطغيان التخلص من الجزاء على أعمالهم في الدنيا، فلا يعني ذلك: أنهم قد نجوا منه بالكلية، لأن الآخرة ستكون بانتظارهم، فلن يكون لهم مهرب من عذاب الله تعالى..

7 ـ ثم إنه «عليه السلام» ذكَّره: بأن تجنيات معاوية، وافتراءه الأباطيل عليه لن ينقص من مقامه، ولن يزيده إلا عزاً في الدنيا، ويمنحه المثوبات في الآخرة..

ولكن ماذا يصنع معاوية بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه وفي أمه وأبيه، فقد قال عنه: لا أشبع الله له بطناً(1).

---

(1) مستدرك الوسائل ج1 ص22 وشرح الأخبار ج2 ص166 و 536 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص140 والعمدة لابن البطريق ص456 والطرائف لابن طاووس ص504 وعين العبرة لأحمد ابن طاووس ص59 والصراط المستقيم ج3 ص47 وكتاب الأربعين للشيرازي ص632 وبحار الأنوار ج22 ص248 وج33 ص190 و 195 و 209 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص465 و 466 ومستدرك سفينة البحار

وقال فيه وفي أبيه: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»(1).

ج5 ص339 ومكاتيب الرسول ج1 ص118 و 161 و 650 وصحيح مسلم ج8 ص27 وشرح مسلم للنووي ج16 ص152 وتحفة الأحوذي ج4 ص128 ومسند أبي داود الطيالسي ص359 وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص23 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1421 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص176 وأبو هريرة لشرف الدين ص202 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص107 و 113 و 125 وطبقات المحدثين بأصبهان ج3 ص34 وأسد الغابة ج4 ص386 وتهذيب الكمال ج22 ص344 وميزان الإعتدال ج3 ص240 وسير أعلام النبلاء ج3 ص123 وفتوح البلدان ج3 ص582 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج8 ص186 ووفيات الأعيان ج1 ص77 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج6 ص189 وج8 ص128 وإمتاع الأسماع ج4 ص399 وج10 ص185 وج12 ص112 و 113 وصفين للمنقري ص220 والمناقب للخوارزمي ص11 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص48 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ص218 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص215 والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص118 و 123 و 199 و 202 و 261.

(1) تذكرة الخواص ص201 والغدير ج10 ص169 عنه، وبحار الأنوار ج30 ص296 وج33 ص208 وكتاب الأربعين للماحوزي ص103 و 374 وعن ربيع الأبرار للزمخشري ج4 ص400 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص465 و 467 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص175.

وقال في أمه ـ بعد أن لاكت كبد حمزة ولم تستطع أن تستسيغها ـ: إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبداً(1).

فإنه إن كان معاوية يكذب، ويزور، ويفتري، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» صادق، ولا ينطق عن الهوى، فقد قال تعالى عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: **(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)**(2).

وهذه الكلمة الأخيرة منه «عليه السلام» في حق معاوية لم تبق لمعاوية باقية، وحسبه بها فضيحة مدوية وحاسمة، تلاحقه عبر الأحقاب والأجيال.

على الإمام معالجة الشبهات:

وذكر الشريف الرضي «رحمه الله» في نهج البلاغة شطراً من كتاب أرسله أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى معاوية، وهو الشطر الأخير منه.. أما شطره الأول فذكره ابن أبي الحديد المعتزلي، وهو التالي:

---

(1) راجع: السيرة الحلبية ج2 ص244 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص413 وراجع: مسند أحمد ج1 ص463 وتفسير القمي ج1 ص117 ومجمع الزوائد ج6 ص110 والبداية والنهاية ج4 ص41 وبحار الأنوار ج20 ص55.

(2) الآيات 3 ـ 5 من سورة النجم.

من عبد الله علي أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان..

أما بعد.. فإن الدنيا دار تجارة، وربحها أو خسرها الآخرة؛ فالسعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصالحة، ومن رآى الدنيا بعينها، وقدرها بقدرها!

وإني لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه؛ ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة، وأن ينصحوا الغوي والرشيد، فاتق الله، ولا تكن ممن لا يرجو لله وقاراً، ومن حقت عليه كلمة العذاب، فإن الله بالمرصاد. وإن دنياك ستدبر عنك، وستعود حسرة عليك.

فاقلع عما أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنك، وفناء عمرك؛ فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل، الذي لا يصلح من جانب إلا فسد من آخر، وقد(1).

ثم يكمل ذلك الرضي «رحمه الله» بما يلي:

وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيِّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات، فجازوا عن

---

(1) نهج السعادة ج4 ص203 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص133 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص50 وبحار الأنوار ج33 ص84 و 85 .

وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولوا على أدبارهم، وعولوا على أحسابهم، إلا من فاء من أهل البصائر، فإنهم فارقوك بعد معرفتك، وهربوا إلى الله من موازرتك، إذ حملتهم على الصعب، وعدلت بهم عن القصد.

فاتق الله يا معاوية في نفسك، وجاذب الشيطان قيادك، فإن الدنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك. والسلام(1).

وهذا تصريح أن قياده الفعلي بيد الشيطان، فإذا أراد أن يخطو خطوة باتجاه الصلاح فعليه أولاً أن يجاذب الشيطان قياده ليحرر نفسه من تبعية الشيطان.

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني:

فكتب إليه معاوية: من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب..

أما بعد.. فقد وقفت على كتابك، وقد أبيت على الغي إلا تمادياً، وإني لعالم أن الذي يدعوك إلى ذاك مصرعك الذي لا بد لك منه، وإن كنت موائلاً فازدد غياً إلى غيك، فطال ما خف عقلك، ومنيت نفسك ما ليس لك، والتويت على من هو خير منك، ثم كانت العاقبة لغيرك،

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص58 الكتاب رقم 32 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص51 و 52 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص132 والنصائح الكافية لابن عقيل ص42.

واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك. والسلام(1).

لكن ابن أعثم قد جعل كتاب معاوية هذا جواباً على كتاب علي «عليه السلام» الذي تقدم ذكره، تحت عنوان: «كتاب نصيحة واحتجاج»، والذي أوله: « أما بعد! قد أتاني كتابك ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك بحق الخ..».

وجواب معاوية عند ابن أعثم كما يلي:

أما بعد! فقد أبيت في الغي إلا تمادياً لابن السوداء عمار بن ياسر وأصحابه، فقد علمت بأنه إنما [لا] يدعوك إلى ذلك إلا مصرعك، وحينك الذي لا بد لك منه، فإن كنت غير منته فازدد غياً، فطاش في المطاولة حلمك، وعزب عن الحق فهمك، وأنت راكب لأسوء الأمور، ومعضل عن الحق بغير فكرة في الدين ولا روية، ثم تكون العاقبة لغيرك. والسلام(2).

قال: فكتب إليه علي:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر.

أما بعد! فإنك من كافر ولدت، فقربت وأشبهت آباءك، وأجدادك، وعمك، وأخاك، وخالك، إذ حملهم الشك [الكفر]، وتمني الأباطيل

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص133 و 134 ونهج السعادة ج4 ص204 وبحار الأنوار ج33 ص85 .

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص435 و (ط دار الأضواء) ج2 ص536.

بالجحود على نبي الله «عليه السلام»، فصرعوا مصارعهم حيث قد علمت، لم يمنعوا حريماً، ولا دفعوا عظيماً.

وأنا صاحبهم في تلك المواطن، [الصالي لحربهم]، والفأل لحدهم، والقاتل لصناديدهم، صناديد الضلالة ومتابعي الجهالة، وأنت خلفهم، فبئس الخلف يتبع السلف في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين(1).

وذكره المعتزلي أيضاً مع اختلاف يسير، وأوله حسب رواية المعتزلي:

أما بعد، فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك، الذين حملهم الكفر، وتمنى الأباطيل على حسد محمد «صلى الله عليه وآله» حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت الخ..(2).

ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى الأمور التالية:

أرديت جيلاً من الناس:

إن الفقرة المتقدمة في الكتاب الأول لأمير المؤمنين «عليه

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص435 و 436 و (ط دار الأضواء) ج2 ص536.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص134 عن المدائني، وبحار الأنوار ج33 ص86 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص52 ونهج السعادة ج4 ص205.

السلام»، وهي التي ذكرها الشريف الرضي «رحمه الله».. قد اختصرت لنا أهداف علي «عليه السلام» من مراسلاته لمعاوية، فقد كان المطلوب: هو استعادة الحياة لذلك الجيل الكثير من الناس الذين أرداهم معاوية بغيِّه، وألقاهم في موج بحره، تغشاهم الظلمات، وتتلاطم بهم الشبهات إلخ..

وقد دلتنا هذه الرسالة بفقراتها العديدة التي شرحت هذا الموضوع: على أن دفع الشبهات، وتزكية الفكر، وتطهير الإعتقاد من الأدران والأوهام، وتحصينهم من الضلالات هو من أهم مسؤوليات إمام المسلمين، التي تستحق منه أن يضحي من أجلها بكل غال ونفيس.

ولنا أن نفهم من هذه الرسالة العلوية المباركة، ومن الظروف التي أحاطت بها: أن الأمر في دفع الشبهات والضلالات لا يقتصر على البيانات الإحتجاجية، بل قد تفرض الحاجة الإستفادة بالإضافة إلى ذلك من الموعظة، والنصيحة، والتهديد، والوعيد، والترغيب، والترهيب، وربما إلى خوض الحروب بالفعل.

وهذا يسقط المفهوم الشائع الذي يقول: إن وظيفة الحاكم هي مجرد سياسة الناس في معائشهم، وحفظ الكيان العام لهم، والتدبير لدفع الأسواء والأعداء عنهم، وحفظ وحدتهم، وتماسكهم، وحل مشكلاتهم، وفصل خصوماتهم، وما إلى ذلك..

فإن الأهم من ذلك: هو حفظ دينهم، ودفع الشبهات والأضاليل

عنهم، بالإضافة إلى تربيتهم، وتزكية نفوسهم، وضبط سلوكهم، وحفظ أخلاقهم.

ولأن معاوية قد أردى جيلاً كثيراً من الناس، وخدعهم بغيّه، كان لا بد لأمير المؤمنين «عليه السلام» من أن يتصدى له، حتى لو كلفه ذلك تعريض نفسه لوقاحات معاوية، وشتائمه، وسبابه، ثم الدخول في الحرب معه.. كما أظهرته رسائله الآنفة، وغيرها مما تقدم وسيأتي بعضه في هذا الكتاب..

ابن السوداء في كلام معاوية:

وقد لاحظنا: أن معاوية قد ذكر «ابن السوداء» في رسالته لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وكأنه يريد أن يتهم علياً «عليه السلام» بأنه قد انقاد لهذا الرجل، وركن إليه..

ولعله قصد به عمار بن ياسر، وقد سبق عثمان معاوية إلى إطلاق كلمة «ابن السوداء» على عمار(1)، لأنه كان هو الشجا المعترض في حلق معاوية وسائر القاسطين، والناكثين، والمارقين..

ووجوده إلى جانب أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي كان يحرجهم، لأن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه سيقتل على

(1) تفسير القمي ج2 ص297 والبرهان (تفسير) ج7 ص276 و بحار الأنوار ج9 ص238 وج30 ص173 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص21 و 80 وتاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج2 ص170.

يد الفئة الباغية كان شائعاً في الأمة. بل كان بعض الناس في صفين يلحق عماراً أينما توجه لكي يطمئن إلى أنه لم يخطئ الطريق(1).

أما ما يقال: من أن المقصود بابن السوداء هو عبد الله بن سبأ، فقد تقدم الحديث عنه في الجزء السادس والعشرين من هذا الكتاب ص110 - 112.

وتقدم أيضاً: أن علياً «عليه السلام» قد قتل ابن سبأ وغيره من الغلاة، كما أننا ذكرنا: أن ثمة شكوكاً حول كون المقصود به هو ابن سبأ، أو غيره. فراجع.

وحتى لو كان يطلق على ابن سبأ: أنه ابن السوداء، أو أي شخص آخر غير عمار، فإننا لم نشعر بأي دور يذكر كان له مع أمير المؤمنين «عليه السلام». أما روايات سيف التي أوردها الطبري، فقد ذكرنا: أن سيف بن عمر كذَّاب وضَّاع، متهم بالزندقة، فراجع ج26 من هذا الكتاب..

---

(1) شرح الأخبار ج1 ص491 عن التلمساني في الجوهرة ص100 والمجموع للنووي ج19 ص162 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1138 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص104 والدرجات الرفيعة ص257 وأسد الغابة ج4 ص46 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص100.

وقاحات معاوية:

ولا نريد أن نلوث قلمنا بمخازي وقذارات معاوية، وسوء أدبه مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، وافتراءاته عليه، ولكننا سنتحدث عن قريب، عما قاله ابن أبي الحديد المعتزلي حول السبب في إفساح أمير المؤمنين «عليه السلام» المجال له ليسطر هذه الترهات في رسائله.. وقد كان بإمكانه أن يقطع الطريق عليه، بالكف عن المراسلة إلا فيما تقتضيه الحاجة من الإحتجاج والموعظة..

وسنذكر: أن ما فعله «عليه السلام» هو الصواب بعينه، فانتظر..

معاوية ولد من كافر، وأشبه آباءه:

وقد قرر أمير المؤمنين «عليه السلام» في رسالته الأخيرة المتقدمة لمعاوية: أن معاوية ولد من كافر، وأشبه آباءه وأجداده، وأخاه، وخاله، وعمه الخ..

ونقول:

1 ـ بالنسبة لقوله «عليه السلام»: «ولدت من كافر» نلاحظ:

ألف: إن للنشأة والمحيط الذي يعيش فيه الإنسان أثراً في روحياته، وفي فكره، وفي مشاعره وميوله، وفي مفاهيمه، وقيمه، وفي أخلاقه، وسلوكه دون أن يصل الأمر إلى حد الجبر.. ويريد «عليه السلام» أن يشير إلى هذا الأمر بالذات.

ب: إن على الإمام والحاكم: أن يأخذ ذلك بنظر الإعتبار، ويجعل

له حيزاً في التعامل معهم، وفي معالجاته للقضايا التي ترتبط بالأشخاص، ويكون لهم دور فيها. فيضع لها من الحلول والمعالجات ما يكون قابلاً للانعطاف، ولاستيعاب تلك التحولات التي تنشأ عن هذه الأحوال.. وأن لا يتفاجأ بالأمور، ولا يؤخذ على حين غرة.

ج: قد ظهر مما قلناه: أنه «عليه السلام» حين قرر أن معاوية قد ولد من كافر، لم يقصد به تعييره والتشفي منه، بل كان يريد بيان حقيقة لها مساس برسم السياسات، واتخاذ القرارات..

د: إنه «عليه السلام» أراد لفت نظر معاوية: إلى أن عليه أن يلتفت إلى نفسه، وأن لا ينقاد لمشاعره وأهوائه، وعليه أن يجذب قياده ويحرره من يد الشيطان كخطوة أولى إذا أراد أن يخطو بالإتجاه الصحيح.

يضاف إلى ذلك: أن للبيئة والمحيط أثراً في تكوين شخصيته، وفي توجيه تصرفاته باتجاه معين.

كما أنه «عليه السلام» يريد للناس أن يعرفوا هذا الأمر في معاوية، وأن يكونوا على بصيرة من أمرهم فيه، فلا يسلموا قيادهم إليه، من دون تأمل، أو تدبر، أو تبصر، بل لا بد لهم من معرفة هذه الأحوال، التي قد تسوقه لاتخاذ قرارات ليست في صالحهم، ولا في صالح الأمة.

2 - وبذلك يتضح المقصود من قوله «عليه السلام» لمعاوية: إنه أشبه آباءه وأجداده الخ.. حيث يلاحظ:

ألف: إن هذا قد جاء ليكون بمثابة النتيجة لكونه ولد من كافر..

ب: إنه «عليه السلام» قد جسَّد للناس حقيقة معاوية، وقدّمه لهم من خلال تقديم المثال والشبيه، وهو الآباء، والأجداد، والأخ، والعم، والخال، فما عليهم إلا أن يقارنوا بينه وبين آبائه، وأجداده.. ليتلمسوا وجوه الشبه بأنفسهم، وليدركوا تجسد صفات الكفر وحالاته في معاوية بصورة مباشرة..

فلم يخبرهم «عليه السلام» عن حاله، بل مهد لهم السبيل لرؤية حاله بأنفسهم. وليدركوا أن من كان كذلك فليس له الحق بأن يلي من أمر الناس شيئاً.

ج: وهذا يعطي: أن على الإمام والحاكم أن يضع الحقائق أمام الناس، وأن يسهل علىهم إدراكها، ولا يكتفي بإصدار الأوامر، ويطلب منهم الخضوع لها، فإن بعض الأمور تحتاج إلى قناعات وجدانية راسخة، تتجاوز مجرد الإنقياد والتعبد، لأن للنوايا وصفائها، والإندفاع الطوعي لها دوراً في تحقيق الغرض منها.. كما هو الحال في قضايا الجهاد التي يطلب فيها بذل النفس، وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى..

د: وبذلك يظهر: أنه لا بد من التفريق بين الأمور، ومعرفة ما يكفي فيه مجرد الأمر والنهي، المستتبع للطاعة كيف اتفق، وبين ما يحتاج إلى تصفية وتزكية، ورضى، واندفاع طوعي..

هـ: بقي أن نشير إلى أنه «عليه السلام» حين قرر شبه معاوية

بآبائه وأجداده كان يعلم أن هذا النوع من البيان قد لا يكفي لدفع الذهن إلى إجراء المقارنة بين معاوية وبين أولئك الآباء والأجداد، لأنه إنما ذَكَر كلمات عامة تشمل الكثيرين.. ولعل الذهن لا ينشط لاختيار واحد منهم بعينه، ليضعه أمامه، ويتفرس فيه ليكتشف صفاته وحالاته، فكان أن انتقل من التعميم إلى التخصيص، فذكر له عمه، وأخاه وخاله.. لكي يبادر الذهن إلى المقارنة بين الأشخاص، الذين حضروا أمامه بالألفاظ الخاصة بهم من دون تعب، أو عناء أو طلب..

3 - ذكر «عليه السلام»: أن الذين يشبههم معاوية قد حاربوا الله ورسوله، فصرعهم الله تعالى ولم يمنعوا حريماً، ولا دفعوا عظيماً.. وهذا يعطي:

ألف: أن معاوية أيضاً يشبههم في ذلك، فهو يحارب دعوة الرسول، ويجحد ما جاء به «صلى الله عليه وآله»..

ب: إن هذا الأمر لا بد أن يكون من أسباب نفور الناس منه، وتخليهم عنه، وعدم قبول دعوته.. لأن الناس لا يرضون بمحاربة الحق وأهله.

ج: إذا كان الذين أشبههم معاوية قد صرعوا بيد علي «عليه السلام» نفسه، فإن معاوية الآن إنما يدعو الناس لمحاربة علي بالذات أيضاً، وهذا يؤشر إلى تشابه شامل في النتائج في الدنيا وفي الآخرة أيضاً..

ويفترض في هذا أيضاً: أن يكون من موجبات رفض الناس

لدعوة معاوية، لبطلانها في نفسها، ولأن مصيرها سيكون نفس مصير آباء وأجداد، وعم وأخ، وخال معاوية..

د: إذا كان معاوية يدَّعي أنه بحربه لعلي «عليه السلام» سيمنع الحريم، وسيدفع عنهم الأمر العظيم، فإن الذين أشبههم معاوية قد ادعوا نفس هذه الدعوى، ولكنهم صرعوا مصارعهم، ولم يمنعوا حريماً، ولم يدفعوا عظيماً.

وهذا شاهد آخر لهم على بوار دعوته، وعدم لزوم نصرته.. ولا سيما إذا كان سيحارب بهم نفس ذلك الذي صرع آباءه، وعمه، وأخاه وخاله..

فإن المصير سيكون نفس المصير، والحرب هي الحرب، والدعوة نفس الدعوة، وستأتي النتائج متشابهة أيضاً..

هـ: إن كون معاوية خلفاً لأهل الضلالة والجهالة، ويدعوهم لحرب نفس الذي حارب آباءه وأجداده، وعمه، وأخاه، وخاله، ومن تابعهم من الضالين، والجاهلين، فإن أحداً من أهل الحكمة والعقل والدين لا يرضى أن يضع نفسه في هذا الموضع، وأن يخاطر بمصيره في الدنيا، ويكون من الخاسرين في الآخرة..

و: إنه «عليه السلام» قد قرر ـ كما في النص المروي عن المدائني ـ: أن سبب ما أتاه أسلاف معاوية من ظلم وبغي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو حسدهم له. مما يعني: أن الدوافع شخصية بحتة. ولم تكن دوافعهم إلى حربه هي قناعاتهم ولا مبادئهم،

ولم تدخل حاجات الأمة، ومصالحها في نطاق اهتماماتهم..

فإذا كان معاوية يشبههم في ذلك، فلماذا يموت الناس من أجل حسد شخصي يعتمل في نفس معاوية، ويؤرقه، ويقض مضجعه؟!

أنا أبو حسن:

ثم يتابع المؤرخون هنا قولهم:

فكتب إليه معاوية:

أما بعد! فإن الرين على قلبك، والغطاء على بصرك، والشرة من شيمتك، والغدر من سجيتك، [والحسد من خليقتك]، فأبشر بالحرب، واصبر للضرب.

فوالله ليرجعن الامر إلى ما قد علمت، والعاقبة للمتقين.

فهيهات هيهات يا علي! أخطأك التمني، وهوى قلبك فيمن هوى، واضمحل عليك علمك، فصار في تباب، بعد التمسك بالكتاب، فاربع على ظلعك، وقس فترك بشبرك، واعرف ذلك من حال من يزن الجبال حلمه، ويفصل بين أهل الشك علمه. والسلام[1].

قال: فكتب إليه علي «عليه السلام»:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص434 و (ط دار الأضواء) ج2 ص536 وراجع: نهج السعادة ج4 ص208 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص135 عن المدائني.

من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر.

أما بعد!

فإن علم الله حال بينك وبين أن يصلح لك، فإنك ابن صخر اللعين [يا ابن الصخر اللعين].

وزعمت أنك يزن الجبال حلمك، ويفصل بين أهل الشك علمك، فأنت المنافق، القاسي [الأغلف] القلب، القليل الفقه في الدين، [القليل العقل، الجبان الرذل].

فإن كنت صادقاً فيما تنتظر [تسطر]، وتصدر، ويعينك عليه الأبتران،

واصبر على مبارزتي، واعف الناس على (لعل الصحيح: عن) القتال، لتعلم أينا الشاك الران (الرائن) على قلبه، المغطى على بصره.

فأنا أبو الحسن حقاً! قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي. والسلام(1).

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص434 و (ط دار الأضواء) ج2 ص536 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص135 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص427 ونهج السعادة ج4 ص209 .

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إسقاط حال المتكلم على المخاطب:

أولاً: لم يكن معاوية يخجل بأن يناقض نفسه، فهو تارة يكتب لمحمد بن أبي بكر، ويصرح في العديد من الموارد: أن الحق في الخلافة لعلي «عليه السلام»، وكان أبو بكر وفاروقه أول من ابتزه حقه، وخالفه على أمره.. فراجع رسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر

ولكنه يصرح هنا بما ينقض ذلك.

ثانياً: إنه لا ريب في أن علياً «عليه السلام» هو الإمام والوصي، وقد شهد له الله تعالى في كتابه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في كثير من المناسبات: بأنه الذي عنده علم الكتاب، وهو الأتقى، والأزهد، والأفضل، والأشجع، وله التقدم في كل خصال الخير والفضل والكمال على البشر جميعاً، وهو الولي، والوصي، والأخ لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما أن كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» في مساوئ معاوية، وكل تاريخ معاوية يشهد عليه بأنه هو المتصف بنفس الأوصاف السيئة التي وصف بها معاوية علياً «عليه السلام» في رسالته ورسائله الأخرى المتقدمة، وفي غيرها مما يأتي إن شاء الله تعالى..

ولكن معاوية يقلب الأمور، فيعمد إلى ما يتصف به هو،

ويسقطه على أمير المؤمنين «عليه السلام» على قاعدة: رمتني بدائها وانسلت. فيصفه ـ والعياذ بالله ـ بالغدر، والرين على القلب، والحسد، وغير ذلك..

ثم يأخذ صفات أمير المؤمنين الحميدة، وكلها كذلك، ويسبغها على نفسه.. على قاعدة: إن لم تستح فاصنع ما شئت.. فيدَّعي لنفسه: الحلم، والعلم، وما إلى ذلك.. كل ذلك لمجرد الإيذاء، ولخداع الناس، والمكر بهم.

وربما يكون هذا التصرف مظهراً لحالة مَرَضِيَّة كان معاوية يعاني منها..

أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد كان لديه الجواب الكافي، والبيان الشافي، فإنه «عليه السلام» قد وصف حال معاوية كما هو. ولم يزد عليه حرفاً، ولا تجنى عليه بشيء.

وقد ذكرنا فيما تقدم، وسيأتي: أنه «عليه السلام» لم يذكر ذلك على سبيل التشفي، والإنتقام، أو لمجرد المقابلة بالمثل، بل لبيان الواقع، لكي يزيل الغشاوة عن عيون الناس، ولأسباب أخرى ألمحنا إلى شيء منها فيما مضى، وسنلمح إلى بعضها فيما يأتي إن شاء الله تعالى..

أما فيما يرتبط بشجاعة علي «عليه السلام» أو معاوية، فإنه «عليه السلام» اقترح عليه الخضوع لامتحان يبين الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل..

وهو أن يعفي الناس من القتال، ويبرز إليه، ليكون الإحتكام إلى السيف.

الأبتران:

وقد ذكر «عليه السلام»: «الأبترين» في رسالته، والظاهر: أن المقصود بهما: عمرو بن العاص، وابنه، فإن عمرواً هو المقصود بقوله تعالى: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**)(1).

ولعله «عليه السلام» عطف ابنه عليه، لأنه موافق ومعين له على ما هو عليه.

أو لعله لأجل أنه ليس من الخلف الصالح الذي تقر العين به، بل يكون وجوده كعدمه، إن لم يكن وجوداً مضراً وشائناً.

وقد يكون المقصود بالأبتر الآخر شخص آخر.. والله هو العالم.

متى كانت هذه المراسلة؟!:

قد يقال: إن هذه المراسلة كانت ـ فيما يظهر ـ في حرب صفين، لا قبل مسيره «عليه السلام» من الكوفة.. ويدل على ذلك: دعوته «عليه السلام» معاوية ليبارزه، ويعفي الناس من القتال..

وربما كان هذا كلاماً مقبولاً.. إلا أن يقال: إن الحديث عن الحرب والقتال، والتهديد والوعيد كان قائماً منذ كان «عليه السلام»

---

(1) الآية 3 من سورة الكوثر.

في الكوفة، كما أن الإستعداد لذلك كان على قدم وساق.. وكانت المراسلات بذلك متواصلة.

فلا شيء يمنع من طرح هذا الإقتراح منه «عليه السلام» على معاوية في وقت مبكر ليعرف الناس، ولا سيما أهل الشام: أن معاوية يريد أن يقاتل بهم للوصول إلى مآربه، ولا يهمه من مات منهم ومن عاش أما علي «عليه السلام» فيود لو يفتدي الناس بنفسه، لتكون لهم السعادة والحياة والمجد، والمقام المحمود في الدنيا والآخرة.

ولعل الرسالة الآتية عن قريب، التي أرسلها معاوية إلى علي «عليه السلام»، ثم الرسالة التي أرسلها إليه علي «عليه السلام» إليه تدلان على أن هذه المكاتبات قد كانت في حال الاستعداد للحرب، لا في ميدان القتال..

أنا قاتل جدك وعمك، وأخيك، وخالك:

وقد كانت رسائل معاوية مشحونة بالتجنيات، وبالسباب والشتائم..

أما كتب علي «عليه السلام»، فكانت تتضمن وصف حال معاوية، وذكر أفعاله، ومدى قيمتها وقيمة أقواله.. لأن ذلك كله يبطل ما يدعيه معاوية لنفسه من أهليته للتصدي لأمر الخلافة..

هذا بالإضافة إلى الحجج والبراهين التي كان «عليه السلام» يوردها فإنها كانت حاسمة وقاطعة، ولا يستطيع أحد دفعها أو النقاش

فيها.

وكان لهذه الحجج والوقائع التي يوردها أثراً في إظهار جرأة معاوية على مخالفة ما أمر الله ورسوله به، والتوثب على ما لاحق له فيه.

أما السباب والشتائم، فكان «عليه السلام» يعالجه بإلماحات خاطفة، تعرِّف الناس بدوافع معاوية لسبه وشتمه «عليه السلام»..

ومن هذه الإلماحات قوله «عليه السلام»: إنه هو الذي قتل جده، وأخاه وخاله يوم بدر، وقد أورد هذا على سبيل الإخبار بأمر قد حصل، ولم يزد «عليه السلام» شيئاً على قوله هذا..

فكان طبيعياً أن يعرف الناس أن معاوية موتور من علي «عليه السلام» بأمر عظيم عنده، وأنه لا يستطيع أن يطالبه بوتره هذا بصورة علنية، لأن ذلك يعلي من شأن علي، ويفضح معاوية.. لأن قتل علي «عليه السلام» لهؤلاء المشركين هو من فضائل علي «عليه السلام»، لأنه لم يقتلهم عدواناً ولا ظلماً، بل قتلهم دفاعاً عن الحق والدين.. وهو من مخازي معاوية لأنه يثبت أن أقرب الناس إليه كانوا من أشد الناس على رسول الله الذي يسعى هو الآن لتبوء موقعه، ويكون خليفة له، وحاكماً باسمه، ويريد أن يستطيل على الناس ويفتخر عليهم بقرابته منه، وكونه من عشيرته.. ويجعل قرباه منه ذريعة للتسلط عليهم..

وكل ما ذكرناه يوضح أن معاوية لم يكن قادراً على تسجيل

مؤاخذة لعلي «عليه السلام» لأجل قتله جده وأخاه وخاله.. وأن سبابه ليس لأجل خطأ ارتكبه «عليه السلام»، بل لأجل حقد شخصي كان يغلي كالمرجل في داخل ذاته. وهو حقد لا مبرر له، بل هو حقد مدان، ومرفوض. وسببه أمر هو من مفاخر علي «عليه السلام»، ومن موجبات الثناء عليه، ويعد من فضائله.

وبذلك يصبح سباب معاوية لعلي «عليه السلام» من أسباب مذمة معاوية ومن موجبات ارتفاع شأن علي «عليه السلام»، ويعرف الناس بجهاده ومقاماته في الدفاع عن الحق والدين..

من الذي يروغ كالثعلب؟!:

قال: فكتب إليه معاوية:

أما بعد! فقد طال في الغي إدراجك، وعن الحرب إبطاؤك، وعن النفاق تقاعسك، وعن الوقوف جداتك.

وتوعد وعيد البطل المحامي، [فتوعد وعيد الأسد]، وتروغ روغان الثعلب المواري، ما أَعَدَّكَ لكتاب، وأَكَلَّكَ عن الضراب الذي لا بد لك فيه من لقاء أسباب (لعل الصحيح: شباب)، صادقة نياتهم، شديدة بصائرهم، يضربون عن الحق من التوى، ويوفون بالعهد من إليهم ضوى.

وما أقرب ما تعرف إن لم يتداركك الله منه برحمته، ويخرجك من أثر الغواية التي طال فيها تجبرك، وعن قريب تعرف عاقبة

فعلك، وكفى بالله عليك رقيباً. والسلام[1].

[وفي نص المعتزلي: فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية، والأفاعي القاتلة، ولا تستبعدنَّها، فكل ما هو آت قريب إن شاء الله. والسلام][2].

قال: فكتب إليه علي:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر..

أما بعد! فالعجب لما تتمنى وما يبلغني عنك، وما أعرفني بمنزلتك التي أنت إليها كائن، وليس إبطائي عنك إلا [ترقباً] لوقت أنا به مصدق وأنت به مكذب.

وكأني بك وأنت تعج في الحرب عجيج الجمال بأثقالها، وكأني بك وأنت تدعوني ـ يا ابن آكلة الأكباد ـ جزعاً من النفاق المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بين مصارع ـ إلى كتاب الله، وأنتم به كافرون، لحدوده جاحدون.

[وفي نص المعتزلي: إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم، وتجحدونه بقلوبكم. والسلام][3].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص436 و (ط دار الأضواء) ج2 ص537.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص134 عن المدائني، وراجع: نهج السعادة ج4 ص206 وبحار الأنوار ج33 ص86.

(3) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص134 عن المدائني، وراجع:

قال: فقال له عمرو بن العاص: ويحك يا معاوية! إلى كم تكاتب علياً؟ فوالله لو اجتمع عليه كل كاتب بأرض الشام لما قدروا على إجابته! فحسبك من مكاتبته، واعزم على محاربته أو مسالمته[1].

لَيتمن النور عل كرهك:

وقد زاد المدائني هنا:

أن معاوية كتب مرة أخرى إلى علي «عليه السلام»:

أما بعد، فدعني من أساطيرك، واكفف عني من أحاديثك، واقصر عن تقولك على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وافتراءك من الكذب ما لم يقل، وغرور من معك، والخداع لهم، فقد استغويتهم.

ويوشك أمرك أن ينكشف لهم، فيعتزلوك، ويعلموا أن ما جئت به باطل مضمحل. والسلام[2].

فأجابه «عليه السلام»:

أما بعد، فطالما دعوت أنت وأولياؤك، أولياء الشيطان الرجيم

مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص53 وبحار الأنوار ج33 ص86 ونهج السعادة ج4 ص206 و 207.

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص436 و 437 و (ط دار الأضواء) ج2 ص537.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 16 ص 135 عن المدائني، وبحار الأنوار ج33 ص86 ونهج السعادة ج4 ص207.

الحق(1) أساطير الأولين، ونبذتموه وراء ظهوركم، وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

ولعمري، ليتمن النور على كرهك، ولينفذن العلم بصغارك، ولتجازين بعملك، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك، فكأنك بباطلك وقد انقضى، وبعملك وقد هوى، ثم تصير إلى لظى، لم يظلمك الله شيئاً، وما ربك بظلام للعبيد(2).

---

(1) أي أنك لطالما قلت عن الحق: إنه أساطير الأولين.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص135عن المدائني، وراجع ج15 ص83 وبحار الأنوار ج33 ص 86 و 87 ونهج السعادة ج4 ص207 و 208 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص53.

الفصل

المراسلات بنظر المعتزلي..

الرسائل بنظرة عامة:

1 - إن بعض الفقرات التي ترد في رسائله «عليه السلام» تبدو غير مفهومة، أو فقل: غير مستقيمة، ولعل سبب ذلك: هو سقم النسخ المخطوطة التي اعتمدت عند طبع الكتاب.. ونحن لم نحاول الدخول في هذا المجال، لأننا أدركنا أن أكثر ما سنقوله سيكون مجرد حدس وتخمين، لا يغني عن الحق شيئاً.

2 - إننا بعد هذه الجولة بين الرسائل المتبادلة بين علي «عليه السلام» ومعاوية.. نقر ونعترف بعجزنا عن إيفاء أمير المؤمنين «عليه السلام» شيئاً من حقه.. فلا مناص من الإختصار، والإقتصار هنا على ما ذكرناه.. وسنورد بعض الرسائل في المواضع التي تقتضي ذلك إن شاء الله تعالى.

غير أننا هنا نضيف ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي، ثم نسجل عليه بعض مؤاخذاتنا.. ونصرف الإهتمام إلى النظر في سائر ما جرى في مسيره «عليه السلام» إلى صفين، فنقول:

قال المعتزلي:

قلت: وأعجب وأطرب ما جاء به الدهر ـ وإن كانت عجائبه وبدائعه جمة ـ: أن يفضي أمر علي «عليه السلام» إلى أن يصير معاوية نداً له، ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب، والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له علي «عليه السلام» كلمة إلا قال مثلها، وأخشن مساً منها.

فليت محمداً «صلى الله عليه وآله» كان شاهد ذلك؛ ليرى عياناً لا خبراً: أن الدعوة التي قام بها، وقاسى أعظم المشاق في تحملها، وكابد الأهوال في الذب عنها، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيَّد أركانها، وملأ الآفاق بها، خلصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذبوه، لما دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لما حض عليها، وأدموا وجهه، وقتلوا عمه وأهله.

فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان، وقد مر بقبر حمزه، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به!

ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية علياً، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء.

إذا عيّر الطائي بالبخل مادِرٌ وقَرَّع قُسَّا بالفهاهة باقلُ
وقال السها للشمس: أنت خفية وقال الدجى: يا صبح لونك

حائـــل

وفـاخـرت الأرض السـماء سفاهة وكـــــاثرت الشــــهب الحصـــا

والجنــادل

فـيـا مــوت زر إن الـحيـاة ذميمة ويـــا نفـــس جــدي إن دهــرك

هازل(1)

ثم أقول ثانياً لأمير المؤمنين «عليه السلام»: ليت شعري، لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية؟!

وإذا كانت الضرورة قد قادت إلى ذلك، فهلَّا اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة، من غير تعرض للمفاخرة والمنافرة!

وإذا كان لا بد منهما، فهلَّا اكتفى بهما من غير تعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله، وبأشد منه.. **(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..)**(2).

وهلَّا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السفيه الأحمق..

هذا.. مع أنه القائل: من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون! أي افتروا عليه، وقالوا فيه الباطل.

---

(1) لأبي العلاء، سقط الزند 533.

(2) الآية 108 من سورة الأنعام.

أيها الشاتمي لتحسب مثلي إنما أنت في الضلال تهيم[1]
لا تسبنني فلست بِسِبِّي إن سِبِّي من الرجال الكريم[2]

وهكذا جرى في القنوت واللعن، قنت بالكوفة على معاوية، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه عمرو بن العاص، وأبا موسى، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، فبلغ ذلك معاوية بالشام، فقنت عليه، ولعنه بالصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن، والحسين، وابن عباس، والأشتر النخعي.

ولعله «عليه السلام» قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ ما يغيب عنا الآن، ولله أمر هو بالغه![3].

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي:

ضرورة فضح أهل الباطل:

إنه إذا كان ابن أبي الحديد وأضرابه يعرفون معاوية، فإن كثيرين آخرين لا يعرفونه على حقيقته، وقسم منهم من المسلمين البعيدين عن حركة العلم والعلماء، أو يعيشون في المناطق النائية، أو يستقلون

---

(1) لعبد الرحمان بن حسان بن ثابت يهجو مسكيناً الدارمي.
(2) السب بالكسر: الذي يسابك.
(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص136 و 137.

بتجاراتهم وبزراعتهم.. فكيف إذا كانوا ممن رباهم معاوية وحزبه، وأشياعهم، الذين يهمهم التستر على الحقائق، وتسويق الأباطيل، وإشاعة الترهات والأضاليل؟!

وحين ينشأ جيل جديد، فإنه سيحتاج إلى تعليم وتفهيم، وجهد لتعريفه بحقيقة ما جرى، ليصبح قادراً على التمييز بين الصحيح والسقيم، ومعرفة المحق والمبطل، والمؤمن وغير المؤمن. وهو أمر لا بد منه حين يكون لهذه المعرفة أثر في الناحية الإعتقادية، وفي الثقافة الدينية.

فإذا تقادم العهد، وتعاقبت الأجيال، فإن الحاجة تصبح ماسة لهذا التعليم، وأكثر ضرورة لهذا التمييز.. لأن إمكانية تسلل الشبهة فيها تصير أكبر، وأثرها في إحداث الإختلال في المعارف الإعتقادية والإيمانية يصبح أعظم وأخطر. وقد قال «عليه السلام»، وهو يصف حال الناس الذين عاصروه، وهبت على عقولهم رياح تزوير الحقائق: «وهلك من يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف».

هذا كله.. بالنظر إلى مجمع أهل الإيمان، أما بالنسبة لغيرهم، ممن يريد الإطلاع على حقائق هذا الدين، ومعرفة دعاته، وحماته، والوقوف على شرائعه، واعتقاداته، وفهم حقائقه وتاريخه، وسياساته. وما جرى له وفيه. إما توطئة للتشرف بالدخول فيه، أو لغير ذلك من أسباب، فإن الوافد إليه من خارجه لا يميز بادئ ذي بدء بين علي ومعاوية، ولا بين عمار بن ياسر وعمرو بن العاص.

فإذا قيل له: إن معاوية صحابي صحيح الإيمان والسلوك، ملتزم بأحكام الشريعة، ثم اطَّلع على أفاعيله وأباطيله، فسيظن أنها تعبر عن حقائق الإسلام ومفاهيمه، وتجسد شرائعه وسياساته، فهل تراه سوف يرضى بالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن كتاباً، وبمعاوية إماماً؟!

فإذا رأى علياً «عليه السلام» وهو ابن عم النبي «صلى الله عليه وآله»، والأخ والوصي، المجاهد بين يديه، والمدافع عن هذا الدين، والفادي له بروحه وبكل ما لديه، وقد رباه الرسول، وزوجه البتول. وهو المنصوب من قبله إماماً للأمة يوم الغدير، فسيرى شخصيته تناقض شخصية معاوية. ولن يستطيع أن يقنع نفسه بأن كلاً من علي ومعاوية يمثلان الإسلام في نهجه وسياساته وأخلاقياته وما إلى ذلك، لأن ذلك يعني: أن يعتقد بأن الإسلام يجمع بين المتناقضين.. وهذا غير معقول.. فإن كان هذا الإنسان غير قادر على البحث وتمحيص الحق من الباطل، فإنه سوف يقع في الحيرة والإرتباك، إلا أن يتداركه الله بلطف منه، ويفتح بصيرته على الحق، ويقيض له من يأخذ بيده إلى الحق، ويعرفه بأنه لا يمكنه أن يأخذ هذا الدين من معاوية وأضرابه، ولا يمكن نسبة ما يصدر عنه وعنهم من أقوال وأفعال إلى هذا الدين..

ضرورة إقامة الحجة:

وإذا كانت الأمور قد انتهت بين علي «عليه السلام» ومعاوية.. إلى الحرب، فلا بد من إقامة الحجة، ليس فقط على معاوية، وإنما على

كل الناس الذين يمكن أن يؤازروه، ومناصروه يحاربوا تحت لوائه، حيث لا بد من بذل الوسع، من أجل إزالة الغشاوة عنهم، وهداية من يمكن هدايته منهم..

ولا شك في أن لهذه المراسلات أكبر الأثر في إظهار الحقائق، وتعريف الناس بواقع معاوية، وأساليبه، ليحيا من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

وذلك يوضح السبب في فتحه «عليه السلام» باب المكاتبة بينه وبين معاوية.

من الذي مهد لمعاوية؟!:

أما ما ذكره المعتزلى، من أن الأمور قد آلت إلى أن يصير معاوية نداً لعلي «عليه السلام»، ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب والجواب.. فليس في محله.

أولاً: لأن ذلك لم يكن من صنع علي «عليه السلام»، وإنما هو من صنع السابقين عليه، الذين مهدوا لمعاوية، وأولهم أبو بكر وعمر، فهما اللذان مهدا لمعاوية مهاده، وأقاما له عماده.. وكما صرح به معاوية في رسالته لمحمد بن أبي بكر التي قدمناها حين الكلام عن توليته مصر من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام».

ثانياً: إن المواجهة بالقول لا تختلف عن المواجهة في ميدان القتال، ومن المعلوم: أن أبا سفيان قد حارب رسول الله «صلى الله

عليه وآله» وواجهه في ميادين الحرب والقتال في بدر، وأحد، والخندق، وحنين.. وما إلى ذلك.. فهل أنقص ذلك من مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ثالثاً: إنه بعد أن أوجب الله تعالى حرب الناكثين والقاسطين والمارقين، كان يجب على أمير المؤمنين «عليه السلام» إلزامهم بالحجة، واستخراج دخائلهم، ليعلم بها الخاص والعام، حتى لا يغتر بمظاهرهم الخادعة السذج والبسطاء، ليحيا من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة؟! وليس له «عليه السلام»: أن يبادر إلى السيف، قبل أن يظهر للناس الحق، ويزيل الغشاوة عن أبصارهم..

رابعاً: يجب على أمير المؤمنين بيان حال الغواة والظالمين، وهذه المراسلات كانت ضرورية لذلك، فلم يكن الغرض منها مجرد انتقاص معاوية وحزبه، وسبهم، والتشفي منهم بذلك، بل الغرض هو بيان فقدانهم للميزات والمؤهلات التي يفترض توفرها بمن يتصدى لمثل ما يتصدون له.. وتعريف الناس باتصافهم بضدها.. ليكونوا على بينة من أمرهم، وليكتشفوا ما يمارسه هؤلاء الناس عليهم من تدليس وغش، وادعاء ما لا يحق لهم ادعاؤه..

أما معاوية، فهو حين يفتري، ويسب، ويتشفى بالتجريح والإنتقاص.. فإنما يسهم في انكشاف حقيقته أمام الناس، فهو كالساعي إلى حتفه بظلفه، فيكون «عليه السلام» قد قدم لهم الدعوى مع شاهدها الحي، ودليلها الظاهر على لسان معاوية نفسه.

لماذا يفاخر علي × معاوية؟!:

وقد اعترض ابن أبي الحديد على أمير المؤمنين، لأجل دخوله في المفاخرة مع معاوية كما يفاخر الأكفاء والنظراء.

وهو اعتراض لا مورد له، لأنه «عليه السلام» لم يكن يهدف إلى الإستعراض، وإرضاء الذات، وليحصل على النشوة والزهو، فقد كان الله تعالى قد رضيه أخاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل طاعته طاعة لرسوله، وهو وزيره وباب مدينة علمه.. وكان «عليه السلام» يصرح بأن مما ظلم به علي «عليه السلام» أن صار يقرن إلى عثمان ومعاوية وغيرهما.. بل كان لأجل أن الحجة اقتضته، وفرضه إقناع الناس بالحق، بعد أن كان هناك تشويه متعمد لصورة علي «عليه السلام»، وغمط لحقه، وحق أهل البيت «عليهم السلام»، وبني هاشم بصورة عامة من قبل مناوئيهم، وغاصبي حقهم، ومن تابعهم من أشياعهم وأتباعهم..

فكان لا بد من تعريف الناس بمزاياه «عليه السلام»، وتفرده بالفضائل. وتذكيرهم أيضاً، بأحوال معاوية، وحزبه، وكل من ينتمي إليه، وبما لهم من قبائح وشناعات، ورذائل ومخزيات، ليكون الناس على بينة من أمرهم، ويعرفوا من يختارون، ومع من يكونون..

ولأجل ذلك تجده «عليه السلام»، يقدم للناس وصفاً دقيقاً لحال معاوية، فهو يقول في إحدى رسائله المتقدمة:

«وأنت الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل، الجبان

الرذل إلخ..».

ثم طلب منه: أن يدع الناس جانباً ويبرز إليه، ويعفي الفريقين من القتال.. «ليعلم أينا المرين على قلبه، المغطى على بصره، فأنا أبو الحسن قاتل جدك، وأخيك، وخالك.. إلخ..».

علي × يلعن معاوية في قنوت الصلاة:

وقد أخذ المعتزلي على علي «عليه السلام»: أنه قد لعن معاوية في القنوت، وفي الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه ابن العاص، وأبا موسى، وأبا الأعور، وحبيب بن مسلمة.. فبلغ ذلك معاوية، فقنت عليه، ولعنه في الصلاة وخطبة الجمعة، وأضاف إليه الحسن والحسين، وابن عباس والأشتر..

وهو اعتراض لا معنى له.

فأولاً: قد روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قوله: «علي مع الحق والحق مع علي».. وروي أيضاً: أنه مع القرآن، وهذا ما يعترف به الخاص والعام، بما فيهم ابن أبي الحديد نفسه.

فإذا كان «عليه السلام» قد لعن معاوية وصحبه، فلا بد أن يكون هذا اللعن حقاً شرَّعه له القرآن، وحتمه عليه تكليفه الشرعي.. فهو عبادة يثاب عليها، بل واجب وتكليف لا يتخلف عنه «عليه السلام». بل إن محاربته لعلي «عليه السلام» وعداوته له، ثم مبادرته إلى لعنه سواء أكان ذلك قبل لعن علي «عليه السلام» أو بعده لا يبقي مجالاً

للشبهة في جواز لعنه ووجوب البراءة منه.

أما ما أقدم عليه معاوية من اللعن له، ولأهل البيت «عليهم السلام»، وبعض شيعتهم الذين أمر الله تعالى في كتابه كل مسلم بحبهم، فلا شك في أنه معصية، وجرأة على الله سبحانه. وهو دليل على بغضه لعلي «عليه السلام» ولأهل بيته وشيعته، ويصير بذلك مصداقاً لقوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: لا يبغضك إلا منافق..

وعلى هذا، فلا يصح قياس ما فعله معاوية، بما فعله علي«عليه السلام».. ولا سيما بعد أن أخبره النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبر الأمة: بأن معاوية وفريقه هم القاسطون الذين أمر الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقتالهم، وأوجب تعالى على الأمة محاربتهم تحت لوائه «عليه السلام».

ثانياً: يجب على كل مسلم التولي لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله تعالى.. وقد قال تعالى عن تولي أعداء الله: (**..وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[1].. وقال تعالى عن إبراهيم، وأبيه: (**..فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**)[2].

---

(1) الآية 57 من سورة المائدة.

(2) الآية 114 من سورة التوبة.

وقال تعالى بالنسبة للبراءة من الكافرين، ولو كانوا من الأرحام والأولاد: (**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ**)(1). ولا شك في أن المنافق كافر، وهو أشد خطراً وأذى من المعلن بكفره وحربه..

ثالثاً: إن الله تعالى قد ذكر في كتابه الكريم: (**الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**)(2). وصرحت الروايات بأن المقصود بنو أمية(3). فما معنى أن يلوم المعتزلي علياً في لعن أهم رجال بني أمية وأشدهم حرباً للإسلام وأهله. وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا علي حربك حربي، وسلمك سلمي(4). وعنه «صلى الله عليه وآله»: من

---

(1) الآية 4 من سورة الممتحنة.

(2) الآية 60 من سورة الإسراء.

(3) تفسير العياشي ج3 ص297 و298 وتفسير القمي ج2 ص21 ومجمع البيان ج6 ص434 وتفسير البرهان ج2 ص424 عمن تقدم، عن الثعلبي، وفضيلة الحسين. وراجع: الدر المنثور ج4 ص191 عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر، والغدير ج8 ص248 ـ 250 عن عشرات المصادر فليرجع إليه من أراد.

(4) راجع: مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص50 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج18 ص24 وينابيع المودة ص85 و 71 وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج2 ص179 وبحار الأنوار (ط مؤسسة الوفاء) ج37 ص72 وج40 ص43 و 177 و 190 وروضة الواعظين ج1 ص113 وتلخيص الشافي ج2 ص135 وراجع: ميزان الإعتدال ج2 ص75 ولسان الميزان ج2 ص483، ففيهما حديث معناه ذلك أيضاً،

سب علياً فقد سبني(1).

والأمالي للطوسي ج1 ص374 وج2 ص100 والأمالي للصدوق ص343 وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص440 وج4 ص258 وج7 ص296 وج13 ص70 عن مصادر كثيرة.

(1) ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص52 و48 و282 و187 و247 و246 و (ط دار الأسوة) ج1 ص152 وج2 ص102 و 156 و 274 و 278 و 395 والكواكب الدرية ج1 ص39 وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص24 و (ط مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران) ص99 والمستدرك للحاكم ج3 ص121 والمناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص89 و81 والرياض النضرة ج2 ص166 وذخائر العقبى ص66 والبداية والنهاية ج7 ص354 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص391 ومجمع الزوائد ج9 ص130 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص133 وتاريخ الخلفاء ص67 وجزء الحميري ص28 والجامع الصغير ج2 ص525 و (ط دار الفكر) ج2 ص608 والصواعق المحرقة ص174 وأخبار الدول ص102 والبيان والتعريف ج2 ص218 ونظم درر السمطين ص105 ومسند أحمد ج6 ص323 ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج5 ص30 ونور الأبصار ص101 والأمالي لابن الشجري ج1 ص136 وفردوس الأخيار ج4 ص189 ومناقب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص394 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج2 ص184 وج3 ص261 وحياة الصحابة ج2 ص774 وكنز العمال (ط الهند) ج12 ص202 و (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص573 و 602 وتفسير فرات ص138 وفهرست منتجب الدين ص352

ابن أبي الحديد يعلِّم علياً × السياسة!!:

وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص132 وج30 ص179 وج42 ص266 و 533 ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه ص81 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص634 والأمالي للصدوق ص157 وعيون أخبار الرضا ج1 ص72 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص224 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص598 وشرح الأخبار ج1 ص155 و 156 و 167 و 171 والأمالي للطوسي ص85 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص205 و 420 والأربعون حديثاً لابن بابويه ص97 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص21 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص29 والفضائل لابن شاذان ص96 والعقد النضيد ص181 والصراط المستقيم ج3 ص85 وعوالي اللآلي ج4 ص87 وكتاب الأربعين للشيرازي ص469 وبحار الأنوار ج24 ص14 وج27 ص227 وج31 ص339 وج39 ص311 و 312 وج40 ص77 وج44 ص91 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص165 والمراجعات ص245 و 383 والنص والإجتهاد ص499 و 500 والغدير ج2 ص300 وج7 ص194 وج8 ص164 و 265 وج10 ص213 و 279 و 371 وتنبيه الغافلين ص141 و 180 وبشارة المصطفى ص313 وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص64 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص65 و 66 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص250 و 294 والنصائح الكافية ص93.

والأعجب والأغرب هنا: أن نجد ابن أبي الحديد

المعتزلي ينصب نفسه معلماً لعلي «عليه السلام» يملي عليه توجيهاته السياسية، ويخطئه تارة، ويصوبه أخرى، ويختار له ما هو أصوب ثالثة.. وكأن علياً «عليه السلام» كان قاصراً عن فهم ما فهمه ابن أبي الحديد هذا.

فهو يرى علياً «عليه السلام» مثلاً مخطئاً في تبادله الرسائل مع معاوية، وكأنه يزعم: أن ما دفعه «عليه السلام» إلى ذلك هو الحنق... أو حب الدفاع عن نفسه كشخص.

مع أننا قد ذكرنا: أن الأمر ليس كذلك، بل هو عمل بالواجب، وبيان للحقائق، بهدف إقامة الحجة، وفتح أبواب الهداية للناس.

ثم يتنازل المعتزلي، ويفترض أن تكون هناك مصلحة اقتضت هذه المراسلات، فيتمنى لو أن علياً «عليه السلام» اقتصر على المواعظ، ولم يتطرق إلى ما عدا ذلك من الأمور الحساسة..

وقد بيَّنَّا: أن هذا غير صحيح، ولا يفي بالغرض، وأن ما صنعه «عليه السلام» كان عين السداد والرشاد، ولا نريد أن نقول للمعتزلي أكثر من ذلك.

علي × ليس سباباً:

وقد تمنى المعتزلي هنا أيضاً: لو أن علياً «عليه السلام» لم يدخل مع معاوية في المفاخرات..

وكأنه قد فهم أنها ـ كما تقدم ـ كانت لأجل إثارة حالة من الإنتعاش والزهو الذاتي لدى علي «عليه السلام».

ثم تمنى ابن أبي الحديد لو أن علياً «عليه السلام» لم يدخل في عملية السباب مع معاوية..

وهذا غلط فاحش يرتكبه ابن أبي الحديد في حق علي «عليه السلام».. فإن أمير المؤمنين لم يكن سباباً، وحاشاه من ذلك.. بل كان بصدد بيان الحالات والأوصاف الذاتية لمعاوية، ويسرد التصرفات الشخصية وغيرها مما يدل على عدم أهليته لما يسعى إليه، من نيل مقام الخلافة.

ثم تمادى المعتزلي في تجنيه وجرأته على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فاتهمه بأنه قد ناقض نفسه حين نهى عن مواجهة الناس بما يكرهون، لأن ذلك يدعوهم إلى تعمد الأكاذيب، وقول الباطل..

وقد ظهر مما تقدم أيضاً: أن علياً «عليه السلام» لم يفعل إلا ما أوجبه عليه الشرع والدين، من إظهار أحوال وصفات معاوية، ليعرف الناس بأنه يفقد جميع الميزات والصفات التي تؤهله إلى ما يرشح نفسه له..

وأن معاوية هو الذي كان يفتري ويتجنى، ويقول الباطل، ويبدو أنه أدرك ما يرمي إليه «عليه السلام»، فكان يريد الإيحاء بأن ما يصدر عن أمير المؤمنين «عليه السلام» لا واقع له، بل هو سب بسب، دعاه إليه حنقه، وحبه الإنتقام لنفسه.

وقد جاء في الكتاب الذي تقدم ذكره، ونقلنا شطره عن نهج البلاغة، قوله «عليه السلام» لمعاوية: «وأرديت جيلاً من الناس كثيراً، خدعتهم بغيك، وألقيتهم في موج بحرك إلخ..». وهذا هو البيان الوافي، والجواب الشافي على كلام ابن أبي الحديد، ويدلنا على أسباب مجاراته لمعاوية في رسائله، وصبره على ما كان يسطره من أضاليل وأباطيل، وسباب وشتائم.

لو رأى الرسول ' عاقبة تعبه!!:

وقد تمنى ابن أبي الحديد لو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان حياً، ورأى ما انتهى إليه حال دعوته التي جاهد من أجلها، وأنها صارت بيد أعدائه..

ولكننا نقول لابن أبي الحديد:

ألا يكفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه رأى بعض المعروفين وأهل النفوذ من أصحابه يتجرأ على النبي «صلى الله عليه وآله» في مرض موته، على مرأى ومسمع منه «صلى الله عليه وآله»، ويمنع الناس من تقديم قلم ودواة له ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده. ويقول عنه: إن الرجل ليهجر؟!

وألا يكفيه «صلى الله عليه وآله» أنه رأى أيضاً: كيف أن أصحابه يمتنعون عن تنفيذ جيش أسامة، بالرغم من إصراره الشديد عليهم. ولعنه من تخلف عن جيش أسامة بضورة صريحة وواضحة؟!

وهو قد رأى أيضاً: كيف أن الناس منعوا النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع من بلوغ مراده، ولم يمكنوه من إتمام خطبته يوم عرفة، وفي منى، وصاروا يقومون ويقعدون .. وضجوا وعلا صراخهم..

ولماذا لا يتمنى ابن أبي الحديد حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليرى كيف انقلب أصحابه على أعقابهم، بتركهم ما قرره الله ورسوله في أمر علي «عليه السلام»، أو حين هوجم بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وضربت، وأسقط جنينها، ومنعت حتى من البكاء على أبيها، وأخرجت من بيتها؟! إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه..

أسباب حملاتهم على علي ×:

[و] من كلامه «عليه السلام»، وقد بلغه عن معاوية وأهل الشام ما يؤذيه من الكلام، فقال:

الحمد لله قديماً وحديثاً ما عاداني الفاسقون، فعاداهم الله.

ألم تعجبوا!! إن هذا لهو الخطب الجليل، أن فساقاً غير مرضيين، وعن الإسلام وأهله منحرفين، خدعوا بعض هذه الأمة، وأشربوا قلوبهم حب الفتنة، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب، وهبوا في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

اللهم إن ردوا الحق، فافضض خدمتهم(1)، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت(2).

ونقول:

1 - إن ما كان يتعرض له أمير المؤمنين «عليه السلام» من حملات كلامية من قبل معاوية وأهل الشام، لم يكن هدفه التجريح بالشخص، والسعي للانتقاص منه، وإسقاط محله في النفوس وحسب. ثم تقف الأمور عند هذا الحد.. بل كان هدفه أيضاً تشويه الحقائق، والتمهيد لدعوة الناس إلى حربه، وتقويض سلطانه، والتحريض على الدخول في الفتنة التي تهدف إلى إطفاء نور الله سبحانه، والتخلص من كل هذا الإسلام الذي جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم محو ذكره، ودفن نهجه، وطمس آثاره.

ولو أنهم بلغوا مرادهم هذا، لم يلتفتوا إلى غيره، ولا اهتموا له..

وهذا هو السبب في أنه «عليه السلام» يعتبر فعلهم هذا من الخطب الجليل، الذي لا بد من التعجب منه، واستهجانه.

---

(1) كذا في أصلي، وفي طبعة النجف من كتاب الإرشاد: «فأفضض حرمتهم..».

(2) الإرشاد للمفيد ج1 ص264 وبحار الأنوار ج32 ص390 و 391 عنه، وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص59 ونهج السعادة ج2 ص213 و 214 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص54 و 55 وصفين للمنقري ص391.

2 ـ إن هذا هو ما دعا علياً «عليه السلام» للتصدي لهذه الحملات بكلامه هذا، ولو كان الأمر لمجرد الأذى له، والتشفي بالتجريح بشخصه لما تصدى «عليه السلام» للرد عليهم، كيف وهو القائل: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور إلا علي خاصة»..

3 ـ قوله «عليه السلام»: «اللهم إن ردوا الحق، فافضض حرمتهم».. معناه: أنهم إن لم يقبلوا الحق.. فلا تبق يا رب لهم حرمة، لأنهم يكونون هم الذين أسقطوا حرمتهم هذه بعدم قبولهم للحق..

الفصل السابع:

الخطاب التوجيهي..

علي × والإمامة:

من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» لما عمد إلى المسير إلى الشام لقتال معاوية بن أبي سفيان

[قال] بعد حمد الله، والثناء عليه، والصلاة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

اتقوا الله عباد الله، وأطيعوه، وأطيعوا إمامكم، فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر، وقد أصبح معاوية غاصباً لما في يديه من حقي، ناكثاً لبيعتي، طاعنا في دين الله عز وجل.

وقد علمتم أيها المسلمون ما فعل الناس بالأمس، وجئتموني راغبين إلي في أمركم حتى استخرجتموني من منزلي لتبايعوني، فالتويت[1] عليكم، لأبلو ما عندكم، فراودتموني القول مراراً،

---

(1) التوى: تثاقل.

وراودتكم، وتكأكأتم علي تكأكؤ(1) الإبل الهيم(2) على حياضها، حرصاً على بيعتي، حتى خفت أن يقتل بعضكم بعضاً.

فلما رأيت ذلك منكم رويت في أمري وأمركم، وقلت: إن أنا لم أجبهم إلى القيام بأمرهم لم يصيبوا أحداً يقوم فيهم مقامي، ويعدل فيهم عدلي.

وقلت: والله لألينهم، وهم يعرفون حقي وفضلي، أحب إلي من أن يلوني، وهم لا يعرفون حقي وفضلي، فبسطت لكم يدي، فبايعتموني يا معشر المسلمين، وفيكم المهاجرون والأنصار، والتابعون بإحسان.

فأخذت عليكم عهد بيعتي وواجب صفقتي [من] عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذ على النبيين من عهد وميثاق لَتَفُنَّ لي، ولتسمعن لأمري، ولتطيعوني، وتناصحوني، وتقاتلون معي كل باغ أو مارق إن مرق، فأنعمتم لي(3) بذلك جميعاً، فأخذت عليكم عهد الله وميثاقه، وذمة الله ورسوله، فأجبتموني إلى ذلك، وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض، وقمت فيكم بكتاب الله. وسنة نبيه «صلى الله عليه وآله».

---

(1) تكأكؤ: تجمع.

(2) الهيم: الإبل العطاش.

(3) أنعمتم لي: أجبتم بنعم.

فالعجب من معاوية بن أبي سفيان ينازعني الخلافة، ويجحدني الإمامة، ويزعم أنه أحق بها مني، جرأة منه على الله وعلى رسوله «صلى الله عليه وآله»، بغير حق له فيها، ولا حجة، ولم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلم له الأنصار والمسلمون.

يا معشر المهاجرين والأنصار، وجماعة من سمع كلامي، أو ما أوجبتم لي على أنفسكم الطاعة؟!

أما بايعتموني على الرغبة؟!

ألم آخذ عليكم العهد بالقبول لقولي؟!

أما بيعتي لكم يومئذ أوكد من بيعة أبي بكر وعمر؟!

فما بال من خالفني لم ينقض عليهما حتى مضيا ونقض علي، ولم يف لي؟!

أما يجب لي عليكم نصحي، ويلزمكم أمري؟!

أما تعلمون أن بيعتي تلزم الشاهد عنكم (لعل الصحيح: منكم) والغائب؟!

فما بال معاوية وأصحابه طاعنين في بيعتي؟!

ولِم لَم يفوا بها لي، وأنا في قرابتي، وسابقتي، وصهري أولى بالأمر ممن تقدمني؟!

أما سمعتم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير في ولايتي وموالاتي؟!

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتحاثوا على جهاد معاوية الناكث القاسط، وأصحابه القاسطين.

واسمعوا ما أتلو عليكم من كتاب الله المنزل على نبيه المرسل لتتعظوا، فإنه عظة لكم، فانتفعوا بمواعظ الله، وازدجروا عن معاصي الله، فقد وعظكم الله بغيركم، فقال لنبيه «صلى الله عليه وآله»: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**[1].

يا أيها الناس، إن لكم في هذه الآيات، عبرة، لتعلموا أن الله تعالى جعل الخلافة والأمر من بعد الأنبياء في أعقابهم، وأنه فضل طالوت وقدمه على الجماعة باصطفائه إياه، وزيادته بسطة في العلم والجسم، فهل تجدون الله عز وجل اصطفى بني أمية على بني هاشم؟!

وزاد معاوية علي بسطة في العلم والجسم؟!

---

(1) الآيتان 246 و 247 من سورة البقرة.

فاتقوا الله عباد الله، وجاهدوا في سبيله، قبل أن ينالكم سخطه بعصيانكم له، قال الله عز وجل: **(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)**(1).

[وقال تعالى:] **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**(2).

[وقال تعالى:] **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)**(3).

اتقوا الله عباد الله، وتحاثوا على الجهاد مع إمامكم، فلو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى

---

(1) الآيات 78 ـ 79 من سورة المائدة.
(2) الآية 15 من سورة الحجرات.
(3) الآيتان 10 و 11 من سورة الصف.

حرب معاوية وأصحابه، فإنه الجهاد المفروض[1].

خير الكلام ما قل ودل:

ونقول:

إن هذه الخطبة بالرغم من قصرها وإيجازها، قد تكون من أهم خطبه، فيما يرتبط بإمامته «عليه السلام»، فقد أوجزت مظلوميته، وبينت الكثير من الحقائق والدقائق التي ترتبط بالإمامة بصورة عامة، وترتبط بما جرى له مع قومه في بيعتهم له، ثم ما جرى له بعدها معهم، حيث نكث من نكث، ومع معاوية على وجه الخصوص..

كما أنها قد تضمنت الإشارة بإيجاز إلى بعض اللطائف والدقائق التي في بعض الآيات القرآنية، مما يرتبط بالإمام والإمامة أيضاً.

واللافت هنا: أن هذه الخطبة قد بينت مقاصده «عليه السلام» بعبارات سهلة، وواضحة، أظهرت مدى بداهة الحقائق التي تناولتها. وإن من البيان لسحراً، كما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص387 - 390 وج34 ص132 - 135 والإرشاد للمفيد ج1 ص260 - 263 الفصل 31 مما اختاره من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، والإحتجاج للطبرسي ج1 ص404 - 408 و (ط دار النعمان) ج1 ص251 - 254 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص293 - 298.

(2) الأمالي للصدوق ص718 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص379 والمجازات

هل الخلافة في أعقاب الأنبياء؟!:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

قوله «عليه السلام»: «إن الله جعل الخلافة» فيه إشكال، وهو: أن المشهور بين المفسرين: أن طالوت لم يكن من سبط النبوة، ولا من سبط المملكة، إذ النبوة كانت في سبط لاوي، والمملكة في سبط يهودا. وقيل: في سبط يوسف، وهو كان من سبط بنيامين.

فالآيات تدل على عدم لزوم كون الخلافة في أعقاب الأنبياء.

ويمكن أن يجاب [عنه] بوجوه:

الأول: القدح في تلك الأمور، فإنها مستندة إلى أقوال المؤرخين والمفسرين من المخالفين، فيمكن أن يكون طالوت من سبط النبوة، أو المملكة، فيكون ادعاؤهم الأحقية من جهة المال فقط.

النبوية ص115 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج7 ص404 و 405 و (الإسلامية) ج5 ص84 و 85 والنوادر للراوندي ص155 وغوالي اللآلي ج1 ص71 و 150 وبحار الأنوار ج1 ص218 وج52 ص260 وج56 ص278 وج60 ص3 وج68 ص415 وج76 ص290 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص425 ومسند أحمد ج4 ص263 وسنن الدارمي ج1 ص365 وصحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج7 ص30 وسنن أبي داود ج2 ص478 و 479 والمستدرك للحاكم ج3 ص613 والسنن الكبرى للبيهقي ج3 ص208 ومجمع الزوائد ج8 ص117 والمعجم الكبير ج10 ص83 ومسند الشهاب ج2 ص99.

الثاني: إن كونه من ولد يعقوب وإسحاق وإبراهيم كاف في ذلك.

الثالث: أن يكون الإستدلال من جهة ما يفهم من الآية، من كون النبوة في سبط مخصوص آباؤهم أنبياء. فالمراد بالخلافة: رئاسة الدين، وإن اجتمعت رئاسة الدين والدنيا في تلك الأمة.

فلا ينافي الإستدلال بالبسطة في العلم والجسم، فإنه إذا اشترط في الرياسة الدنيوية فقط البسطة في العلم والجسم، فاشتراطهما في الرياستين ثابت بطريق أولى[1].

ملاحظة: لعل مقصود المجلسي «رحمه الله» بقوله: «فالمراد بالخلافة رئاسة الدين..». هو ما كان شائعاً بين الناس آنئذٍ، أو بحسب ما يراه فريق منهم، وليس مراده أنه هو «عليه السلام» يصادق على ذلك أيضاً.. لأنه «عليه السلام» وسائر الأئمة يرون أن الخلافة هي خلافة النبوة الشاملة لشؤون الدين والدنيا، كما هو الإسلام.

النجاة والهلاك بماذا؟!:

وقد يتفاجأ الكثيرون، وهم يسمعون أو يقرأون، ما يقوله علي «عليه السلام» عن سبب الهلاك وسبب النجاة للرعية. فإن ما يسبق إلى الأذهان حين الحديث عن النجاة والهلاك هو أن يكون بالعمل الصالح أو الطالح. وهو كلام صحيح في نفسه.

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص390.

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد هنا الحديث عما هو أبعد من ذلك، فهو «عليه السلام» يريد أن يعيد الناس إلى الجذور، التي من شأنها التأسيس والإعداد للعمل، بملاحظة ما لها من أثر في الحركة العلمية والمعرفية، التي هي الأساس والمنطلق، لأية مبادرة أو موقف.

وذلك لأن الإحجام أو الإقدام على أي فعل أو قول يحتاج إلى تصور ذلك الفعل أولاً، وإلى إدراك ما فيه من منفعةٍ أو ضرر، مما يدخل في دائرة اهتمامات الشخص، دنيوياً كان أو أخروياً..

ثم يحتاج إلى ترجيح الفعل أو الترك، والميل إلى واحد منهما، بملاحظة ما انتهى إليه من منافعه أو مضارِّه، مما يدخل في دائرة اهتماماته، مما تدعوه إليه رغائبه وشهواته، أو غرائزه الغالبة، أو فطرته، أو عقله، إذا تحرر من أسر تلك الشهوات، أو الأهواء، وما إلى ذلك..

وبعد ذلك الترجيح، وحصول الميل إلى حد الجزم والحتم، وحضور لحظة الإختيار، تكون المبادرة والإقدام أو الإحجام..

وإذا نظرنا إلى قدرة الإمام والحاكم على التأثير في جميع هذه المراحل.. فإننا سندرك أنها قدرات عالية وكبيرة جداً. ولا سيما بملاحظة ما يضطلع به الحاكم والإمام من مهمات، وما يملكه من إمكانات، مادية ومعنوية..

ولا يختص هذا الأمر بالإمام العادل، فإن لإمام أهل الضلالة

دوره الكبير والخطير في هذا المجال أيضاً، لا سيما مع فقدانه لأية روادع دينية، أو وجدانية، أو إنسانية..

وأما الإمام العادل، فإنه وإن كان التفاعل معه طوعياً واختيارياً في الأعم الأغلب، باستثناء مواضع الخطر التي لا يطيق الشارع السكوت عنها.. ولكنه تفاعل عميق، يلامس الفطرة، ويتناغم مع الوجدان، والمشاعر الإنسانية، وينسجم مع الإلزامات العقيدية والإيمانية.

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» مشيراً إلى ذلك، وإلى اختيارية الإقتداء: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه (طعمه) بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد[(1)].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: صنفان من أمتي إذا صلحا

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص70 ومختصر بصائر الدرجات ص154 ومستدرك الوسائل ج12 ص54 وج16 ص300 والخرائج والجرائح ج2 ص542 وبحار الأنوار ج33 ص474 وج40 ص318 و 340 وج67 ص320 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص34 وج23 ص272 ونهج السعادة ج4 ص32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص205 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص139 وينابيع المودة ج1 ص439.

صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي.

قيل: يا رسول الله، ومن هما؟!

قال: الفقهاء والأمراء(1).

وفي نص آخر: الأمراء والقراء(2).

وربما يكون «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك مرتين بصغيتين لا تنافي بينهما.

وروي عن أحدهم «عليهم السلام»: «الدين والسلطان أخوان توأمان، لا بد لكل واحد منهما من صاحبه، والدين أس، والسلطان حارس، وما لا أس له منهدم، وما لا حارس له ضائع»(3).

وخلاصة الأمر: إن هيبة السلطان تؤثر في ردع الناس عن

---

(1) بحار الأنوار ج72 ص336 وج74 ص154 وج2 ص49 والخصال ج1 ص36 و 37 وتحف العقول ص50 و روضة الواعظين ص6 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص175 و 176 وج8 ص285.

(2) الأمالي للصدوق ص448 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج6 ص183 و (الإسلامية) ج4 ص837 ومستدرك الوسائل ج4 ص253 والنوادر للراوندي ص157 و 158 وبحار الأنوار ج72 ص336 و 240 وج89 ص178 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص176.

(3) الإختصاص للمفيد ص263 وبحار الأنوار ج72 ص354 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص99 وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج6 ص10 عن الديلمي.

الإقدام على ما يغضبه، أو ينفر منه. كما أن هذه الهيبة تجعل الناس ينشدون إليه، ويقتدون به، ويرصدون جميع حركاته وسكناته.

يضاف إلى ذلك: أن من وظائف الإمام العادل تعليم الناس الكتاب والحكمة، وتربيتهم، وحفظهم من الشبهات، ودفع أعدائهم، وحل مشكلاتهم، والحكم بالعدل فيما بينهم، وصيانة أخلاقهم، وحفظ أمنهم، وتدبير شؤونهم. وإشاعة العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم. بالإضافة إلى الإهتمام باعتقاداتهم، وتزكية نفوسهم، وتلاوة آيات الله عليهم.. والإهتمام بكل ما يصلحهم في الدنيا والآخرة..

وكل ذلك يوضح: كيف أن الرعية العادلة تنجو بالإمام العادل.. كما أن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر.

أو يقال: إن المقصود بالإمام العادل الذي تنجي طاعته، وأن العمل الصالح وحده لا يكفي إن لم يصاحبه اعتراف وإقرار بإمامة الأئمة المنصوبين من قبل الله تعالى، والذين منهم الإمام المفترض طاعته على أهل كل زمان.. وذلك وفقاً لقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..)**(1). فقد دلت على اشتراط الإعتقاد بإمامته «عليه السلام» في قبول الأعمال، وفي النجاة من الهلاك.

ويؤيد ذلك أيضاً: قول أمير المؤمنين «عليه السلام» لما عمد إلى

---

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

المسير إلى الشام لقتال معاوية: «..فإن الرعية الصالحة تنجو بالإمام العادل، ألا وإن الرعية الفاجرة تهلك بالإمام الفاجر..»(1).

وقول أبي جعفر «عليه السلام»: قال الله تبارك وتعالى: «لأعذبن كل رعية في الاسلام أطاعت إماماً جائراً ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الاسلام أطاعت إماماً هادياً من الله، وان كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة(2).

معاوية غاصب وناكث ومارق:

ومن الأمور التي هي في غاية الأهمية: أنه «عليه السلام» قد

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص387 - 390 وج34 ص132 - 135 والإرشاد للمفيد ج1 ص260 - 263 الفصل 31 مما اختاره من كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، والإحتجاج للطبرسي ج1 ص404 - 408 و (ط دار النعمان) ج1 ص251 - 254 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص293 - 298.

(2) المحاسن للبرقي ج1 ص94 والكافي ج1 ص376 وفضائل الشيعة للصدوق ص12 وكتاب الغيبة للنعماني ص131 والإختصاص للمفيد ص259 و 260 والأمالي للطوسي ص634 والجواهر السنية ص151 و 286 وبحار الأنوار ج25 ص110 وج27 ص193 و 201 وج65 ص105 و 142 وتفسير نور الثقلين ج1 ص265 وبشارة المصطفى ص335 وأعلام الدين للديلمي ص400 وغاية المرام ج3 ص76 و 77.

اعتبر معاوية مجمعاً للعناوين الثلاثة التي تسوِّغ للإمام قتال أية جماعة تتصف بواحدة منها..

وقد ورد الأمر، وأخذ العهد عليه، بقتالها من الله تعالى على لسان رسوله «صلى الله عليه وآله» في قوله المتواتر نقله، والمجمع عليه بين المسلمين:

«تقاتل بعدي الناكثين، والقاسطين، والمارقين».. أو نحو ذلك، وبعض نصوصه تضمن التصريح: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد عهد إلى علي «عليه السلام» بقتالهم[1].

(1) راجع: إرشاد القلوب للديلمي ص378 - 384 وبحار الأنوار ج29 ص171 و 172 ورواه المجلسي عن بعض الكتب القديمة. وراجع على سبيل المثال المصادر التالية: مجمع الزوائد ج6 ص235 وج7 ص238 وج5 ص186 وج9 ص111 والمستدرك للحاكم ج3 ص139 وتلخيص الذهبي (بهامش المستدرك)، وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص297 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج3 ص172 و 170 و 169 و 165 و 163 و 162 و 160 و 161 و 158 و 159 واللآلي المصنوعة ج1 ص213 و 214 وتاريخ بغداد ج13 ص186 وج8 ص340 و 341 وكنز العمال ج11 ص278 وراجع ص287 و 318 و 343 و 344 وج15 ص96 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص207 و 345 وج4 ص221 و 462 وج18 ص27 وج6 ص130 وج13 ص183 و 185 وج1 ص201 والمناقب للخوارزمي ص125 و 106 و 282 والبداية والنهاية ج7 ص206 و

وقد ورد في كلامه «عليه السلام» هنا ثلاث فقرات، كل واحدة منها تتكفل بإدراج معاوية وحزبه تحت واحد من هذه العناوين، حتى أصبح مجمعاً لها كلها، فقد قال «عليه السلام»: «وقد أصبح معاوية:

1 - غاصباً لما في يديه من حقي»، فصار بذلك مصداقاً لعنوان

---

207 و 305 و 304 وج6 ص217 وفرائد السمطين ج1 ص332 و 285 و 283 و 282 و 281 و 280 و 279 و 150 ومروج الذهب ج2 ص404 والمحاسن والمساوئ ج1 ص68 والغدير ج3 ص192 و 194 وج1 ص337 وذخائر العقبى ص110 والرياض النضرة ج3 ص226 وكفاية الطالب ص168 و 169 ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج5 ص451 و 435 و 437 وج4 ص244 ولسان الميزان ج2 ص446 وج6 ص206 وميزان الإعتدال ج1 ص126 و 174 وينابيع المودة ص104 و 128 و 81 والنهاية في اللغة ج4 ص185 ولسان العرب ج2 ص196 وج7 ص378 وتاج العروس ج1 ص651 وج5 ص206 ونظم درر السمطين ص130 وأسد الغابة ج4 ص33 والجمل ص35 والإفصاح في إمامة علي بن أبي طالب ص82 وإحقاق الحق ج6 ص37 و 59 و 79 وج5 ص71 عن مصادر كثيرة تقدمت، وعن: تنزيه الشريعة المرفوعة ج1 ص387 ومفتاح النجا (مخطوط) ص68 وأرجح المطالب ص602 و 603 و 624 وموضح أوهام الجمع والتفريق ج1 ص386 وشرح المقاصد للتفتازاني ج2 ص217 ومجمع بحار الأنوار ج3 ص143 و 195 وشرح ديوان أمير المؤمنين للمبيدي (مخطوط) ص209 والروض الأزهر ص389.

القاسط.

يقال: قسط قِسطاً ـ بكسر القاف ـ بمعنى عدل. وقَسط قَسطاً ـ بفتح القاف ـ بمعنى جار وحاد عن الحق، فهو قاسط، وجمعه قسّاط وقاسطون.

والذي يغصب حق غيره جائر، وحائد عن الحق بلا ريب. فهو من القاسطين.. وهذه هي الفقرة الأولى.

2 ـ الفقرة الثانية قوله «عليه السلام»: «ناكثاً لبيعتي».

والسؤال هنا هو: كيف يكون معاوية ناكثاً لبيعته «عليه السلام»، وهو لم يبايعه من الأساس. مع أنهم يقولون: « العرش، ثم النّقش»؟!

ونجيب:

إنه «عليه السلام» قد أسس ضوابط ومعايير تحل بها المشكلات، وتدفع الإشكالات.. فقد قال «عليه السلام» في خطبة له: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك سبيل. ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار»(1).

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص86 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج1 ص222 وبحار الأنوار ج34 ص249 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص328.

وكتب «عليه السلام» لمعاوية: إن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»(1).

وكتب إليه أيضاً: «وأما قولك: إن بيعتي لم تصح، لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها. كيف وإنما هي بيعة واحدة، تلزم الحاضر والغائب، لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروِّي فيها مداهن. فاربع على ظلعك، وانزع سربال غيك، واترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلا السيف، حتى تفيء إلى أمر الله صاغراً، وتدخل في البيعة راغماً. والسلام»(2).

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص7 الكتاب رقم 6 وبحار الأنوار ج33 ص76 و 77 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج5 ص453 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص35 وتفسير نور الثقلين ج1 ص551 وراجع: الأخبار الطوال ص157 وصفين للمنقري ص29 والعقد الفريد ج5 ص80 والإمامة والسياسة ج1 ص93.

(2) بحار الأنوار ج33 ص82 ونهج السعادة ج4 ص263 و 264 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص43 .

وقد قلنا:

ألف: إن الذي أجمع على بيعته المهاجرون والأنصار هو خصوص علي «عليه السلام». ولم يجمعوا على أبي بكر. أما خلافة عمر فهي بوصية أبي بكر له. وأما عثمان، فقد تقدم الحديث عن الشورى العمرية وما جرى فيها..

ب: إنه «عليه السلام» إنما يستدل على معاوية وحزبه بما هو مرضي عندهم.

وأما إذا أراد أن يستدل عليه بصريح الحق من ذلك، فإنه «عليه السلام» هو وحده المنصوص على إمامته في كتاب الله تعالى في مواضع عديدة، وعلى لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عشرات الموارد.. وقد أخذ له النبي «صلى الله عليه وآله» البيعة في يوم الغدير من أكثر من مئة وعشرين ألفاً. وأبو بكر وعمر قد بايعاه في جملة من بايع.

ج: ويشهد لصحة قوله «عليه السلام»: «لم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخذ البيعة له «عليه السلام» يوم الغدير قد اكتفى بذلك، ولم يذكر لنا فيما قرأناه من مصادر أنه أرسل إلى أهل مكة، أو الطائف، أو غيرها من البلاد التي في ذلك السمت، ليأخذوا له البيعة من أهلها.

د: إنه سواء قلنا: إن الإمامة تكون بالنص من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، أو قلنا: بأنها تنعقد بالبيعة، فقد قرر «عليه

السلام»: أن انعقاد الإمامة بالبيعة لا يحتاج إلى بيعة جميع الناس، لأن ذلك مما لا يمكن حصوله. فلا بد من الإكتفاء بمن لهم التقدم في هذا الأمر، وهم المهاجرون والأنصار إذ لا يوجد من هو أولى بهذا الأمر منهم، فإذا أجمعوا على شخص، وسموه إماماً كان لله رضا، ولا يحق لأحد نقض ما أبرموه، بل الجميع ملزم بالقبول والرضا.. فإن أبى ذلك أحد اعتبر خارجاً على إمامه، ناكثاً لبيعته.. وهذا هو حال معاوية..

3 - الفقرة الثالثة قوله «عليه السلام»: «طاعناً في دين الله عز وجل».

وبذلك يصبح معاوية من المارقين. وقد ورد هذا النحو من التعبير في رسالة له «عليه السلام» إلى معاوية، يقول له فيها:

«لأنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروّى فيها مداهن»[1].

والطعن في دين الله إنما يأتي من أعداء الدين الكافرين، قال تعالى: (**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**)[2].

قال العلامة الطباطبائي: «يدل السياق (أعني سياق الآيات) أنهم

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص8 الكتاب رقم 7 وبحار الأنوار ج33 ص78 و 79 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص44.

(2) الآية 12 من سورة التوبة.

(أعني الذين طعنوا في دين المسلمين) غير المشركين الذين أمر الله سبحانه في الآية السابقة بنقض عهدهم، وذكر أنهم هم المعتدون لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة.

فإنهم ناكثون للأيمان، ناقضون للعهد، فلا يستقيم فيهم الإشتراط الذي ذكره الله سبحانه بقوله: **(وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ)** الآية..

فهؤلاء قوم آخرون لهم مع ولي الأمر من المسلمين عهود وأيمان

ينكثون أيمانهم من بعد عهدهم ، أي ينقضون عهودهم من بعد عقدها، فأمر الله سبحانه بقتالهم، وألغى إيمانهم، وسماهم أئمة الكفر، لأنهم السابقون في الكفر بآيات الله، يتبعهم غيرهم ممن يليهم، يُقاتَلُون جميعاً لعلهم ينتهون عن نكث الأيمان ونقض العهود»[1].

وقد حكمت الآية على هؤلاء بالكفر، ومن المعلوم: أن مجرد نكث البيعة، ونكث الإيمان والعهود لا يجعل فاعل ذلك من أئمة الكفر، فالذي يجعله منهم هو الطعن في الدين.

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «من طعن في دينكم هذا فقد كفر. قال الله تعالى: **(وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ)**[2]»[1].

---

(1) تفسير الميزان ج9 ص159 و (ط أخرى) ج10 ص163 و 164.
(2) الآية 12 من سورة التوبة.

وفي الروايات: أن علياً «عليه السلام» قد طبق هذه الآية المباركة على طلحة والزبير(2).

وها هو أمير المؤمنين «عليه السلام» يقرر هنا: أن معاوية أيضاً هو ممن طعن في دين الله سبحانه، .

غاصب، ناكث، وطاعن؟!:

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يقل عن معاوية: غصب، ونكث، وطعن.. لأن هذه الصيغة، إنما تفيد مجرد حدوث هذه الأمور منه، ولو مرة واحدة..

بل قال: أصبح غاصباً، وناكثاً، وطاعناً، ليدل على ثباته على هذه الأمور، والتزامه بها، واستمراره عليها.

كيف طعن معاوية في الدين؟!:

ويبقى هنا سؤال يقول: كيف طعن معاوية في الدين؟!

---

(1) تفسير العياشي ج2 ص85 و (المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران) ج2 ص79 والبرهان (تفسير) ج3 ص376 وتفسير نور الثقلين ج2 ص190 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج28 ص352 و 356 و (الإسلامية) ج18 ص566 و 570 وبحار الأنوار ج69 ص136 .

(2) البرهان (تفسير) ج3 ص374 ـ 377 وقرب الإسناد ص46 والأمالي للطوسي ج1 ص130 والأمالي للمفيد ص72 وشواهد التنزيل ج1 ص209 وتفسير العياشي ج2 ص83 و 84.

ونجيب ـ باختصار شديد ـ:

إن الطعن في الدين قد يكون صريحاً، وقد يكون مبطناً، بمعنى أنه يعمل عملاً يوجب الوهن في الدين، والإستهانة والإستهزاء به، والتشكيك بصحة تعاليمه، وإيهام الناس أنه مشتمل على أمور متناقضة، أو غير معقولة. أو العدوان عليه بتغيير شرائعه، وأحكامه، والطعن في صحة حقائقه ومفاهيمه، وما إلى ذلك.

وهذا هو بعض ما فعله معاوية، والناكثون قبله، حيث اعترضوا على كثير من أحكام الله، وصرفوا النظر عنها، وأرادوا استبدالها بغيرها من السياسات الباطلة، واستهانو بأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونواهيه، وكذبوه فيما أخبرهم به، واتهموه «صلى الله عليه وآله» في دينه، وفي صدقه، وصحة ما جاء به، واعتبروه منحازاً إلى صهره، وأبطلوا ما جاء به من تشريعات وأحكام في مجالات مختلفة.. وأحلوا ما حرم الله تعالى، وجعلوا لأنفسهم حق التشريع، حتى لما يخالف صريح القرآن، وصريح قول وفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإن أدنى مراجعة لما فعله معاوية ومن معه من المبطلين، كعمرو بن العاص وغيره، ولما فعله طلحة والزبير، وما كانا يطالبان به علياً «عليه السلام» يوضح ذلك.

الإجماع على البيعة لعلي ×:

ثم شرع «عليه السلام» باستعراض كيفية البيعة له «عليه

السلام»، ليذكر الناس بأن البيعة له لا تشبه البيعة لأسلافه، لما يلي:

1 - إن المهاجرين والأنصار قد أجمعوا على البيعة له «عليه السلام» ولم يتم إجماع على البيعة لغيره.. بل امتنع الكثيرون منها..

2 - إنه «عليه السلام» امتنع من قبول البيعة من الناس، وبقي مصراً على موقفه هذا أياماً عديدة.. أما الذين سبقوه، فهم الذين تهافتوا وتهالكوا على ذا الأمر، وسعوا بكل جهدهم للحصول عليه، بل لقد بويع لأحدهم قبل وضع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قبره.

3 - إنه «عليه السلام» كان يرفض أخذ ما هو حق له، والذين سبقوه كانوا يسعون لأخذ حق غيرهم بالقوة والقهر، وبغير ذلك من أساليب.

4 - إنه لم يزعج أحداً من الناس في طلب هذا الأمر، ولكن الذين سبقوه قد استعملوا العنف والضرب، وحتى القتل ضد أقرب الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي الزهراء فاطمة «عليها السلام»، التي ضربت وأسقط جنينها، وسعوا إلى إحراق بيتها عليها، وعلى زوجها وأبنائها، وغيرهم.

التوى عليهم ليبلوا ما عندهم:

وقد بين «عليه السلام»: أنه التوى على الذين طالبوه بقبول البيعة، فلم يقبل بيعتهم أياماً عديدة، ليبلوا ما عندهم. أي أنه «عليه السلام» أراد بامتناعه هذا أن يستخرج دخائلهم.

وهذا يعطينا درساً في أن من الضروري للحاكم أن يستخرج ما في ضمائر قومه بحيث تتجسد على صفحة الواقع، ليراها هو وغيره، حتى إذا سارت الأمور وفق مقتضياتها، وظهر إخلالهم بما ألزموا به أنفسهم طوعاً، وتبرعوا به كثمن لقبوله منهم ما حمَّلوه إياه، فإن مطالبته لهم بالوفاء بما التزموا به لا تكون موضع استغراب أو تساؤل من أحد، لأن الجميع قد رأوا ما أراد لهم أن يروه.. فلا مجال لاتهامه بأنه يطالبهم بأمر لا يعرفونه، ويدَّعي عليهم ما لم يخطر لهم على بال.

والخلاصة: أنه «عليه السلام» وإن كان يعرف أحوالهم ونواياهم، ولكنه لو ترك الأمور تجري على عواهنها، ورضي منهم بالبيعة له بمجرد عرضها عليه، فإنهم حين تسير الأمور في مسارها، إذا لم يفوا له بما يتوقعه منهم، أو طالبوه بما تعهدوا بتركه وعدم المطالبة به(1)، فإن الناس قد يرون أنه لا حق له عليهم، بل الحق لهم عليه..

أما إذا امتنع من البيعة حتى يرضوا بأن يسير فيهم بسيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتعهدوا بنصرته على وفق ما يفرضه عليهم الشرع والدين.. فلا يحق لهم مطالبته بأن يترك سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في العطاء مثلاً، ويسير فيهم بسنة عمر

---

(1) كما كان الحال في موضوع القسم والعطاء.

وعثمان..

وهكذا الحال بالنسبة للإرث، وإمامة الصلاة وكل شيء.

فإذا طالبوه بأن يرجع بهم إلى السنة الأخرى القاضية بالتفضيل والتمييز على اساس العرق وغيره، فإن الناس كلهم سوف يعطونه الحق في رفض طلبهم هذا، لأنهم قد عاينوا وسمعوا، ورأوا كيف لم يرض بأن يبايعوه، إلا بعد أن اشترط عليهم بأن يسير فيهم بسيرة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأن يجري فيهم أحكام الله، وسنة رسوله..

وإذا اشترط عليهم الوفاء ببيعتهم له، وسماع أمره، وطاعته، ومناصحته، والقتال معه كل باغ ومارق.. فإن هذه الشروط تكون ملزمة لهم، وسيرى الناس كلهم أن له «عليه السلام» الحق بمطالبتهم بالوفاء بها.

ويدل على ما قلناه: تصريحه «عليه السلام» في نفس هذه الخطبة بقوله: «وأشهدت الله عليكم، وأشهدت بعضكم على بعض».

فهو يذكرهم بهذا الإشهاد الذي معناه طلب الإحتفاظ بتلك التعهدات في ذاكرتهم إلى حين الحاجة التي تدعو لمطالبتهم بأداء الشهادة التي تحملوها.

معاوية ينازع علياً × الخلافة:

وقد يقال: إن معاوية قد خاض حرب صفين تحت شعار الطلب

بدم عثمان.. وإنما ظهرت مطامعه بالخلافة بعد صفين، وبعد التحكيم.

ويجاب:

بأن هذا غير دقيق، فقد تقدم: أن هذا الكلام قد ساقه «عليه السلام» حين عزم على المسير إلى الشام.. مما يعني: أن مطامع معاوية بالخلافة كانت ظاهرة لكل أحد منذ الأيام الأولى، وأنه كان يعلن أنه أحق بالخلافة من علي «عليه السلام»، حين أرسل إليه علي «عليه السلام» جرير بن عبد الله البجلي. وقد تقدمت بعض تصريحاته في هذا المجال..

أما موضوع الأخذ بثأر عثمان، وهو الشعار الذي كان يحاول أن يرفعه، فلم يستطع أن يخفي هذه الحقيقة، لأن معاوية كان لا يخفيها.. ولكنه كان يتخذه ذريعة وشركاً يصطاد به بعض الناس ممن يهتمون للثأر لعثمان، ولا يهمهم من تسنم سدة الحكم ومن لم يتسنَّمها.

بطلان حجج معاوية:

وقد أبطل «عليه السلام» ما يدَّعيه معاوية من جهات عدة:

أولاً: ليس لدى معاوية حجة على ما يدَّعيه لنفسه من حق بالخلافة.

ثانياً: إنه لم يبايعه عليها المهاجرون، ولا سلم له بها الأنصار والمسلمون.

ثالثاً: إن بيعته «عليه السلام» كانت أوكد من بيعة أبي بكر

وعمر، للأمور التي ذكرناها آنفاً تحت عنوان: «الإجماع على البيعة لعلي «عليه السلام»:»..

وقلنا: إنها بيعة تلزم الشاهد والغائب، فلماذا وفوا لأبي بكر وعمر، ولم يفوا له «عليه السلام»؟!

رابعاً: لماذا لم يراعوا له قرابته «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم قد احتجوا على الأنصار بنفس هذه الحجة، حيث قالوا: إنهم قوم النبي «صلى الله عليه وآله» وعشيرته دونهم.

خامساً: إنه وحده صهر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن هذا الأمر لأحد من الخلفاء قبله، بل إن مصاهرته له هي التي توجب تقدمه على أبي بكر وعمر بالذات، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد زوجه وردهما، فلم يرهما أهلاً، ولا أكفاء لابنته فاطمة «عليها السلام»..

سادساً: إنه هو وحده الجامع للمزايا التي تؤهله للإمامة والخلافة، وتحصرها فيه دون كل أحد، لأنه وحده صاحب السوابق الجهادية.

سابعاً: إنه هو وحده الذي نصبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير والياً للأمة، وأوجب على كل مؤمن ومؤمنة موالاته..

ثامناً: إن الله تعالى قد جعل الأمر من بعد الأنبياء في أعقابهم..

ولم يكن معاوية من أعقاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

أما علي «عليه السلام»، فهو ورسول الله «صلى الله عليه وآله» من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتى(1).

تاسعاً: ولو سلمنا جدلاً: بأن علياً «عليه السلام» ومعاوية ليسا معاً من أعقاب النبي «صلى الله عليه وآله».. فإن الخروج عن هذه الضابطة ـ أعني ضابطة كون الخلافة في أعقاب الأنبياء ـ إنما يكون في صورة ظهور مقتضى الإصطفاء في المورد الذي ليس من الأعقاب، كما هو الحال في طالوت، فإن الله تعالى إنما قدمه على

---

(1) راجع: المناقب للخوارزمي ص143 وكشف الغمة ج1 ص300 وإقبال الأعمال لابن طاووس ج1 ص506 ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج1 ص469 و 460 وج2 ص230 والمزار لابن المشهدي ص576 والأربعون حديثاً لابن بابويه ص35 وبحار الأنوار ج21 ص279 - 280 وج23 ص230 وج35 ص301 وج38 ص188 و 309 وج40 ص78 وج99 ص106 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص361 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص72 - 73 و 293 و 364 ومجمع الزوائد ج9 ص100 والمعجم الأوسط للطبراني ج4 ص263 وكنز العمال ج11 ص608 وتفسير فرات ص161 ومجمع البيان ج2 ص311 وج9 ص48 وخصائص الوحي المبين ص242 والتفسير الصافي ج4 ص373 وج6 ص366 وتفسير الميزان ج11 ص296 وشواهد التنزيل ج1 ص377 وج2 ص203.

الجماعة باصطفائه إياه، ولأجل زيادته بسطة في العلم والجسم..

ومن البديهي: أن الزيادة في العلم والجسم في هذا المورد إنما هي في علي «عليه السلام»، لا في معاوية.. فعلي «عليه السلام» هو الذي يجب أن يكون مورد الإصطفاء، دون سواه.

وكل ذلك ينتج: أن معاوية فضلاً عن كونه من الطلقاء الذين لا تحق لهم الخلافة، والذين حاربوا الله ورسوله، ولم يسلموا إلا حقناً لدمائهم، ناكث، قاسط (أي جائر عن الحق)، وأن أصحابه قاسطون.. ومن كان كذلك، فلا يكون أهلاً للخلافة، بل تجب حربه.

علي × صهر النبي ' دون عثمان:

وقد قال «عليه السلام»: «..ولم لم يفوا بها لي، وأنا في قرابتي وسابقتي، وصهري أولى بالأمر ممن تقدمني..».

وهذا يدل على أن الذين تقدموا علياً «عليه السلام» في الخلافة، لم تكن لهم هذه الميزات الثلاثة، فليس لهم قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا صهريته، ولا سابقته، بل كانت له دونهم..

وهذا يسقط ما يدَّعونه، من أن عثمان قد تزوج ابنتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ لو صح هذا لاعترضوا عليه، وقالوا له: إن عثمان كان صهراً للرسول أيضاً، كما كنت أنت صهره، بل هو صهره على ابنتيه، لا على بنت واحدة..

لو كان لي بعدد أهل بدر!!:

وقد قال «عليه السلام»: «لو كان لي منكم عصابة بعدد أهل بدر، إذا أمرتهم أطاعوني، وإذا استنهضتهم نهضوا معي، لاستغنيت بهم عن كثير منكم، وأسرعت النهوض إلى حرب معاوية وأصحابه..».

وهذه الكلمات لها دلالات كثيرة:

منها: أنها تدل على أن عدة أهل بدر تكفي لمواجهة جيش قد يصل عدده إلى مئة وعشرين ألف مقاتل.. بل إلى مئة وخمسين ألفاً حسب بعض المصادر.

وهذا أمر هائل قد يصعب على الناس العاديين تصديقه.. ولكن الوقائع في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله»، وفي الأمم السالفة تجعل احتمالات النصر لهذه القلة على تلك الكثرة أكثر وأكبر، وأسهل وأيسر.. وقد قال تعالى: **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ)**(1).

ومنها: أن هذا يدل على أن من كانوا مع علي «عليه السلام» ويطيعون أمره، كانوا في غاية القلة..

إلا أن يقال: إنه «عليه السلام» لم يقل: إنه يستغني بعدة أهل بدر عن جميع من كانوا معه، بل قال: إنه يستغني بهم عن كثير ممن معه،

---

(1) الآية 249 من سورة البقرة.

فلعل الذين كانوا معه ويطيعون أمره كانوا كثيرين أيضاً.

ولكننا نقول:

إن هذا غير ظاهر من كلامه «عليه السلام»، إذ لم يكن المطلوب هو تكميل عدد من يطيعه بهؤلاء الذين تمناهم، بل هو يريد أن يقول: إن الكثرة التي معه لا تفيده.. وإن القلة القليلة التي تفيده منهم لو انضمت إلى عدد أصحاب طالوت، لأمكن النهوض بهم.

وقد تحدثت النصوص الأخرى عن هذا المعنى، فعن الإمام الباقر «عليه السلام»: أن علياً «عليه السلام» كان في العراق يقاتل عدوه، ولم يكن معه خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته، وحق معرفته إمامته(1).

ومنها: إن هذا يدل على حجم معاناة أمير المؤمنين «عليه السلام» مع أصحابه..

وسيأتي الحديث عن جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعن حجم المخلصين فيه في الموضع المناسب إن شاء الله.

---

(1) راجع: إختيار معرفة الرجال ج1 ص26 وبحار الأنوار ج42 ص152.

الباب الرابع

قبل المسير إلى صفين..

الباب الرابع: قبل المسير إلى صفين..

الفصل الأول: يستشير في المسير..

الفصل الثاني: لا تكونوا سبابين..

الفصل الثالث: الحشود في المعسكرات..

الفصل الرابع: علي × يكاتب ابن العاص..

الفصل الخامس: أصحاب علي ×.. وحديث أويس..

الفصل الأول:

يستشير في المسير..

معاوية إلى صفين:

قال المنقري:

فلما بلغ معاوية بن أبي سفيان مكان علي بالنخيلة ومعسكره بها ـ ومعاوية بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضب بالدم، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون [حوله] لا تجف دموعهم على عثمان ـ خطب معاوية أهل الشام فقال:

يا أهل الشام، قد كنتم تكذبوني في علي، وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله، وألب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم [ودياركم] لإبادتكم.

يا أهل الشام، الله الله في عثمان، فأنا ولي عثمان، وأحق من طلب بدمه، وقد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً.

فانصروا خليفتكم [المظلوم]، فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلماً وبغياً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله.

[ثم نزل]. فأعطوه الطاعة، وانقادوا له، وجمع إليه أطرافه، واستعمل على فلسطين ثلاثة رهط، فجعلهم بإزاء أهل مصر، ليغيروا عليهم من خلفهم..

وكتب إلى معتزلة أهل مصر، وهم يومئذ يكاتبون معاوية ولا يطيقون مكاثرة أهل مصر، إن تحرك قيس عامل علي على مصر أن يثبتوا له.. وفيها معاوية بن خديج، وحصين بن نمير.

وأمراء فلسطين الذين أمرهم معاوية عليها: حباب بن أسمر، وسمير بن كعب بن أبي الحميري، وهيلة بن سحمة.

واستعمل على أهل حمص: محول بن عمرو بن داعية، واستخلف على أهل دمشق: عمار بن السعر، واستعمل على أهل قنسرين: صيفي بن علية بن شامل(1).

قال ابن أعثم:

فعندها جمع معاوية الناس، فجعل على ميمنته عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى ميسرته عبد الله بن عمرو بن العاص، وعلى مقدمته أبا الأعور السلمي، وعلى سابقته بسر بن [أبي] أرطاة الفهري.

وسار معاوية في أهل الشام بأجمعهم، وبين يديه مروان بن الحكم

---

(1) صفين للمنقري ص127 و 128 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص196.

على فرس أغر محجل، وقد تقلد بسيف عثمان بن عفان، حتى نزل بأول منزل من دمشق، فضرب عسكره هنالك، لكي تتلاحق به الناس.

وكتب مروان إلى علي «عليه السلام» أبياتاً من الشعر يقول مطلعها:

نسير إلى أهل العراق وإننا لنعلم ما في السير من شرف القتل

قال في الهامش: في د موضعها:

ولكنهم قالوا علي إمامنا وكان ابن هند لا يمر ولا يحلي

وإنا من البغضاء تغلي صدورنا عليهم بما فيها مراجلهم تغلي

وأبرار خلق الله فينا ومعشر نسير إليهم تاركي المال والأهل

فريقان من أهل الصلاة جميعنا وقائدنا يدنيه من خطة الفصل

فإن ردنا أهل العراق بحتقنا رجعنا ولم نطلب إليهم سوى العدل

وإن ناصبونا الحرب ملنا عليهم ولم نخش نشب الحرب بالخيل والرجل

وما في علي من مقال لقائل سوى ضمه أهل العداوة والغل

فلله يوم من رأى مثل هالك أصيب بأكناف المدينة ذي فضل

ولم يخل فيه من علي بطائل ولا دان فيه بالقصاص ولا العُقْلِ

فلما ورد هذا الشعر على أهل العراق علم علي وأصحابه بأن معاوية فصل من دمشق إلى ما قِبَلَه، فقال للنجاشي بن الحارث: أجب مروان على شعره هذا.

فأجابه النجاشي:

نسير إليكم بالقبائل والقنا وإن كان فيما بيننا شرف القتل

وقال في الهامش: مكانها في د:

فقل لابن هند أوغل السير إننا نسير إليكم كالجراد وكالنمل
على رسلنا حتى ترونا كأننا جهام أراق الماء من هضب الابل
فدونكها حرباً عواناً محله عزيزكم فيها أذل من النغل
يقحمها فيها علي كأنه هزبتر بأكناف العرين أبو الشبل
إذا حفت الأنصار حول لوائه وحس وقود الحرب بالحطب الجزل
ونادى رجالاً هاجروا نحو ربهم سراعاً ولم يلووا على المال و الأهل
هناك ورب الواقفين عشية أتاك ذليلاً لا تمر ولا تحلي

أتطمع في ملك العراق ودونه ضراباً وطعناً بعد بادرة النبل

فلا تطمعن فيه فإن حماسة[1] رجال يخوضون العراق ذو فضل

فإن علي القوم سيف نبيه وإن علياً صاحب الخطة الفصل

أترجو ابن هند وابن صخرتنا له فيا بعد ما أملت من خطة العدل[2]

ونقول:

1 - تقدم: أنه لا صحة لدعاوى معاوية حول عثمان، وأنه وليه، وأحق من طلب بدمه.. وأن علياً «عليه السلام» قد قتله وآوى قتلته.. بل إن معاوية قد شارك في قتل عثمان، ثم هو يطالب بدم من حاول أن يدفع القتل عنه..

2 - إن معاوية يدَّعي: أن علياً «عليه السلام» قد قصد بلاد الشام بهدف إبادة أهلها. وما أشبه هذا بقول فرعون لقومه: إن موسى يريد أن يخرجهم من أرضهم، ويظهر في الأرض الفساد.

3 - إن مروان يعترف بأنه ليس في علي «عليه السلام» مقال

---

(1) لعل الصحيح: حماته.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص437 - 439 و (ط دار صادر) ج2 ص537 و 538.

لقائل. وهذا اعتراف من عدو مبغض، وحاقد شاني، مقر بذلك على نفسه، حيث قال: «وإنا من البغضاء تغلي صدورنا».

وحسبنا هنا أن نقول: والفضل ما شهدت به الأعداء.

4 - إن النجاشي الشاعر قد سجل في شعره حضور المهاجرين والأنصار مع علي «عليه السلام». وهذا ما لا يستطيع معاوية أن يدَّعيه، ولا أن يدَّعيه أحد له.

5 - إن مروان يدَّعي أنه يحارب أهل الصلاة طلباً بحق يدَّعيه عندهم، وهو أنهم آووا قتلة عثمان.. مع أنه لا حق له عند أحد، فهو ليس ولي دم عثمان..

كما أن علياً «عليه السلام» لم يؤو أحداً من قتلته.

ولو سُلِّم بوجودهم مع علي «عليه السلام» لعرفهم أتباع وأقارب عثمان، ولو عرفوهم لسماهم المطالبون بهم بأسمائهم، لو كان هناك من له حق المطالبة.

6 - وقد ألمح النجاشي إلى أن ما كان يرمي إليه معاوية في تجريده ذلك الجيش هو أن يغلب على العراق، ويضمه إليه.. وليس المقصود هو مجرد الإستقلال بالشام، ودفع علي «عليه السلام» عنها.

معاوية في صفين:

قال ابن أعثم:

وسار معاوية بخيله ورجله حتى نزل في صفين في ثلاثة

وثمانين ألفاً، وذلك لأيام خلت من المحرم، فسبق إلى سهولة الأرض، وسعة المرعى، وقرب الفرات، فنزل هنالك.

ثم إنه بنى بنياناً له، وضرب القباب، والخيام والفساطيط، وبنيت المعالف للخيل، واجتمعت إليه العساكر من أطراف البلاد، فصار في عشرين ومائة ألف، ثم إنه كتب إلى علي «عليه السلام» بهذه الأرجوزة:

لا تحسبنِّي يا علي غافلاً لأوردن الكوفة القبائلا(1)
والمشرفي والقنا الذوابلا من عامنا هذا وعاما قابلا

فكتب إليه علي «عليه السلام» بهذه الأبيات:

[أصبحت ذا حمقٍ تمنى الباطلا لأوردن شامك السواهلا(2)]
أصبحت مني يا بن هند جاهلا لأرمين منكم الكواهلا
تسعين ألفا رامحا ونابلا يزدجرون الأرض [الحزن] والسواهلا
بالحق والحق يزيح الباطلا هذا لك العام [وعاماً] وزرني قابلا

وكتب علي «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص:

لأصبحن العاص وابن العاصي تسعين [سبعين] ألفاً عاقدي

---

(1) لعل الصحيح: القنابلا.

(2) لعل الصحيح: الصواهلا.

النواصي

مستقبين حلق الدلاصي[1] قد جنبوا الخيل مع القلاص

[أسود] آساد غيل حين لا مناص[2]

فكتب عمرو بن العاص إلى علي «عليه السلام» أبياتاً مطلعها:

ألست بالعاصي وشيخ العاصي من معشر في غالب مصاص

قال في الهامش:

خوفتني بلابس الدلاص وقائد الخيل مع القلاص

أمراً بقوم في الوغى انتكاصي لوردها تنقص بالنواصي

لقال كل هارب خلاصي

قال: ثم كتب إليه قيس بن سعد بن عبادة أبياتا مطلعها:

معاوي قد كنت رخو الخناق فألقحت حرباً يضيق الخناقا

وقال في الهامش: موضعها في د:

تشيب النواهد قبل المشيب متى ما تذقها تذم المذاقا

فإن يكن الشام قد أصفيت عليك ابن هند فإن العراقا

أجابت علياً إلى دعوة تعز العدا وتذل النفاقا

---

(1) لعل الصحيح: الدلاص. بحذف الياء.

(2) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص439 - 441 و (ط دار الأضواء) ج2 ص538 و 539 وراجع: صفين للمنقري ص135 - 137.

أتتك الرجال رجال العراق تقود إلى الشام خيلاً عتاقا

لحاق الأباطل، قب البطون تعيد الحزونة سهلاً دقاقا

دعاهم علي إلى خطةٍ أتوه المقاد له والمساقا

فنحن الفوارس يوم الزبير وطلحة إذا أبدت الحرب ساقا

ودارت رحاها على قطبتها ودارت كؤوس المنايا دهاقا

خضبنا الرماح وبيض السيوف وكان النزال هناك اعتناقا

وأنتم صباحاً غداً مثلهم وبزل الجمال تزم الخفاقا(1)

ونقول:

1 ـ لقد اختار معاوية وعمرو بن العاص أن يكتبا إلى علي «عليه السلام» بهذه التهديدات، ليذوقا طعم الأمور عنده، إذا تأكد لديهما مدى تصميمه وعزمه على خوض هذه الحرب.. وربما لأنهما أرادا إخافة أهل العراق من خلال تهديد علي «عليه السلام» على أساس الإيحاء بأنهم يجدون في أنفسهم مزيداً من القوة، ولذلك تجرأوا على أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لا يطمع فيه طامع.

2 ـ وإنما كتب علي «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص وإلى معاوية، لأن معاوية كان زعيمهم، أما عمرو فهو قائد جيش

---

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص439 ـ 441 و (ط دار الأضواء) ج2 ص539 وراجع: صفين للمنقري ص136 و 137 ففيه بعض من ذلك.

الشام، وليس في ذلك السمت من يعرف علياً «عليه السلام» في ساحات الجهاد، ورأى وعاين طرفاً من جهاده «عليه السلام» أكثر من عمرو بن العاص ومعاوية.

فإذا ضعفا عن المواجهة، فإن اختلالاً كبيراً سيلحق بجيشهم، وسيسهِّل على أهل الحق حسم المعركة بأدنى قدر ممكن من الخسائر.

3 - إن النصوص المنقولة قد اختلفت فيما بينها في عدد جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» بين تسعين ألفاً وسبعين الفاً.

وما أكثر الإختلاف بين هذين الرقمين، حيث تراهما باستمرار جنباً إلى جنب، فيما يذكر من أقوال.

والظاهر ـ كما قلناه أكثر من مرة ـ: أن سبب ذلك هو التشابه في رسم الخط بين كلمتي سبعين وتسعين، وإنما يظهر التمايز بينهما بوضع النقاط على الحروف، وقد كان السابقون قليلي العناية بتنقيط الحروف.

علي × يستشير في المسير:

قال ابن أعثم:

فنادى علي في الناس فجمعهم، ثم خطبهم خطبة بليغة وقال:

أيها الناس! إن معاوية بن أبي سفيان قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل الشام عازماً على حربكم، فإن غلبتموهم استعانوا عليكم بالروم، وإن غلبوكم فلا حجاز ولا عراق.

وقد زعم معاوية لأهل الشام أنهم أصبر منكم على الحرب، وهذا كلام يستحيل عن الحق، لأنكم المهاجرون والأنصار والتابعون، والقوم أهل شبهة وباطل، وإنما سميت شبهة لأنها تشبه الحق، ولا يخلو أن يكون فيها رشح من الهدى، فخذوا في أهبة الحرب فقد تقارب إهراق دماء القاسطين.

ألا! وإن المشورة فيها البركة، فهاتوا رحمكم الله ما عندكم(1).

لكن نصر بن مزاحم قال:

«لما أراد علي المسير إلى أهل الشام دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركوا الفعل والأمر.

وقد أردنا المسير إلى عدونا، وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم».

فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد يا أمير المؤمنين، فأنا بالقوم جد خبير، هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك، لا يبقون جهدا، مشاحة على الدنيا، وضنا بما في أيديهم

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص441 و 442 و (ط دار الأضواء) ج2 ص539.

منها. وليس لهم إربة غيرها إلا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان. كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدنيا يطلبون.

فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد الحق إلا الضلال. وإن أبو إلا الشقاق فذلك الظن بهم.

والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى، و [لا] يسمع إذا أمر»(1).

قال ابن أعثم:

فقام إليه عمار بن ياسر، فقال: يا أمير المؤمنين! إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل، واشخص بنا [قبل استعار نار الفجرة] إلى عدونا من قبل اجتماع عدونا على الصدود والفرقة، فإذا وافيت القوم فادعهم إلى حظهم ورشدهم، فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلا حربنا فوالله! إن سفك دمائهم، والجد في جهادهم لقربة إلى الله عز وجل وكرامة منه.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا أمير المؤمنين! إكمش(2) بنا إلى حرب عدونا ولا تعرِّج.

فوالله! إن جهادهم لاحب إلينا من جهاد الروم والترك والديلم،

---

(1) صفين للمنقري ص92 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص171 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص297.

(2) لعل الصحيح: إمش.

لادهانهم في دين الله، واستذلالهم لأولياء الله، إذا غضبوا على رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حبسوه، أو ضربوه، أو حرموه، أو سيروه. وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم كمين.

[وعند المنقري: ونحن لهم ـ فيما يزعمون ـ قطعين[1]].

قال: فتكلمت الأشياخ من الأنصار [منهم خزيمة بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما] وقالوا: يا قيس! لم بدأت أشياخ قومك بالكلام؟

قال: فاستحيا قيس ثم قال: والله! إني لعارف بفضلكم، معظم [لشأنكم] لأنسابكم، وإنكم لساداتي وعمومتي، ولكني قد وجدت الذي في صدري قد جاش، فلم أجد بدا من الكلام.

قال: فأمسك عنه القوم [فقال بعضهم لبعض: ليقم رجل منكم فليجب أمير المؤمنين عن جماعتكم.

فقالوا: قم يا سهل بن حنيف].

وقام سهل بن حنيف الأنصاري، فقال: يا أمير المؤمنين! نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت، ورأينا رأيك، متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك، وليس عليك منا خلاف. والسلام[2].

---

(1) الظاهر: أن هذه الكلمة تصحيف لكلمة «كمين».

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص442 و 443 و (ط دار الأضواء) ج2 ص539 و 540 وصفين للمنقري ص92 و 93 ونهج السعادة ج2 ص93 و 94

وعند المنقري:

[ورأينا رأيك، ونحن كف يمينك.

وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخوص، وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد، وهم الناس. فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب.

وأما نحن فليس عليك منا خلاف، متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك.

روى نصر: عن عمر بن سعد قال: حدثني أبو زهير العبسي، عن النضر بن صالح: أن عبد الله بن المعتم[1] العبسي، وحنظلة بن الربيع التميمي، لما أمر علي «عليه السلام» الناس بالمسير إلى الشام، دخلا في رجال كثير من غطفان وبني تميم على أمير المؤمنين، فقال له التميمي:][2].

قال ابن أعثم:

فوثب حنظلة بن الربيع التميمي، فقال: يا أمير المؤمنين! إننا قد مشينا إليك بنصيحة فاقبلها منا، ولا تردها علينا، فإننا قد نظرنا لك

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص172 و 173.

(1) في سائر المصادر: المعتمر.. لكن في كتاب صفين «المعتم» أي لابس العمة. وربما تمون الراء قد أسقطها الناس وهماً منهم.

(2) صفين للمنقري ص95 ونهج السعادة ج2 ص98.

ولمن معك من المسلمين. الرأي عندنا أنك تقيم ولا تعجل بالمسير إلى قتال أهل الشام، فإني والله لا أدري على من تكون الدائرة [الدبرة].

قال: فتكلم عبد الله بن المعتمر، فقال: إن الله تبارك وتعالى رب العباد والبلاد يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، فأما الدائرة [الدبرة]، فإنها على الظالمين العاصين القاسطين ظفروا أو لم يظفروا[1].

ولكن يبدو أن ابن أعثم قد أسقط شطراً من الكلام هنا.. والصحيح هو ما ذكره المنقري، فقد قال:

«وقام ابن المعتم فتكلم، وتكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل ما تكلم به، فحمد على الله وأثنى عليه، وقال:

«أما بعد، فإن الله وارث العباد والبلاد، ورب السماوات السبع والأرضين السبع، وإليه ترجعون. يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

أما الدبرة فإنها على [الضالين] العاصين، ظفروا، أو ظفر بهم.

وأيم الله، إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً، ولا ينكروا منكراً».

فقام إليه معقل بن قيس اليربوعي ثم الرياحي فقال:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص442 و 443 و (ط دار صادر) ج2 ص540 وصفين للمنقري ص92 و 93.

«يا أمير المؤمنين، إن هؤلاء والله ما أتوك بنصح، ولا دخلوا عليك إلا بغش، فاحذرهم فإنهم أدنى العدو»(1).

قال ابن أعثم:

فوثب عباس بن شريك العبسي، فقال: يا أمير المؤمنين! إنه قد بلغنا أن صاحبنا هذا عبد الله بن المعتمر ممن يكاتب معاوية، فاحبسه عندك إلى أن تفرغ من غزاتك، وإلا فأمكنا منه حتى نقلته.

قال: ثم وثب مالك فقال: يا أمير المؤمنين! إن حنظلة بن الربيع أيضاً ممن يكاتب معاوية، فادفعه إلينا، وإلا فاحبسه إلى أن تفرغ من أمرك. [قال المنقري: فأخذا يقولان: هذا جزاء من نظر لكم، وأشار عليكم بالرأي فيما بينكم وبين عدوكم!!].

قال: فقال علي «عليه السلام»: يا حنظلة ويا بن المعتمر! إني قد سمعت كلامكما، والله بيني وبينكما، وإليه أكلكما، فاذهبا حيث شئتما!

قال: فهربا جميعاً، فأما عبد الله بن المعتمر فصار إلى معاوية، وأما حنظلة فاعتزل الفريقين جميعاً(2).

ثم تابع المنقري تفصيل ذلك، فقال:

---

(1) صفين للمنقري ص95 و 96 ونهج السعادة ج2 ص98 و 99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص175 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص398 .

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص443 و 444 و (ط دار صادر) ج2 ص541 وصفين للمنقري ص95 و 96 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص176 وجمهرة خطب العرب ص312 - 315.

ثم بعث علي إلى حنظلة بن الربيع، المعروف بحنظلة الكاتب، وهو من الصحابة، فقال: يا حنظلة، أعلي، أم لي؟!

قال: لا عليك ولا لك.

قال: فما تريد؟!

قال: اشخص إلى الرها، فإنه فرج من الفروج، اصمد له حتى ينقضي هذا الأمر.

فغضب من ذلك خيار بني عمرو بن تميم ـ وهم رهطه ـ فقال: إنكم والله لا تغرونني من ديني. دعوني فأنا أعلم منكم.

فقالوا: والله لئن لم تخرج مع هذا الرجل لا ندع فلانة تخرج معك ـ لأم ولده ـ ولا ولدها. ولئن أردت ذلك لنقتلنك.

فأعانه ناس من قومه، فاخترطوا سيوفهم.

فقال: أجلوني [حتى] أنظر.

فدخل منزله وأغلق بابه حتى إذا أمسى هرب إلى معاوية، وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير.

ولحق ابن المعتم أيضاً حتى أتى معاوية، وخرج معه أحد عشر رجلاً من قومه.

وأما حنظلة فخرج بثلاثة وعشرين رجلاً من قومه، ولكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعاً، فقال حنظلة حين خرج إلى معاوية:

يسل غواة عند بابى سيوفها ونادى مناد في الهجيم لأقبلا

سأترككم عودا لأصعب فرقة إذا قلتم كتلا يقول لكم بلى

قال: فلما هرب حنظلة أمر علي «عليه السلام» بداره فهدمت، هدمها عريفهم بكر بن تميم، وشبث بن ربعي، فقال في ذلك:

أيا راكبا إما عرضت فبلغن مغلغلة عني سراة بني عمرو

فأوصيكم بالله والبر والتقى ولا تنظروا في النائبات إلى بكر

ولا شبث ذي المنتخريتن كأنه أزب جمال في ملاحية صفر

وقال أيضاً يحرض معاوية بن أبي سفيان

أبلغ معاوية بن حرب خطة ولكل سائلة تسيل قرار

لا نقبلن دنية تعطونها في الأمر حتى تقتل الأنصار

وكما تبوء دماؤهم بدمائكم وكما تهدم بالديار ديار

وترى نساؤهم يجلن حواسرا ولهن من علق الدماء خوار(1)....

(1) صفين للمنقري ص97 و 98.

قال في الفتوح:

ثم وثب عدي بن حاتم الطائي فقال: يا أمير المؤمنين! إنك ما قلت إلا بعلم ولا دعوت إلا إلى الحق ولا أمرت إلا بالرشد، ولكن آن أن تتأنى بالقوم ولا تعجل بالمسير إليهم، وتبعث إليهم بكتبك وتقدم عليهم رسلك، فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم، والعاقبة أوسع لنا ولهم، وإن ساروا في الشقاق ولم ينزعوا عن الغي فسر وقد قدمنا إليهم العذر[1].

أضاف المنقري:

[ودعوناهم إلى ما في أيدينا من الحق، فوالله لهم من الله أبعد، وعلى الله أهون من قوم قاتلناهم بناحية البصرة أمس، لما أجهد لهم الحق فتركوه ناوخناهم براكاء القتال حتى بلغنا منهم ما نحب، وبلغ الله منهم رضاه فيما يرى].

فقام زيد بن حصين الطائي ـ وكان من أصحاب البرانس المجتهدين ـ فقال: الحمد لله حتى يرضى، ولا إله إلا الله ربنا، ومحمد رسول الله نبينا.

أما بعد، فوالله لئن كنا في شك من قتال من خالفنا، لا يصلح لنا النية في قتالهم حتى نستديمهم ونستأنيهم. ما الأعمال إلا في تباب، ولا السعي إلا في ضلال. والله يقول: **(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)**[2].

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص445 وراجع: صفين للمنقري ص98 و 99.

(2) الآية 11 من سورة الضحى.

إنا والله ما ارتبنا طرفة عين فيمن يبتغون دمه، فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم، القليل في الإسلام حظهم، أعوان الظلم، ومسددي أساس الجور والعدوان. ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار، ولا التابعين بإحسان][1].

وحسب نص ابن أعثم:

قال: فوثب زيد بن صوحان العبدي، فقال: والله! لئن كنا في شك من [قتال] خلاف من خالفنا فإنه لا يصلح لنا البتة قتالهم، وكيف نتأنى بالقاسية قلوبهم، القليل في الاسلام حقهم، أعوان الظلم ومؤسسي أساس الحقد والظلم والعدوان، وليسوا من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين بإحسان.

قال: فقام رجل من بني طيء، فقال: يا زيد بن صوحان ! أتهجر كلام سيدنا عدي بن حاتم، وتعترض عليه؟!

فقال زيد: ما أنتم بأعرف بحق عدي بن حاتم مني، ولكن لا أدع القول بالنصيحة والحق وإن سخط الناس.

قال: فقال عدي بن حاتم: يا زيد! [الطريق مشترك]، الناس في الحق سواء، ومن نصح فقد قضى الذي عليه.

قال: ثم وثب أبو زينب بن عوف، فقال: يا أمير المؤمنين! والله لئن كنا على الخلاف لأنت أهدانا سبيلاً، وأعظمنا في الخير نصيباً،

---

(1) صفين للمنقري ص99.

ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلنا ظهراً وأعظمنا وزراً، وقد أمرتنا بالمسير إلى أهل الشام ، وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية، وأظهرنا لهم فيك العداوة، ونريد بذلك ليعلم الله ما في أنفسنا، فليس الذي نحن عليه هو الحق المبين، والذي عليه عدونا هو الغي والضلال الكبير.

[وفي نص ابن أعثم ـ وهو الصواب ـ: نريد بذلك ما يعلم الله [من طاعتك]، وفي أنفسنا من ذلك ما فيها.

أليس الذي نحن عليه الحق المبين؟!].

فقال علي: [بلى] (قل لي) يا أبا زينب! أشهد أنك مضيت معنا ناصراً لدعوتنا، صحيح النية في نصرتنا، وإنك إن قطعت لهم الولاية وأظهرت لهم العداوة كما زعمت، فإنك ولي الله، تسبح في رضوانه، وتركض في طاعته، فأبشر يا أبا زينب!

قال: والتفت إليه عمار بن ياسر، فقال: يا أبا زينب! أثبت ولا تشكك في الأحزاب، فإنهم [عدو الله ورسوله(1)] حزب الله وحزب الرسول «صلى الله عليه وآله»(2).

---

(1) وهذا هو الصحيح.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص445 و446 و(ط دار الأضواء) ج2 ص541 و542 وصفين للمنقري ص100 و101 وراجع: نهج السعادة ج2 ص 100 و102.

قال المنقري:

[قال: فقال أبو زبيب: ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة فيشهدا لي على ما سألت عنه من هذا الأمر الذي أهمنى مكانكما.

قال: وخرج عمار [بن ياسر] وهو يقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سـيـروا فخيـر النـاس أتبـاع علـــــــــــــــــــــــــــــــــــي

هـذا أوان طـاب سـل الـمشـرفي وقـــــودنا الخيـــــل وهــــز السمهري[1]]

قال ابن أعثم:

قال: ثم وثب يزيد بن قيس الأرحبي، فقال: يا أمير المؤمنين! إننا على جهاز وعدة، وأكثر الناس أهل قوة ونجدة، ومن ليس به ضعف ولا علة، فمر مناديك فليناد في الناس أن يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة، فإن أخا الحرب ليس بالسؤم ولا بالنؤوم [ولا من إذا أمكنه الفرص أجلها واستشار فيها].

ولا يؤخر عمل اليوم في الحرب إلى غد وبعد غد، ولكن توكل على الله عز وجل، وثق به، واشخص بنا إلى عدونا راشداً معاناً، فإن يرد الله بهم خيراً تبعوك، فوالله ما يجدون مثلك في السابقة والقرابة من محمد «صلى الله عليه وآله»، وإن أبوا إلا حربنا استعنا بالله

---

(1) صفين للمنقري ص101.

عليهم، ونرجو أن يصرعوا مصارع إخوانهم بالأمس(1).

قال المنقري:

فقال زياد بن النضر: لقد نصح لك يا أمير المؤمنين يزيد بن قيس، وقال ما يعرف، فتوكل على الله وثق به، واشخص بنا إلى هذا العدو راشداً معاناً، فإن يرد الله بهم خيراً لا يدعوك رغبة عنك إلى من ليس مثلك في السابقة مع النبي «صلى الله عليه وآله»، والقدم في الإسلام، والقرابة من محمد «صلى الله عليه وآله». وإلا ينيبوا ويقبلوا ويأبوا إلا حربنا نجد حربهم علينا هينا، ورجونا أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس.

ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال:

«يا أمير المؤمنين، إن القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون، ما خالفونا. ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأسوة، وحباً للأثرة، وضناً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في أنفسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها أباءهم وإخوانهم».

ثم التفت إلى الناس، فقال: [أيها الناس] فكيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة [وعم أمه يوم بدر] في موقف واحد؟!

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص446 و 447 و (ط دار الأضواء) ج2 ص542 وصفين للمنقري ص101.

والله ما أظن [أنهم يبايعون علياً أبداً] أن يفعلوا، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصَّد فيهم المران، وتقطَّع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد، وتكون أمور جمة بين الفريقين(1).

ونقول:

علينا أن نتوقف عند الأمور التالية:

هل يستشير المعصوم؟!:

لا نظن أن أحداً من الحكام يواجه من الأخطار ما يواجهه أمير المؤمنين «عليه السلام»، يسمح لنفسه بأن يستشير أصحابه، ويعطيهم الخيار في رفض نصرته وفي القبول..

إن ما نعرفه هو: أن الحكام كانوا يأخذون الناس بطاعة أوامرهم، والنزول عند رغباتهم بلا هوادة، ولا رخصة..

ولكن علياً «عليه السلام» ليس كهؤلاء، بل هو يراعي الحكم الشرعي والأخلاقي في كل كبيرة وصغيرة، وفي حال الرخاء والبلاء على حد سواء.. والوقائع والأحوال هي التي أثبتت هذا الأمر.

وفي جميع الأحوال نقول:

وقد يسأل سائل عن مشورة علي «عليه السلام» لأصحابه، فإنه

---

(1) صفين للمنقري ص101 و 102 والفتوح لابن أعثم ج2 ص447 و (ط دار الأضواء) ج2 ص542 و 543.

إذا كان إماماً مسدداً بعلم الإمامة، ومعصوماً فما حاجته إلى المشورة؟!

ونجيب:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن بحاجة إلى آرائهم، وهو أعلم منهم بالأمور، وبما يصلح فاسدها. أما إذا جاءت مختلفة ومتباينة.. فقد يكون الأخذ بأي منها مثار جدل وخلاف، وعتب وشك وشبهة.

ثانياً: إن حكمة المشورة لا تنحصر باستخراج الرأي الصواب للعمل به، بل لها حِكَمٌ وفوائد أخرى، سنشير إلى بعضها فيما يأتي تحت عنوان: من فوائد استشارته أصحابه «عليه السلام»..

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان مسدداً بالوحي، كان يستشير أصحابه.. ولكن القرار النهائي كان له، وذلك على قاعدة: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ)**(1). وهكذا الحال بالنسبة لعلي «عليه السلام»، فإن استشارته لهم لا تعني طاعته لهم، والإنتهاء إلى آرائهم.

رابعاً: إنه «عليه السلام» كان يشاور أصحابه في أمر الحرب التي فيها قتل وجرح، وإخلال بالعلاقات مع الآخرين وتضحيات لا بد أن يتخذوا هم قرارهم بشأن قبولها، والإقدام عليها.

---

(1) الآية 159 من سورة آل عمران.

كما أن الجهاد عبادة. ولا يمكن فرضه على أحد بالقوة والقهر، لأن ذلك يفرغه من مضمونه العبادي، ويفقد الإستشهاد معناه، ويجعل القتل مجرد خسارة للمقتول في الدنيا وفي الآخرة.

متى كان هذا الحوار؟!:

لا حاجة إلى بذل أي جهد، لتحديد التاريخ الذي جرى فيه الحوار السابق، فقد صرح «عليه السلام» بأمرين كانا قبل ذلك:

أولهما: حديث موادعة معاوية ملك الروم، للتفرغ لحرب علي «عليه السلام»..

الثاني: أن معاوية قد سار إلى صفين في أهل الشام، عازماً على الحرب..

مضمون كلام علي ×:

إن كلامه «عليه السلام» ينقسم إلى شقين:

أولهما: موادعة معاوية لملك الروم.

والآخر: ما زعمه معاوية، من أن أهل الشام أصبر من أهل العراق..

وكلا الأمرين لا يمكن قبوله ولا السكوت عليه لما يلي:

الموادعة لملك الروم:

تحدثنا فيما سبق، عن موادعة معاوية لملك الروم.. غير أن ما

يعنينا هنا: هو أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أعلن بنفسه هذا الأمر على أصحابه، ووضعه أمام أعينهم ليعرفهم خطورة الأمر، وليعرفوا عدوهم على حقيقته، وإلى أي مدى وفي أي اتجاه يسوق الأمور.. ليتضح لهم أنه لا يبالي أن يضمحل الدين، إن لم نقل: إنه يسعى إلى ذلك من أجل مآربه.

يضاف إلى ذلك ما يلي:

أولاً: يريد أن يريهم كيف أن معاوية شديد عليهم، ويسعى لحربهم، وقتلهم، أو أسرهم، في حين أنه رحيم مع الكفار، بل مع رمز الكفر، وعنوانه، والمدافع عنه، والحريص على محق دين محمد «صلى الله عليه وآله»، وكسر شوكة المسلمين والمؤمنين..

وهذا بالذات هو الذي بينه «عليه السلام» في المعادلة التي وضعها أمام أعينهم بقوله: «إن معاوية بن أبي سفيان، قد وادع ملك الروم، وسار إلى صفين في أهل الشام، عازماً على حربكم »..

ثانياً: يريد لهم أن يرو أيضاً إلى أي حد بلغ حب هذا الرجل للدنيا، وتفانيه في سبيلها، وبمن، وبماذا يضحي، ومن أجل ماذا!!

ثالثاً: والأشر، والأضر، والأدهى، والأمر: أن معاوية قد اتفق مع ملك الروم على أنه إن غُلِبَ، أعانه الروم على علي «عليه السلام»، ومن معه من أهل الحجاز والعراق..

وهذا ما لم نجد أحداً صرح لنا به.. بل كان علي «عليه السلام»، هو الذي كشفه لنا، وأظهره. بل المحدثون والمؤرخون قد تعاموا عنه،

بالرغم من إعلانه من قبل علي «عليه السلام».

رابعاً: لو كانت الغلبة لمعاوية وجيشه، فإن الحجاز والعراق معاً، سوف يصبحان في قبضة عدوهم، الذي لن يجدوا في قلبه شيئاً من الرحمة.. وسيمعن معاوية وأعوانه فيهم تقتيلاً، وتنكيلاً، وإذلالاً..

والشاهد على ذلك: نفس موادعته لملك الروم، ومسيره لحربهم، ثم اتفاقه مع ذلك الجبار الكافر، ليعينه على قتالهم إن احتاج إلى ذلك.

أهل العراق أصبر من أهل الشام:

وأما بالنسبة للشق الثاني من كلام علي «عليه السلام»، فهو حديثه عن مزاعم معاوية: أن أهل الشام أصبر من أهل العراق، والحجاز، فإنها مزعمة خطيرة جداً على معنويات أصحاب علي «عليه السلام»، لأن أثر هذا الكلام إنما يظهربعد مواجهة الشدائد، وبذل الجهد والمصابرة، والمعاناة، حيث تميل النفس في هذه الحال، إلى التماس ما يخفف عنها، فيستحضر العقل الباطن هذه الكلمة، ويجد فيها لنفسه بعض العذر في التراخي، أو في الإنسحاب من الساحة في لحظة ربما تكون هي الأخطر عليه، وعلى من معه في تاريخه كله..

وهذا هو سبب اهتمامه «عليه السلام» بإبطال هذه المزعمة.

مع أن معاوية، لم يزد على أنه أطلقها لهم من دون أن يقيم عليها أي دليل أو شاهد..

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» أراد إبطال هذا الكيد

الإعلامي، الذي يهدف إلى الإيحاء بأمور لا واقع لها، لأن عدم إبطالها سيؤدي إلى آثار بالغة الخطورة، هائلة النتائج..

ولم يكتف «عليه السلام» بمجرد البيان، والتقرير للبطلان بصورة جازمة، وحاسمة، وحازمة.. بل أقام لهم عليه الدليل الصريح، والواضح، الذي يثبت أن أهل الشام هم المهزومون، الذين لا يثبتون في الحرب، ولا يصبرون على الطعن والضرب..

وهذا الدليل يتلخص بما يلي:

إن الحرب، وإن كانت صعبة ومبغَّضة للنفس؛ لما فيها من أخطار وأهوال، ومفاجآت، ولكنها تبقى في دائرة الإختيار، وهي تبدأ بقرار، وتنتهي بقرار، تنتجه مجموعة من الحوافز، والمؤثرات، التي قد تكون دينية صحيحة وواضحة.. وقد تكون دنيوية، تسلطية، أو استئثارية، تعتمد على القهر، والظلم، والمكر، والخداع، والتضليل..

أما الدينية، فقوامها: الوضوح في الرؤية، والقناعة التامة، واليقين، الذي يكرس القناعة بضرورة الإستعاضة بالآخرة عن الدنيا، ورضا الله السُّبحان عن رضى الشيطان..

والمفروض هنا: أن معاوية يدعي أنه يطلب بثأر عثمان، زاعماً أنه يريد إقامة شرع الله، طلباً لرضاه.. أو يدعي لنفسه أنه هو الأولى بخلافة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. في حين أن غرضه الأصلي هو الدنيا، والملك، والسلطان، ولكنه يلبسه لباس الدين، ويعطيه صفة الحق، ليفوز بنصرة الناس له..

أما علي «عليه السلام»، فهو يدافع عن دين الله تعالى، وعن أهل الدين. وعن المستضعفين من الرجال، والنساء، والولدان.. وقد عهد إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأن يقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين..

وإذا ألقينا نظرة على واقع الناكثين من جهة، ثم على حال أهل الحق والدين من جهة أخرى، فسنجد:

أولاً: إن أهل الحق، وهم علي «عليه السلام» ومن معه، يملكون حجةً قاطعةً، يسطع منها نور الحق غامراً وباهراً، لا يُبقي عذراً لمعتذر، فالقرآن ينطق بحق علي «عليه السلام» في الإمامة والخلافة، وتلك هي أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله» صادحة في أن علياً «عليه السلام» مع الحق ومع القرآن، وأن الحق والقرآن معه، في كل ما يقول ويفعل، ويعترف بها العدو والصديق.

وتلك هي سيرة علي «عليه السلام» فيهم ومعهم، وهو بينهم يعرفون دينه وصدقه وتقواه، ينشر فيهم علومه، ويعيشون في كنف عدله، ويرون زهده، وأخلاقه، وهو يعلمهم، ويزكيهم، ويتلوا عليهم آيات الله. ويشقى ويتعب من أجلهم.

وهؤلاء هم الصحابة بما فيهم المهاجرون والأنصار، ومعهم التابعون الآخذون منهم، ومن غيرهم، ممن سبقوهم، إنهم جميعهم معه، ينصرونه، ويعلنون بفضله، ويجهرون بحقه، ويحاربون معه، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وأهوائهم، وانتماءاتهم القبلية،

والسياسية، وتشعب مصالحهم..

بل إنه حتى معاوية، ومن معه، ما زالوا يعترفون له بالفضل، والتقدم في كل شيء..

وهذا كله لا بد أن يرسخ إيمان أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويزيد في بصيرتهم، ويحتم عليهم المضي على يقينهم، مهما كلفهم ذلك من تضحيات، ويزين لهم الصبر في ساحات الجهاد، لأنهم على بينة من ربهم، وعلى يقين من أمرهم.. فلماذا يترددون ويتلكأون؟!

ثانياً: بالنسبة للفريق الآخر.. فليس في يديه إلا الشبهات، ولا يرى أمام عينيه إلامتابعة الأهواء والعصبيات، ولا يملك إلا حفنة يتلهى بها، ما هي إلا قصص، من الترهات والأباطيل، والتزيينات الشيطانية المتمازجة مع الأطماع، ومع حب الدنيا..

ولا يمكن لهؤلاء، وهم أهل شبهة وريب، وباطل، وما إلى ذلك، أن يكونوا أصبر من أولئك الذين يرون الحق أمام أعينهم، كالشمس الطالعة، بأنوارها الساطعة، في السماء والأرض الواسعة..

ومن المعلوم: أنه إذا وضعت الأمور على المحك، ويبلغ السيل الزبى، والحزام الطبيين، ولم يعد هناك خيار، فإن أهل الباطل يحجمون، وأهل الشبهة يترددون، وأهل الأطماع لا يقدمون، بل يؤثرون الرجوع بخفي حنين، أو بدونهما، لأنهم يرون ذلك خيراً لهم من أن لا يرجعوا أصلاً.

أو فقل: إن الشبهة لا تستطيع أن تكون بديلاً عن الحق، لأنها سينكشف زيفها حين يبلغ الأمر مقطعه بأدنى تأمل، وتدبر.. وإذا جاء الحق زهق الباطل، لأن الباطل لا يغني عن الحق شيئاً..

معنى الشبهة عند علي ×:

وقد رأينا كيف أن علياً «عليه السلام» لا يكتفي بمجرد إصدار الأوامر، وإعطاء القرارات الجاهزة، والحاسمة، بل هو يدخل مع الناس في عمق المسائل، ويبين لهم دقائقها وحقائقها، ويشرحها بصورة علمية مقنعة ودقيقة..

فتراه هنا يشرح للناس سبب تسمية الشبهة، ويقول: إنها «سميت شبهة، لأنها تشبه الحق»..

ثم يزيد في بيانه الدقيق هذا، فيقول: «ولا يخلو أن يكون فيها رشح من الهدى». وما أجمل هذه الكلمة وأدقها، وأوفاها بالمعنى: «رشح من الهدى»!!

وبديهي: أن الباطل الصريح والواضح، لا يخفى على أحد، فيأخذ أهل الزيغ من الحق ضغثاً، ومن الباطل ضغثاً، ويمزجانهما، بحيث يصير الباطل متلفعاً بالحق. ثم يقدمون هذا المزيج على أنه حق كله.

وهذا يعطي: أن على الإمام أن يتجاوز في تعليمه لرعيته مرحلة إعطاء النتائج، ليدخل في التفاصيل، والدقائق، والخلفيات، والعلل، وبيان الآثار..

إهراق دماء القاسطين:

ويلاحظ هنا أيضاً:

أنه «عليه السلام» لم يقل للناس: قَرُبَ موعد قتل القاسطين، أو البطش بهم، أو إزهاق أرواحهم، أو نحو ذلك، بل عبر بكلمة تبعد السامع عن كل ما يثير الشفقة، أو توجب نفور الطبع، أو تشعر بعصمة الدم، أو بأن للطرف الآخر حرمة قد سقطت بفعله، أو نحو ذلك..

فعبر بكلمة «إهراق» الخاوية عن أية إلماحةٍ مهما كانت.

المشورة لماذا؟!:

وقد رأينا: أنه «عليه السلام» حين تكلم عن موضوع المشورة في أمر الحرب، لم يقل: إن فيها تصويباً للرأي. فقد ذكرنا: أنه «عليه السلام» كان في غنى عن ذلك، بل يريد منهم أن يتخذوا قرارهم بالحرب، لأن الحرب كانت مفروضة لأسباب ثلاثة:

أولها: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد إليه بحرب الناكثين، والقاسطين، والمارقين..

ثانيها: أن حقائق الإسلام وشرائعه، تفرض عليه قتال هذا النوع من الناس، ولأجل ذلك، قال «عليه السلام»:

«أيها الناس، إني والله قد ضربت هذا الأمر ظهره وبطنه، ورأسه، وعينه، فلم أجد بداً من قتال هؤلاء القوم، أو الكفر بما أنزل

الله عز وجل على محمد صلوات الله عليه وآله»[1].

ثالثها: إن معاوية لن يتركه وشأنه، ولن يقر له قرار ما دام علي «عليه السلام» حياً وحاكماً ..

البركة في المشورة:

ثم ذكر «عليه السلام»: أنه إنما يريد مشاورتهم، لا لأجل حاجته إلى آرائهم.. بل لأن في المشورة بركة..

والبركة هي النماء والزيادة، وليس بالضرورة أن يكون هذا النماء مرتبطاً بالآراء وصوابها، بل لعله مرتبط بفوائد وعوائد تعود على نفس الذين يشاورهم. وهذا هو ما قصده هنا، كما سيتضح فيما يلي..

من فوائد مشورته × أصحابه:

إن في إفساح المجال للناس، لإبداء آرائهم، فوائد وعوائد كثيرة، نذكر منها ما يلي:

---

(1) شرح الأخبار ج1 ص382 عن ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج3 ص138 الحديث 1182 و 1183. وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص322 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص715 و كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص349 وبحار الأنوار ج32 ص185 و 393 وذخائر العقبى ص112 ونهج السعادة ج1 ص256 و 257 وج2 ص158 والمستدرك للحاكم ج3 ص115.

1 - أن يظهر الناس للحاكم، ولبعضهم بعضاً ما في نفوسهم، ويفكرون به.. لأنه يريد أن يتعامل معهم، وأن يوكل إليهم مهمات كبيرة وخطيرة، فما لم توضع النقاط على الحروف، ويكون كل شيء معلوماً وواضحاً لكل أحد.. فإن النتائج لا يمكن أن تكون مضمونة.. وإذا كانت هذه النتائج والآثار تمس مصير الناس وحياتهم، فلا بد من الإحتياط الشديد في الإعداد والإستعداد لها.. وتحصيل اليقين بسلامة المسار للتأكد من سلامة المصير.

2 - إن ما يظهره الناس أمام أقرانهم، وأمامه من آراء ومواقف ونصائح، سيصبح وثيقة في أيدي أولئك الأقران والإخوان، يمكنهم أن يطالبوهم بالوفاء بمضمونها عند الحاجة.

3 - إنه ما يبدونه من ملاحظات وآراء يدل على مستوى الوعي السياسي والديني والإجتماعي لديهم، ومدى معرفتهم بزمانهم، وبما حولهم وبما يملكونه من قدرات، وحقيقة ما لديهم من ملكات ومواهب في مجال التدبير، والسياسة، وربما دل على بعض ما لديهم من خصائص وميزات روحية ونفسانية وإنسانية، مثل الشجاعة والشهامة، والحزم، والإقدام وسجاحة الأخلاق، وكرم النفس وما إلى ذلك..

4 - إن المشورة هي من وسائل تأليفهم، وكسب ودهم، وتأكيد ثقتهم، وزيادة بصيرتهم ومعرفتهم بمسار الأمور.

5 - وربما ظهر في فلتات لسان البعض منهم، وعلى صفحات

وجهه، بعض ما يضمره، كان يتستر عليه.. وقد يظهر من لحن كلامه، مدى تسليمه وانقياده، وطاعته للإمام..

6 ـ وبكلمة موجزة: إن انكشاف أحوال أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» والوقوف على نظراتهم المختلفة للأمور يسهل عليه التعامل معهم، كما أنه يسهل عليهم التعامل مع بعضهم البعض، وبذلك يتم تلافي الكثير من السلبيات التي يكون سببها نقصان المعرفة بتلك الأحوال..

7 ـ على أن من الواضح: أنه «عليه السلام» حين يسمع من أصحابه ما يشيرون به، فإنه سوف يتفاعل معه.. فإذا سمع منهم ما لا يستقيم في السياسة أو في الدين، فسيكون في موقع المراقب والناقد، ولن يتردد في تصحيح ما يحتاج إلى تصحيح، وفي تقدير الأمور بصورة سلمية ووضعها في نصابها الصحيح..

8 ـ هذا بالإضافة إلى أن من ثمرات هذه المشورات هو أن يخرج الناس من حالة التهميش التي يريدها لهم المتسلطون عليهم بالأثم والعدوان.. ويجعلهم يشعرون بأن لهم سهماً في التدبير، وأن لهم أثراً في تقرير المصير..

كما أن هذه السياسة تدعوهم إلى التعاطي مع الأمور بروح الفهم والوعي، ويرفع من مستوى تفكيرهم الديني والسياسي، ويضاعف حرصهم على نجاح الأمور، ويعطيهم الشعور بأن القضية قضيتهم، وليسوا مجرد وسائل وآلات تنفيذ.

9 - وهذا ما يجعلنا نفهم بعمق قول معاوية لعكرشة بنت الأطرش حين واجهته بالحجة البالغة والحقائق الدامغة:

«هيهات يا أهل العراق! نبهكم علي بن أبي طالب، فلن تطاقوا»(1).

كما أنه يذكرنا بقول الكميت «رحمه الله» عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام»، وما يميزهم عن بني أمية وسواهم:

ساسة لا كمن يرى الناس سواء ورعية الأنعام
لا كعبد المليك أو كوليد أو سليمان بعد أو كهشام
رأيه فيهم كرأي ذوي الثلة في الثائجات جنح الظلام
جزٌّ ذي الصوف وانتقاء لذي المخَّـ ـة نعقاً ودعدعاً بالبهام

ويقول الكميت أيضاً عن قتله «عليه السلام»:

قتلوا يوم ذاك إذ قتلوه حكماً لا كسائر الحكام
راعياً كان مسجحاً ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام

وقد قال علي «عليه السلام» عن نفسه مشيراً إلى جهوده في تثقيف وتوعية أهل العراق:

«وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال

---

(1) العقد الفريد ج2 ص112 وبلاغات النساء ص104 (ط سنة 1972 م. ش) وصبح الأعشى ح1 ص300.

والحرام»(1).

10 ـ كان من ثمرات هذه المشورة: إفتضاح أمر بعض الزعماء، الذين كانوا يكاتبون معاوية، مثل حنظلة بن الربيع، وعبد الله بن المعتمر، وجماعة كانوا معهما..

ولا شك في أن ما جرى لهؤلاء سوف يجعل غيرهم ممن قد تميل نفسه إلى مثل هذا الأمر، يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على أمر سيؤدي إلى مثل هذه الفضيحة الهائلة..

11 - إن كلام ابن المعتمر (أو المعتم) وحنظلة بن الربيع، قد اتخذ سبيل التخذيل، وإضعاف العزائم.. وقد شرح «عليه السلام» كلامهما، واتخذ منه كاشفاً ودليلاً على مقاصدهما الحقيقية، والتي هي بمثابة الدوافع الخفية، فقال: إن كلامهما يدل على أنهما لا يريدان أن يأمرا بمعروف، أو أن ينهيا عن منكر.

وهذا يعطينا إشارة واضحة إلى إمكان استفادة المقاصد الكامنة وراء الكلام، إذا كانت هناك رابطة بينها وبين ظاهره.. لأن الدلالة الإلتزامية حجة كالدلالة المطابقية، والتضمنية كما أن دلالتي الإشارة

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص151 قسم الخطب، الخطبة التي في صفات المتقين، رقم87. وراجع: بحار الأنوار ج34 ص209 و أعلام الدين في صفات المؤمنين ص128 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص373 وينابيع المودة ج1 ص85 وج3 ص432 .

والإقتضاء كذلك..

وهذا كله من بركات هذه المشورة..

ليس النصر هو المعيار:

وقدم «عليه السلام» معياراً للنصر والهزيمة قوامه: أن الضال العاصي مهزوم حتى حين ينتصر في ميدان القتال.. لأن قتال أهل الإيمان للضالين ما هو إلا قيام بالواجب.. حين تكتمل العناصر الموجبة للقيام به، وقد بين «عليه السلام» السبب في ذلك، وهو: أن الضال المنتصر في الميدان لم ينتصر على من عصاه، وتمرد عليه وضل طريق الوصول إليه، وهو الله تبارك وتعالى، لأنه لم يخرج من ملكه، بل انتصر على بشر مثله..

أما البشر، فلم يكن المطلوب منهم أكثر من الجهاد الذي يعني تسجيل الموقف بكيفية مخصوصة، ولم يكن المطلوب منهم ضمان نتائجه، ولا ضمان سلامة أجسادهم، أو أرواحهم. وقد حصل هذا المطلوب منهم بتمامه، ولو أنهم وجب عليهم القتال، فلم يؤدوا هذا الواجب، لكان هذا هو الهزيمة لهم، وهو التراجع والهروب منهم..

إلى الله أَكِلكما، فاذهبا حيث شئتما:

ولا شك في أن موقفه «عليه السلام» من ابن المعتمر ومن حنظلة بن الربيع كان رائعاً.. بل في غاية الروعة. فهو «عليه السلام»:

أولاً: لم يبادر إلى عقوبتهما على الخيانة التي نسبت إليهما، لأن مجرد شهادة رجل على آخر بمثل هذا الأمر الخطير لا تكفي لإنزال العقوبة به.

ثانياً: إنه «عليه السلام» اكتفى بهذه الفضيحة لهما، ولم يحاول تقصي هذا الأمر، وإثباته عليهما، بل هو لم يسألهما عن صحة ما نسب إليهما، أو عدم صحته!!

وقول الرجلين حين وجهت التهمة إليهما: «هذا جزاء من نظر لكم، وأشار عليكم بالرأي» لا يعد إنكاراً للتهمة.. ولعلهما لجأا إلى هذا الأسلوب، ليجنبا أنفسهما مغبة التحقيق معهما في هذا الأمر، حيث إن من الجائز أن يظهر من الشهادات والأدلة، والقرائن والشواهد، ما لا طاقة لهما على مواجهته، فكان سكوتهما وعدم إنكارهما، كافياً في حصول اليقين بصحة ما قيل عنهما. ولا سيما بعد أن وجهت التهمة إليهما بين ذلك الجمع الكبير، الذي لا يتسامح الناس فيه في دفع ما هو أقل وأيسر من هذا بمراتب، فما بالك بتهمة الخيانة وممالأة الأعداء، والتآمر على إمام المسلمين، والعبث بأمن الأمة وبمصيرها!!

ثالثاً: إنه «عليه السلام» لم يلزمهما بالمقام عنده، ولا أكرههما على القتال معه، لأن وجود أمثالهما في جيشه، ربما يكون بالغ الضرر، لأن ذلك يفسح المجال أمامهما ـ إذا أرادا ـ أن يقوما بنشاط تخريبي، إن لم نقل بنشاط خياني، فيكثر المتعاملون مع العدو، الذين سيبلغونه بالكثير من الأسرار التي يجب حجبها عنه.

هذا عدا عن ممارسة التثبيط عن الحرب، والتشكيك بصوابيتها. وما إلى ذلك..

أما حين يخرجان عن محيط أهل الإيمان، فإن الاتصال بهما يصير أصعب، ومحاصرتهما إجتماعياً للتقليل من ضررهما أسهل وأيسر. وإذا اختارا أن يبوءا بعار الخيانة، ويلحقا بمعاوية، فلن يضرا إلا أنفسهما، وسيقتصر الضرر على خسارة معونتهما، بالإضافة إلى أفراد قليلين من ضعفاء النفوس الذين سيلحقون بهما. وإن كان معاوية قد يستفيد من لحاقهما بمنع بعض النشاط لأصحابه..

ثم إن من سوف يلتحق بمعاوية إنما يضر نفسه بالدرجة الأولى بحرمانها من معنى الكرامة، وتلفعها برداء الخيانة في الدنيا قبل الآخرة.

ولكن مجتمع أهل الإيمان سيرتاح من هؤلاء الخونة الذين سيكونون عبئاً عليه، أو من موجبات حدوث الاختلالات فيه..

وقد لاحظنا: أن الخيار من قوم حنظلة ـ وهو من الصحابة ـ قد غضبوا منه، وهددوه بالقتل إن فارق علياً «عليه السلام».. ولكنه هرب منهم، وخرج معه ثلاثة وعشرون رجلاً من قومه.

أما ابن المعتمر، فقد خرج معه أحد عشر رجلاً. واللافت: أن الذي فضحه كان من قبيلته كما تقدم..

ولكنهما بالرغم من أنهما قد لحقا بمعاوية، إلا أنهما لم يقاتلا معه، بل اعتزلا الفريقين معاً..

علي × يهدم دار حنظلة:

ولأن حنظلة بن الربيع صحابي، وكان يدَّعي أنه أعلم من خيار قومه، حيث قال لهم: «دعوني، فأنا أعلم منكم»..

ولأن الناس يتخذون أمثاله قدوة لهم، ويتناقلون أقواله، ويتداولون أخباره. وكان يقول الشعر لتحريض معاوية على قتال علي «عليه السلام» وأصحابه، حتى إنه ليطلب منه أن لا يتراجع حتى تقتل الأنصار، وتسفك الدماء، وتهدم الديار، وغير ذلك.

نعم، من أجل هذا وذاك وغيره أمر علي «عليه السلام» بهدم داره. لكي ينساه الناس، ولا يتذكروه، ولا يمر في وهمهم: أنه سيرجع إليهم يوماً ما ويسكن تلك الدار..

ولم نر فيما راجعناه من مصادر أنه «عليه السلام» قد هدم دار ابن المعتمر..

ابن حصين، لا ابن صوحان:

وفي رواية ابن أعثم: «فوثب زيد بن صوحان العبدي، فقال: والله الخ..» إلى أن قال: «فقام رجل من بني طيء، فقال: يا زيد بن صوحان الخ..».

وهذا خطأ، وتصحيف من النساخ الذين استقر في أذهانهم اسم صوحان.. والصحيح: هو «حصين» . لأن زيد بن صوحان قد استشهد قبل ذلك في حرب الجمل..

استحسان علي × وعمار كلام أبي زينب:

وقد لاحظنا : أنه «عليه السلام» قد أثنى ثناءً عاطراً على أبي زينب بن عوف، وكذلك عمار بن ياسر..

ويبدو لنا: أن سبب ذلك: هو أن أبا زينب قد أعطى الناس ما يصح أن يكون ضابطة ومعياراً يقيسون عليه مواقفهم، ويحلون به مشاكلهم.. فكانت نظرته ثاقبة، ورميته صائبة «رحمه الله».

وأبو زينب هذا كان ممن شهد لأمير المؤمنين «عليه السلام» بحديث الغدير [1].

(1) قاموس الرجال للتستري ج11 ص338 وأسد الغابة ج5 ص205 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج7 ص136 وكتاب الولاية لابن عقدة ص236 والغدير ج1 ص15 و 168 وخلاصة عبقات الأنوار ج9 ص18.

الفصل الثاني:

لا تكونوا سبابين

الإعلام الحربي:

قال المنقري:

عن عمر بن سعد، عن أبي روق قال: قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بديل بن ورقاء: إن يومنا ويومهم ليوم عصيب، ما يصبر عليه إلا كل مشيع القلب، صادق النية، رابط الجأش.

وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منا ومنهم إلا الرذال.

قال عبد الله بن بديل: والله أظن ذلك.

فقال علي: ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع. إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل آتيه منيته كما كتب الله له. فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته.

فلما سمع هاشم بن عتبة مقالتهم [قام] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

سربنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين

نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرموا حلاله، واستولاهم (لعل الصحيح: واستولى عليهم) الشيطان، ووعدهم الأباطيل، ومنَّاهم الأماني، حتى أزاغهم عن الهدى، وقصد بهم قصد الردى، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربنا.

وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله «صلى الله عليه وآله» رحماً، وأفضل الناس سبقة وقدماً.

وهم يا أمير المؤمنين منك مثل الذي علمنا. ولكن كتب عليهم الشقاء، ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين. فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جذلة على من خالفك، وتولى الأمر دونك.

والله ما أحب أن لي ما في الأرض مما أقلَّت، وما تحت السماء مما أظلت، وأني واليت عدواً لك، أو عاديت ولياً لك.

فقال علي: اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيك «صلى الله عليه وآله»[1].

ونقول:

علينا ملاحظة ما يلي:

---

(1) صفين للمنقري ص111 و 112 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص183 و 184.

1 ـ إنه «عليه السلام» لم يرض بأن يسمع أحد من زياد بن النضر، وعبد الله بن بديل كلاماً يتضمن استعظام أهوال الحرب المتوقعة مع أهل الشام، حيث توقعا أن تكون صعبة، وتحتاج إلى صبر، وإلى صدق النية، ورباطة الجآش.. وسيكثر القتلى فيها..

وأمرهما بإبقاء هذا الكلام مخزوناً في صدورهما، وأن لا يظهراه، وأن لا يسمعه منهم سامع.

وهو موقف صحيح منه «عليه السلام»، لأن كلامهم ذاك من شأنه إشاعة الهزيمة الروحية والفشل النفسي بين أهل الحق، فهم كمن يطعن نفسه بسكين، قبل أن يصل إليه عدوه..

كما أن هذا النوع من الكلام يطمع عدوهم بهم، ويشجعه على البطش بهم.. فيضاعف ذلك من المصاعب والمتاعب، ويزيد من الخسائر.

2 ـ إنه «عليه السلام» لم يقتصرعلى إصدار أمره الصارم، بعدم إظهار هذا الكلام، وأن لا يسمعه منهما أحد، بل شرح لهما مبررات إصدار أمره هذا، فلو فرضنا أن المخاطب هو إنسان عادي، فإن أمره بالكتمان بصورة مجردة، ومبهمة قد يغريه بالتماس شيء من الزهو عن طريق إثارة الشعور لدى من يحيط به بأن لديه سراً لا يملكه غيره..

ثم ينطلق لنشر هذا الأمر بصورة أو بأخرى.

ومهما يكن من أمر، فإنه «عليه السلام» قد برر ما جرى لحجر

بن عدي وعمرو بن الحمق.

أولاً: برر هذا القتل الكثير بما جعله منسجماً مع السنن المهيمنة على مسيرة الحياة الإنسانية.. فقد أوضح: أن ما هو حاصل في علم الله هو: أن نهاية الحياة تكون بأحد أمرين:

إما الموت الطبيعي، وإما الموت بطريقة القتل.

فقال «عليه السلام»: «إن الله كتب القتل على قوم، والموت على آخرين».

ومن الواضح: أن تجنب القتل، لا يعني النجاة من الموت.. ولا أن لا تنتهي الحياة، ولا يهيء للإنسان الخلود فيها.. ولذلك عقب «عليه السلام» كلامه بقوله: «وكل آتيه منيته كما كتب الله له».. ويقول «عليه السلام» في ذلك أيضاً: «فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطي البقاء من أحبه»**(1)**.

فإذا كان الموت واقعاً على كل حال، فلماذا الخوف من القتل، والسعي لتجنبه في مورد أمر الله أن يبذل الناس أنفسهم ودماءهم، وتكفل لهم بالنصر والفتح أو الشهادة، والحياة الأكمل، والنعيم الدائم؟!

فكيف إذا كان تجنب القتل سيكون بقيمة التعرض لسخط الله

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص89 و 90 وبحار الأنوار ج67 ص181 وج74 ص335 وموسوعة أحاديث أهل البيت ج5 ص271 وميزان الحكمة ج4 ص2958 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص298.

تعالى، وإلى إفساد دين الناس، ودنياهم، وتعريض الأمة لأعظم المهالك، حيث يحكمها الجبارون والطغاة، والضالون المكذبون، الذين لا يرقبون في مؤمن، ولا مستضعف، ولا مخالف لهم إلًّا ولا ذمة، ولا يرضون إلا باستعباد الناس وقهرهم، وسلبهم كل معاني الكرامة؟!

ثانياً: ثم ترقى «عليه السلام» في بيانه، ليقرر: أن نتيجة الحرب بالنسبة لأهل الإيمان، وأنصار الحق لا تخرج عن أحد احتمالين، كل منهما مما ينبغي الرغبة فيه، والسعي له، وهما:

الأول: أن يبقوا على قيد الحياة. وهؤلاء مجاهدون في سبيل الله، وقد نالوا بجهادهم هذا أعظم الدرجات، فيجب أن يفرحوا بما نالوه..

الثاني: أن يقتلوا في طاعة الله، وهؤلاء شهداء أبرار، وهم أمراء أهل الجنة.. وشهادتهم فوز عظيم، لأنها تنيلهم الحظوة والمقام الكريم عند رب رؤوف رحيم..

فلا معنى للخوف من القتل، لأنه شهادة، ولا معنى للخوف من القتال مع النصر، لأنه كرامة وسعادة .

أما أهل الباطل، فإن قتلاهم في النار، ومن بقي منهم حياً يكون بحربه لإمامه، قد باء بغضب العزيز الجبار، واستحق دخول النار..

فما معنى استعظام القتل في حرب هذه نتائجها، وتداوله بطريقة توجب الصدود عن قتال أهل الباطل؟!

3 - وما نحب لفت النظر إليه، هو: أنه «عليه السلام» لم يلجأ إلى إثارة الريب في صحة تنبؤاتهم حول كثرة القتلى في تلك الحرب، بل

عالج الموضوع بطريقة رائعة، تعطي المزيد من الوعي، كما أنها تعطي المزيد من الإندفاع للقتال..

4 - ومن الأمور الجديرة بالملاحظة: أنه «عليه السلام» حين تكلم هاشم المرقال دعا له بأن يرزقه الله الشهادة، ومرافقة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولم يدع له بالسلامة والنصر، فجاء دعاؤه له منسجماً مع ما قرره له من حقائق..

لو وصفتم مساوئ أعمالهم:

نصر: عمر بن سعد، عن عبد الرحمن، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك قال: خرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما علي: أن كفا عما يبلغني عنكما.

فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا محقين؟!

قال: بلى.

[قالا: أوليسوا مبطلين؟!

قال: بلى].

قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟!

قال: «كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتتبرؤون.

ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم، فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر.

و [لو] قلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به، كان هذا أحب إلي، وخيراً لكم».

فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عظتك، ونتأدب بأدبك.

وقال عمرو بن الحمق: إني والله يا أمير المؤمنين ما [أحببتك] أجبتك، ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتينيه، ولا التماس سلطان يرفع ذكري به، ولكن أجبتك [أحببتك] لخصال خمس:

أنك ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأول من آمن به.

وزوج سيدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد «صلى الله عليه وآله».

وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد.

[في نص آخر: بخصال خمس: لقدمك.

وسابقتك.

وقرابتك.

وشجاعتك.

وعلمك].

فلو أني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزح البحور الطوامي، حتى

يأتي علي يومي في أمر أقوي به وليك، وأوهن به عدوك، ما رأيت أني قد أديت فيه كل الذي يحق علي من حقك.

فقال أمير المؤمنين علي: اللهم نور قلبه بالتقى، واهده إلى صراط مستقيم، ليت أن في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذا والله يا أمير المؤمنين صح جندك، وقل فيهم من يغشك.

ثم قال حجر: فقال: يا أمير المؤمنين، نحن بنو الحرب وأهلها، الذين نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان ذوو صلاح، وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرب، وبأس محمود، وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه.

فقال علي: «أكل قومك يرى مثل رأيك»؟!

قال: ما رأيت منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وبحسن الإجابة.

فقال له علي خيراً(1).

---

(1) صفين للمنقري ص102 ـ 104 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص448 و 449 و (ط دار الأضواء) ج2 ص543 ونهج البلاغة الخطبة رقم 204 والأخبار الطوال ص165 وتذكرة الخواص ج1 ص578 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص399 ونهج السعادة ج2 ص104 و 105 وشرح نهج

متى حدث هذا؟!:

ذكر الشريف الرضي «رحمه الله» في نهج البلاغة: أنه «عليه السلام» قد قال هذا الكلام حين سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين..

ونقول:

أولاً: قد فسر بعضهم المراد بالقوم بـ: عمرو بن الحمق، وحجر بن عدي.. ولا نرى ذلك دقيقاً، فإن انطباق كلمة قوم على رجلين فقط غير ظاهر..

إلا أن يقال: إن لهذين الرجلين قوماً وأتباعاً يتابعونهما فيما يفعلانه..

ثانياً: ظاهر كلام المنقري المتقدم: أنه «عليه السلام» قد قال ذلك في الكوفة، فقد ذكر ذلك بعد ذكره أن يزيد الأرحبي قد طلب من علي «عليه السلام» أن يأمر الناس بالخروج من الكوفة إلى المعسكر.

قال عبد الله بن شريك: وخرج حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام إلخ.. وقد تقدم ذلك.

كما أن الدينوري بعد أن ذكر عقده «عليه السلام» لواء في الكوفة لربيع بن خثيم على القراء لثغر قزوين والري، قال: وبلغ علياً

البلاغة للمعتزلي ج3 ص181 والدرجات الرفيعة ص424.

«عليه السلام» أن حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام.. إلى أن قال: ولما عزم «عليه السلام» على الشخوص أمر منادياً فنادى الخروج إلى المعسكر بالنخيلة(1).

الأبدال بالشام:

وزعم سبط ابن الجوزي: أن أحمد بن حنبل، قد ذكر طرفاً من هذا الحديث، فقد روى عن شريح بن عبيد، قال: ذُكر أهل الشام عند علي «عليه السلام» وهو بالعراق، فقيل له: ألا تلعنهم؟**!** وفي رواية: تلعنونهم؟!

فقال: لا، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يقول: الأبدال بالشام. وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب(2).

---

(1) الأخبار الطوال ص165.

(2) مسند أحمد ج1 ص112 و (في الطبعة المحققة) ج2 ص231 رقم 896 من مسند علي، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص579 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج1 ص289و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج6 ص247 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص84. وراجع: القول المسدد في مسند أحمد ص134 ومجمع الزوائد ج10 ص62 وعون المعبود ج8 ص152 والجامع الصغير ج1 ص470 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص186 و 189 و فيض القدير ج3 ص219 و 220 وكشف الخفاء

ونقول:

أولاً: قال محقق كتاب مسند أحمد عن هذا الحديث: أسناده ضعيف..

بل إن أسانيد جميع أحاديث الأبدال ضعيفة..

ويزيد الأمر وضوحاً: أن هذه الأحاديث عن أن الأبدال بالشام لم يرو منها شيء ـ بحسب الظاهر ـ عن أئمة أهل البيت «عليهم السلام» من طرق شيعتهم «رضوان الله وسلامه عليهم»..

ثانياً: إن الأخذ بمضمون هذا الحديث يؤدي إلى الحكم بأن أهل الشام سيبقون منصورين على أعدائهم طيلة مئات السنين التي يعيش فيها واحد من هؤلاء الأربعين الذين ربما تستمر سلسلتهم أكثر من ألف سنة بكثير.. مع أن هزائمهم طيلة هذه المئات من السنين كانت كثيرة. وقد هزموا أمام الدعوة العباسية شر هزيمة..

ثالثاً: لماذا اختص الله تعالى أهل الشام دون سواهم بهؤلاء الأربعين؟! ولماذا لم يتكرم بهم على أهل مكة أو المدينة، أو أي بلد آخر؟!

رابعاً: لا ندري إن كانت هذه الإنتصارات المزعومة تشمل ما فعلوه بالإمام الحسين «عليه السلام» وبأهل بيته وصحبه في كربلاء، وتشمل وقعة الحرة بالمدينة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وقتل التوابين

ج1 ص27 والدر المنثور ج1 ص320

في العراق. وما جرى منهم على زيد بن علي، وغير ذلك..

خامساً: روي عن خالد بن الهيثم الفارسي، قال: قلت لأبي الحسن الرضا «عليه السلام»: إن الناس يزعمون: أن في الأرض أبدالاً، فمن هؤلاء الأبدال؟!

قال: صدقوا، الأبدال هم: الأوصياء، جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء إذا رفع الأنبياء وختم بمحمد «صلى الله عليه وآله»(1).

أما ما ورد في الدعاء المروي في عمل أم داود عن الصادق «عليه السلام»، وفيه: اللهم صل على الأوصياء والسعداء، والشهداء، وأئمة الهدى، اللهم صل على الأبدال والأوتاد، والسياح، والعباد، والمخلصين، والزهاد الخ..(2).

وهذا لا يعارض الخبر السابق، لإمكان أن يكون هذا على سبيل التأكيد لما قبله، لأنه قسم في مقابله.

وهناك رواية أخرى رواها في الجعفريات عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من دعا للمؤمنين والمؤمنات، في كل يوم خمساً

---

(1) الإحتجاج للطبرسي ج2 ص449 و 450 و (ط دار النعمان) ج2 ص231 وبحار الأنوار ج27 ص48 عنه.

(2) إقبال الأعمال ص658 ـ 663 و (ط مكتب الإعلام الإسلامي ـ سنة 1416هـ) ج3 ص244 وبحار الأنوار ج95 ص401 عنه، ومصباح المتهجد ص809 والمصباح للكفعمي ص532.

وعشرين مرة، نزع الله الغل من صدره، وكتبه من الأبدال، إن شاء الله(1).

ينهى عن السب واللعن ثم يفعله!!:

قد يقال:

إن الحكمة في منع علي «عليه السلام» أصحابه من سب ولعن معاوية وأصحابه هي أحد أمرين:

أولهما: أن ذلك سيؤدي إلى المقابلة بالمثل، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى، حيث يقول: **(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**(2).

الثاني: أن يكون «عليه السلام» قد كره لأصحابه أن يكونوا سبَّابين شتَّامين لعَّانين، كما صرح به «عليه السلام» بنفسه..

وكلا هذين الأمرين منقوض بفعل أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، فإنه هو الذي بدأ يقنت في كل صلاة بلعن معاوية وابن العاص، وأبي موسى وآخرين. فكيف ينهاهم عن أمر، ثم يكون هو أول من يفعله؟!

---

(1) مستدرك سفينة البحار ج1 ص307 عن الجعفريات، ومستدرك الوسائل ج5 ص246 .

(2) الآية 108 من سورة البقرة.

ونجيب بما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» إنما نهى عن السب واللعن، والشتم قبل إقامة الحجة على معاوية وأصحابه، وبعد ظهور الجحود والتحدي منهم لله ولرسوله، وأوليائه.. وإصرارهم على معاندة الحق وأهله من دون عذر سوى طلب الدنيا، والإنقياد للشهوات، وتعمد الظلم والعدوان، فكان لا بد من إظهار البراءة منهم، لكي لا يظن ظان أنهم لا زالوا في كنف الإسلام، وأن لهم بعد حرماتهم الأولى..

ثانياً: إنه «عليه السلام» لم يقنت في صلاته بلعن أهل الشام، بل قنت بلعن أفراد بأعيانهم هم أئمة الضلال، بعد أن أقام الحجة عليهم وظهر ضلالهم، وحربهم على الله ورسوله.

أما حجر بن عدي وعمرو بن الحمق فإنما كانا يسبان أهل الشام، قبل إقامة الحجة عليهم وظهور ضلال معاوية وصحبه لهم.

فلعن علي «عليه السلام» لأئمة الضلال في قنوته أمر لازم.. وقد أمر الله تعالى بلعن هذا الصنف من الناس كما في قوله: **(أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)**[1]. كما أنه يتضمن معنى الشكوى إلى الله، والطلب منه بأن يجازي المجرم والمعتدي على عدوانه بالإبعاد من رحمته.. وليس هذا من السب والشتم بهدف التشفي.

(1) الآية 159 من سورة الأنعام.

أما قوله تعالى: **(فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)**(1)، فليس ناظراً إلى هذا المورد، لأن قوله في الآية: **(فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)** يدل على أن النهي عن السب إنما هو قبل إقامة الحجة عليهم وعلمهم بالحق..

وليس الأمر هنا كذلك، فإنه بعد إقامة الحجة على معاوية، وابن العاص، وأبي موسى وغيرهم، وافتضاح أمرهم، وظهور ضلالهم، واشتهارهم بالباطل لم يعد المورد من موارد قوله: **(بِغَيْرِ عِلْمٍ)**، لأنهم صاروا يعلمون الحقيقة.. فصار سبهم لله تعالى عدواً بعلمٍ، وهو يوجب استحقاقهم للعن وللعقوبة، من دون أية شبهة.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد ذكر الحكمة التي توخاها في نهيه لهم عن سب أهل الشام. وهو أن لا يكون أصحابه شتامين سبابين لعانين.. أي أنه يريد أن لا تكون صفتهم وطريقتهم في مواجهة أعدائهم هي السب واللعن المتواصل، بحيث يكون كل همهم كسر شوكة العدو، وإسقاطه عن درجة الإعتبار، بهتك حرمته، وسبه ولعنه، وليس بالحجة والدليل.. وهذا ما لا يريده «عليه السلام». بل يريد لهم أن يواجهوا أعداءهم بمسؤولية، وأن يكون همهم إصلاحهم وهدايتهم، وإخراجهم من أجواء العصبية، وردات الفعل الرعناء إلى أجواء التعقل والبحث عن الحقيقة. ولأجل ذلك قال لهم: «ولكن لو وصفتهم

(1) الآية 108 من سورة الأنعام.

مساوئ أعمالهم الخ..».

إلى أن قال: «وقلتم مكان لعنكم إياهم، وبراءتكم منهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم الخ..»

إلى أن قال: «حتى يعرف الحق من جهله الخ..».

وكلماته هذه تدل وتؤكد على أن سبهم ولعنهم لهم قد كان قبل إقامة الحجة عليهم.. كما قلنا..

ألسنا محقين؟!:

إن مجرد أن يكون الحق معك والطرف الآخر على باطل، لا يعطيك الحق بالبطش به، أو التصرف معه كيفما يحلو لك، حتى لو كان عدواً ظالماً، ومتعدياً ومحارباً، بل تبقى ملزماً بمراعاة تراتبية معينة، وضوابط محددة في التعامل معه، تلزمك بالوقوف عند حدود معينة، لا يحق لك تجاوزها..

فأهل الشام ظالمون لعلي «عليه السلام»، ومعتدون ومحاربون له، ولكنه «عليه السلام» لم يسمح لأصحابه بأن يظهروا سبهم، ولعنهم، وشتمهم.. بل ألزمهم بالإكتفاء بذكر أفعالهم وسيرتهم، ليكتشف الناس من خلال ذلك ما يزيد في بصيرتهم، ويفتح أبواب المعرفة أمامهم.

وألزمهم بعدم توتير الأجواء، وإبقائها هادئة ومريحة، لكي يعطيهم بذلك الفرصة لاتخاذ القرار الصائب، والقدرة على الالتزام

به، لأن الأجواء حين تكون متشنجة، والمشاعر ملتهبة، والعصبيات متحفزة، فإن اتخاذ القرار سيكون صعباً، والإلتزام به سيكون أصعب.

من عملهم ومن سيرتهم كذا وكذا:

ونرى أنه «عليه السلام» لم يكتف بقوله: «لو وصفتم مساوئ أعمالهم..» مع أنه قد يتوهم متوهم أنها كانت تكفي في بيان مراده. بل زاد عليها بيان ما يريد لهم أن يقولوه، فقال: «فقلتم من سيرتهم كذا وكذا.. ومن عملهم كذا وكذا..».

فيرد سؤال: لماذا جاء بكلمة:(مِنْ) في الموردين؟!

ولماذا لم يكتف بقوله: من سيرتهم كذا؟! ويستغني به عن قوله: ومن عملهم كذا وكذا؟!

وما الفرق بين السيرة، وبين العمل؟!

ونجيب:

أولاً: إن كلمة: (من) تفيد التبعيض. وهو يريد أن سيرتهم التي تدل على ضلالهم، وانحرافهم لا تنحصر بهذا المورد والمثال. بل هي ماثلة للعيان في شؤون وموارد كثيرة، ولها أمثلة متنوعة.

ولذلك قال: من سيرتهم، ومن عملهم.. ولم يقل: سيرتهم كذا ويعملون كذا ..

ثانياً: إن السيرة إنما تتحقق بالإلتزام المستمر بالسير على وتيرة واحدة في مورد بعينه، تكون له صفة ومنحى واحد.

أما العمل فقد يكون متنوعاً ومختلفاً.. ولكن قد يكون له جامع واحد، ومنشأ واحد.

فمثلاً: من كانت طبيعته عدوانية، فإنه قد يسب هذا، ويضرب ذاك، ويفسد عمل ثالث، ويثير الفتنة بين اثنين، ويغتاب، وينم، ويغدر.. فهذه كلها أعمال مختلفة، لكن منشأها ومآلها إلى خلق بعينه.. وهو الطبيعة العدوانية والقاسية.

ولذلك قال «عليه السلام»: «ومن عملهم كذا وكذا»، ليفيد أن هذه الأعمال لها منشأ واحد، وهو الطبيعة العدوانية ـ مثلاً، وإن كانت مختلفة ومتباينة فيما بينها بحسب الظاهر.

أما السيرة، فإنما تكون في شيء واحد، فيقال: سيرته اغتياب الناس، مثلاً..

أصوب في القول، وأبلغ في العذر:

1 ـ إنه «عليه السلام» لا يعتبر لعن أهل الشام خطأً في الواقع، ولكنه يقول: إن بعض الكلام وإن كان صواباً في نفسه، ولكن الظروف والأحوال قد لا تساعد على ظهور هذه الصوابية بالنحو الكافي والشافي.

وهذا هو حال معاوية وأهل الشام، فقد كان الطرف المعني قادراً على تدليس نفسه على الناس، والظهور لهم بمظهر المؤمن الصالح، والحال أنه من أئمة الضلال، ومن رموز الفساد، والإفساد. وهو

يدعي أيضاً: أنه بصدد الأخذ بثأر عثمان، والحال: أنه يفتري في هذا الأمر، وهدفه هو تقويض السلطة الشرعية، واستبدالها بسلطة أهل الباطل والضلال..

فلا بد ـ والحالة هذه ـ من استبدال هذا اللعن، والسب والشتم، وإن كان صادقاً في نفسه، وواقعاً في محله بما هو أنفع وأسرع أثراً. وهو أن يقال: «اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم الخ..».

2 ـ أما فيما يرتبط بأن هذا القول أبلغ في العذر، فلأنه لا مجال لاحتمال أن يكون صادراً عن ضغينة وحقد، لأنه كلام من يريد السلامة والصلاح، وليس فيه ما يشير إلى وجود حالة كراهة ونفور، يمكن تفسيرها بوجهين مختلفين..

وهذا يعطي الإنطباع عن أن ثمة سعياً من هذا الفريق لحقن الدماء، وإصلاح ذات البين. وهو يعطيه البراءة إذا سارت الأحداث في اتجاهٍ آخر، ويجعل المسؤولية عنه على عاتق الطرف الآخر..

3 ـ أما اللعن والشتم والسب، فهو قد يكون من موجبات توجه التهمة على من يسبُ ويلعن، من حيث إنه يحمل في صدره غلاً وضغينة قد تدفعه إلى الخشونة في التصرف. ويجعل هذا الأمر ممكناً في حقه، كما هو ممكن في حق الطرف الآخر.. وذلك قد يضيع على الناظر غير العارف فرصة التعرف على المظلوم، وتمييزه من الظالم، أو هو على الأقل يجعل ذلك أبعد منالاً، وأقل احتمالاً..

الإنصاف.. والإيحاء بالحق:

وإذا تأملنا النص الذي قال «عليه السلام»: إنه أصوب في القول، وأبلغ في العذر، فسيظهر لنا: أنه أشار إلى العديد من الأمور، نذكر منها ما يلي:

1 - إنه يعطي: أنه «عليه السلام» ومن معه غير راغبين في الحرب، وأنها إنما تفرض عليهم من الطرف الآخر ..

2 - إنه يدل على أنهم يساوونهم بأنفسهم ما دامو في دائرة الإستقامة على خط الشريعة.

3 - وهنا سؤال يقول: إذا كان فريق معاوية هو الذي يعتدي، ويتسبب بالحرب، وسفك الدماء البريئة.. فما معنى طلب أصحاب علي «عليه السلام» من الله تعالى حقن دماء أولئك القتلة؟!

كما أن المقابلة بالمثل من جهة الفريق المعتدى عليه، إنما تحصل بقرار من هذا الفريق، ويمكنه أن يتخلى عن قراره هذا، ولا يسفك دماء المعتدين، فما معنى طلب ذلك من الله تعالى أيضاً؟!

ويجاب:

بأن الطلب من الله أن يحقن دماء أهل الحق، إنما يراد به طلب التدخل في دائرة التوفيق لإقامة الحجة وإظهار الحق للفئة المناوئة، على أمل أن يحجزها ذلك عن التمادي في الباطل. وعن العدوان على الحق وأهله. أو ينكشف بذلك أمر الباغي والمعتدي، فيتخاذل عنه

الناس، وتتحقق بذلك لهم النجاة من النار.

وتكون النتيجة هي حقن الدماء من كلا الطرفين.. لأن امتثال الفئة الباغية للأوامر والزواجر الإلهية، سوف يؤدي إلى عدم العدوان على الحق وأهله، وتحقن بذلك دماؤهم. كما أنه سوف تحقن دماء المعتدين، لأنه يسقط عن كاهل أهل الحق وجوب مقابلتهم بالمثل ومواجهتهم بالعنف الذي يدفع شرهم عنهم. وبذلك تكون دماؤهم قد حقنت تلقائياً أيضاً.

4 - ولم يكتف «عليه السلام» بمجرد طلب حقن دماء الطرفين، فإن الدماء قد تحقن، ولكن الخلاف بين الفريقين يبقى وتبقى القطيعة والعداوة.. وتبقى معها المضار الكثيرة، وفوات الكثير من المنافع أيضاً..

فجاء الطلب الثاني من الله تعالى بأن يصلح ذات البين بين الفريقين، فبدل أن يكونوا بصدد الإضرار بمصالح بعضهم بعضاً، والحرمان من منافع التوحد والتعاون.. يصبحون يداً واحدةً تدفع المضار عن الجميع، وتسعى للتعاون على جلب المنافع للجميع أيضاً..

5 - وهذا يدل على أن الفريق الذي يدعو بهذا الدعاء:

ألف: لا يحمل في صدره غلاً للفريق الآخر..

ب: إنه يظهر بمظهر من يهتم لحال ومآل الفريق الآخر، بل هو يهتم بإصلاح أمره، وإبعاد الأضرار عنه، وجلب المنافع له..

ج: إن ذلك يدل على أنه يفكر في الأمور ببعد نظر، وبموضوعية وعقلانية، ولا ينقاد لمشاعره وانفعالاته..

6 - إنه «عليه السلام» لا يكتفي بالحديث عن الضرر والنفع بما لهما من آثار دنيوية على الفريق المناوئ.. بل يتجاوز ذلك إلى التفكير بالسلامة الأخروية، وإنجائه من المؤاخذة الإلهية. الأمر الذي يدل على أن تفكير أهل الحق واهتمامهم لا يقتصر على ما يوجب راحة بالهم في الدنيا، بل هم يهتمون بدفع الضرر حتى عن عدوهم في الآخرة أيضاً.

وهذا هو السبب في أنه «عليه السلام» قد طلب من الله تعالى أن يهديهم من ضلالتهم.. حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لهج به..

7 - ثم بيَّن «عليه السلام» لأصحابه: أن اعتمادهم لهذا القول المتضمن لهذا الدعاء، سيكون من موجبات سروره هو «عليه السلام»، وهذا يفتح الباب أمام استجلاب المزيد من محبته لهم، ويعمق علاقة أصحابه به «صلوات الله وسلامه عليه» من خلال التزامهم بهذا الأمر الذي أخبرهم أنه أحب إليه..

8 - ثم أضاف «عليه السلام» إلى ذلك: بيان أن التزامهم بهذا النهج لا يعني تنازلهم عن أمر يخصهم، وبذلهم ما عندهم من دون مقابل.. لأن الأمر على عكس ذلك تماماً، فإن للعمل بهذا التوجيه فوائد وعوائد خير وصلاح، ورشاد وفلاح تعود عليهم أيضاً.

وهذا يحتم عليهم الإلتزام بهذا التوجيه بصورة أتم، لأن الدواعي تكون قد توافرت وتعاضدت على هذا الالتزام..

إخلاص أصحاب علي ×:

وقد عبر عمرو بن الحمق عن الدوافع التي جعلته يختار أن يكون مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأنها لم تكن انسياقاً مع عصبية لقرابة، ولا طمعاً بمال، ولا توصلاً إلى سلطان، أو جاه يرفع ذكره.. بل كان ما يدعوه إلى ذلك: هو أمور ترجع كلها إلى معان سامية، ونبيلة، مآلها إلى التماس رضا الله سبحانه، وإيثار الآخرة على الدنيا، والحق على الباطل.

وعلى الإنسان المنصف أن ينظر في الدوافع التي كانت تدعو الآخرين لمناصرة أعداء علي «عليه السلام»، حيث سيجد أنها ترجع إلى العصبيات القبلية، والأحقاد الشخصية، وإلى الطمع بالأموال، أو التماس الجاه والسلطان، ولو بقيمة العدوان والبغي على الأنبياء والأوصياء، وظلم الأبرياء، وانتهاك الحرمات، وارتكاب المخزيات والموبقات..

الفصل الثالث:

الحشود في المعسكرات..

الحشد واستقدام العمال:

قال ابن أعثم:

ثم كتب علي إلى عماله يأمرهم بالمسير إليه [قال الإسكافي: كتب إلى عماله نسخة واحدة[1]]، وأعلمهم أنه يريد أن يسير إلى الشام لمحاربة أهلها، فأقبل إليه عبد الله بن عباس من البصرة، ومخنف بن سليم من أصفهان، وسعيد بن وهب من همدان.

فاجتمع إليه عماله من جميع البلاد التي كانت في يده، وآخر من قدم عليه من عماله الربيع بن خثيم، قدم من الري في أربعمائة رجل أو يزيدون[2].

---

(1) المعيار والموازنة ص124.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص449 و (ط دار الأضواء) ج2 ص543 و 544 وبحار الأنوار ج32 ص399 و 400 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص182 و 183 وقاموس الرجال ج10 ص19 و 20 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص220.

وقال المنقري:

قال نصر: وفي حديث عمر بن سعد قال: وكتب علي إلى عماله، فكتب إلى مخنف بن سليم: سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو..

أما بعد.. فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه، وهب في نعاس العمى والضلال اختياراً له، فريضة على العارفين.

إن الله يرضى عمن أرضاه، ويسخط على من عصاه.

وإنا قد هممنا بالمسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله، واستأثروا بالفيء، وعطلوا الحدود، وأماتوا الحق، وأظهروا في الأرض الفساد، واتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين، فإذا وليٌ لله أعظمَ أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرموه، وإذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبوه وأدنوه وبروه، فقد أصروا على الظلم، وأجمعوا على الخلاف. وقديماً ما صدوا عن الحق، وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين.

فإذا أتيت بكتابي هذا فاستخلف على عملك أوثق أصحابك في نفسك، وأقبل إلينا لعلك تلقى هذا العدو المحل، فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتجامع الحق وتباين الباطل، فإنه لا غناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب عبد الله بن أبي رافع سنة سبع وثلاثين[1].

فاستعمل مخنف على أصبهان الحارث بن أبي الحارث بن الربيع، واستعمل على همدان سعيد بن وهب ـ وكلاهما من قومه ـ وأقبل حتى شهد مع علي صفين[2].

ونقول:

مضمون الرسالة:

قد اشتمل كتابه «عليه السلام» هذا إلى عماله على مبررات المسير إلى حرب معاوية وأهل الشام.. وعلى أنواع أخرى من البيان..

أحدها: بيان الأسس والمنطلقات، والحيثيات الموجبة لهذا المسير من الناحية الاعتقادية..

الثاني: بيان المبررات والممارسات العملية، التي يستدل بها على أهل الضلال، الذين يجب حربهم، ويكون هذا السلوك من سماتهم..

الثالث: تحديد أهداف مناوئيه، وبيان أحوالهم الحاضرة، ومقاصدهم ونواياهم المستقبلية..

الرابع: أهداف ومقاصد أهل الحق من حربهم لهم، وما يطلبونه

---

(1) صفين للمنقري ص104 و 105.

(2) صفين للمنقري ص105.

ويتوخونه منها.

هذا الكتاب:

1 - إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن هذا الكتاب هو من الكتب الهامة جداً في التعريف بمنطلقات وسياسات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد ألمح فيه إلى الأسس الصحيحة التي يعتمدها «عليه السلام»، ويجب على كل حاكم إسلامي أن يعتمدها حين يريد اتخاذ قرار الحرب والسلم، والمواجهة المسلحة لأهل الباطل، وخط الإنحراف المتمرد على الحق وأهله.

وهو يحدد المنطلقات التي تحتم على المسلمين أن يندفعوا معه بكل رغبة وشوق ورضى، لبذل أرواحهم وكل غال ونفيس في ساحات الجهاد والتحدي.

2 - من جهة أخرى نقول:

قد عهدنا الحكام في مثل هذه الحالات، يصدرون أوامرهم إلى عمالهم بجمع الناس للحرب بصورة مبهمة، ويرون أن عليهم تنفيذ الأوامر بدون سؤال وجواب..

وإن لم يعرفوا طبيعتها وأهدافها، وضد من؟! ولماذا؟! وكيف؟!

3 - إننا لم نكن نتوقع أن يبيِّن «عليه السلام» هذه الحقائق والدقائق في رسالة استقدام العمال للمشاركة في حرب.. مما يعني أنه «عليه السلام» لا يريد أن يحمل الناس على أمر لا يعرفون حقيقته،

ومراميه، ومبرراته وغاياته..

ولا يريد أن يضعهم أمام أمر مفروغ عنه، ويحرجهم به.. ولا يريد أن يكون قبولهم بالمشاركة فيه مستنداً لمجرد أمر أصدره إليهم حاكمهم..

لأن أمر الجهاد يختلف عن غيره من الأمور، لأنه ليس مطلوباً من الحاكم على كل حال.. بل المطلوب منه هو: توجيه الناس إلى وجه الحق، وتعريفهم بما يجب عليهم فيه، وهدايتهم، وقيادتهم في المواضع التي يحتاج فيها إلى الهداية والقيادة.

أما الإختيار والقرار فهو لهم؛ لأنه عبادة يتقربون إلى الله بها. وينالون بها الثواب والجنة..

ولأجل ذلك أرسل إليهم «عليه السلام» رسالته هذه لتوضح لهم هذا الأمر بصورة ظاهرة ويقينية لا لبس فيها.. ليحيا من حيي عن بينة، ويهلك من يهلك عن بينة..

وأما القول: بأن إرجاع الأمر إلى الناس في أمر الجهاد لا يتناسب مع كونه «عليه السلام» أولى بهم من أنفسهم، فيجاب عنه:

بأن هذا صحيح، وهو لا يتنافى مع ما قلناه، لأن ولايته عليهم، وأولويته بهم من أنفسهم لا تعني إلا ابتغاء ما فيه مصلحتهم، ونجاتهم، وفوزهم بأعظم المثوبات.. ولا تعني التفريط بهم، وسوقهم إلى الدمار والبوار. ونجاتهم هنا إنما هي بسوقهم وهدايتهم إلى معنى الجهاد في سبيل الله، لا لأجل الدخول في الحرب، والتعرض للقتل الذي لا مثوبة

فيه.

وقد يقال أيضاً: إن الأمر هنا من موارد الدفاع عن الدين، والبلاد والعباد الذي لا مندوحة عن إجبار الناس عليه، لعدم وجود ما يسمح بالتفريط بأحد المقاتلين.. ولا يصح إعطاء الخيار لهم في هذه الحالة.

ويجاب عنه:

أولاً: لا شيء يدل على أن الأمور كانت ضيقة بحيث لا تسمح بإعطاء الخيار لأحد، فإن الدفاع واجب كفائي يسقط عن الكل إذا قام به البعض.

ثانياً: إنه لا مانع من أن يكون الجهاد دفاعياً، ثم يفتح «عليه السلام» أمام الناس أبواب الطاعة والتقرب إلى الله تعالى في ذلك القتال..

الحيثيات الإعتقادية:

وقد قرر «عليه السلام» أموراً عديدة، نذكر منها:

ألف: إن الأساس العقائدي لتسويغ الحرب مع فئة من الناس، يتقوم بأمرين:

أولهما: أن يكون ممن يصدف عن الحق رغبة عنه.

الثاني: أن تكون ممن هب في نعاس العمى والضلال، اختياراً له..

فإذا تحقق هذان الأمران في مورد، فإن الإنسان العارف يدرك

أن عليه أن يجاهد هذا النوع من الناس..

ب: إن الصدوف عن الحق قد يكون لاجل حالة عارضة، كطغيان عاطفة، أو لإشباع شهوة، أو فورة غضب، أو غفلة، أو نحو ذلك.

ومرة يكون لخلل فكري اعتقادي دعاه للإستخفاف بالحق، وكراهته له، لأنه حق.

فقرر «عليه السلام»: أن المسوغ لجهاد هؤلاء هو هذا الأمر الأخير الذي يعني: الصدوف عن الحق رغبة عنه، ولمجرد أنه حق، لا لأي سبب آخر.

أما إن كان لغفلة، أو نحوها مما ذكرناه، لم يجز الدخول في الحرب، ولا يكون من موارد الجهاد.

ج: إن الإستغراق في نعاس العمى والضلال تارة يكون لأجل الغفلة، أو لعدم وضوح الأمور، لقصور، أو لشبهة، ولكنه لو وجد من يدله على الحق، فإنه ليس من أهل العناد واللجاج، فهذا لا يسوغ الدخول مع هذا النوع من الناس في حرب..

وتارة يكون ذلك الضال قد عرف الحق والباطل، وميز بينهما، واختار الباطل عن سابق علم وإصرار، فذلك هو من يجب على الناس مواجهته بالحرب والجهاد، ولذلك قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «وهب في نعاس العمى والضلال اختياراً له».

د: يلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: يجب عليكم حرب من صدف عن الحق رغبة عنه، واختار أن يستغرق في نعاس.. لأَلَّا يتوهم أن هذا الوجوب إنما هو نتيجة لهذا الأمر الصادر منه «عليه السلام»، وهو اختيار منه، وقرار له، بحيث يتوهم أنه رأي، واجتهاد شخص يتبدل بتبدل الأشخاص والظروف الزمانية والمكانية وغيرها.

هـ: إن الغفلة عن الحق، وكذلك الإنقياد للشهوات، والإستجابة لفورات الغضب، وغير ذلك، قد يكون لقلة الإهتمام بالأمر، أو لعدم الرغبة في تحمل مشقة البحث والتقصي، والميل إلى الراحة، والتقصير في متابعة الأمور، ففي هذه الصورة يكون المجانب للحق عاصياً، ومستحقاً للعقوبة، وإن لم تجز مواجهته بالحرب.. وقد ألحق «عليه السلام» في بياناته للأمور السابقة ما يشير إلى هذه الحالة أيضاً، لكي يدفع الناس إلى الإحتياط لدينهم، وعدم المخاطرة بالإهمال والتساهل، فقال «عليه السلام»: «إن الله يرضى عمن أرضاه، ويسخط على من عصاه».

سمات.. وممارسات:

وقد ذكر «عليه السلام» العديد من الممارسات التي هي من سمات أهل الضلال والمفسدين، الذين تجب محاربتهم، فأشار إلى أنهم، قد:

1 - عملوا في عباد الله بغير ما أنزل الله.

2 ـ استأثروا بالفيء.

3 ـ عطلوا الحدود.

4 ـ أماتوا الحق.

5 ـ أظهروا في الأرض الفساد.

6 ـ اتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين، فصار الفاسقون بطانتهم والمقربين إليهم، وأهل الحل والعقد عندهم، وهم أصحاب سرهم، وموضع ثقتهم، دون المؤمنين.

7 ـ ومن سماتهم: أنهم إذا أعظم أحد أولياء الله تعالى أحداثهم (وأفعالهم المخالفة للشرع والدين) واجهوه بأمور ثلاثة هي:

ألف: أبغضوه.. وهذا يرتبط بعلاقتهم القلبية والعاطفية به.

ب: أقصوه وأبعدوه عنهم.. وهذا يتعلق بتعاملهم الإجتماعي معه..

ج: حرموه من برهم، وقطعوا عنه كل مدد. وهذا يرتبط بسلطتهم على الأموال وغيرها من الحقوق التي لهم القدرة على الإعطاء والمنع فيها.

8 ـ إذا ساعدهم ظالم على ظلمهم كافأوه بثلاثة أمور أيضاً، هي:

ألف: أحبوه.. وهذا يرتبط بالقلب والعاطفة..

ب: أدنوه. هذا فيما يتعلق بالتعامل الإجتماعي..

ج: بروه، وأعطوه، وأحسنوا إليه. هذا فيما يتعلق بالتصرف بالأموال وغيرها من الحقوق التي للسلطة القدرة على التصرف

بالإعطاء والمنع فيها..

أسباب مسيره × لحرب أهل الشام:

أما المبررات التي ذكر «عليه السلام» لعماله أنها هي التي دعته للمسير إلى حرب هؤلاء الذين فعلوا كل هذا الذي تقدم، فهي خمسة أمور، وهي:

1 - إنهم أصروا على الظلم.

2 - أجمعوا على الخلاف.

3 - قديماً ما صدوا عن الحق.

4 - تعاونوا على الإثم.

5 - كانوا ظالمين.

6 - وأضاف «عليه السلام»: أنهم من المحلين.. والمحل لحرام الله يجب قتاله حتى يرجع إلى الحق..

ولتوضيح بعض الخصوصيات في هذه الأمور الخمسة، ندعو القارئ الكريم للنظر بما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» لم يقل: إنهم ظلموا، لأن الظلم بمجرده قد يصدر من الإنسان لأجل فورة غضب، أو استجابة لرغبة جامحة في الحصول على أمر مَّا، أو لغير ذلك من أسباب. فإذا هدأت النفوس، وزال تأثير الحالة التي دعته إلى الظلم، أو إذا ذُكِّر بالله، وبقبح ما صدر عنه ندم على ما صدر منه، وأقلع عنه، واستغفر ربه،

وتاب من ذنبه، وأصلح ما أفسده، ولو بحسب الظاهر..

وهذا الظلم ليس هو الذي قصده «عليه السلام» هنا، بل قصد الظلم مع الإصرار، وعدم الإعتراف بالخطأ، وعدم التراجع. الذي هو قبيح لا يرضاه العقل، ولا يقره الشرع، ولا هو مبغوض لله تبارك وتعالى..

ب: إن الخلاف العارض الذي يزول بوضع النقاط على الحروف وبالبيان الواضح، والبرهان اللائح، ليس هو المقصود له «عليه السلام».. بل المقصود هو المصاحب للتصميم القاطع، وعدم التراجع عنه مهما أقيمت الحجج، وسيقت البراهين، ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «وأجمعوا على الخلاف».

ج: إنه «عليه السلام» لم يقل: «وصدوا عن الحق». بل قال «عليه السلام»: وقديماً ما صدوا عن الحق.. ليفيد أمرين:

أحدهما: أن صدودهم عن الحق ليس ابن ساعته، بل هو متأمل وراسخ فيهم منذ القدم.

الثاني: إنه يريد أن هذا الصدود قد تكرر واستمر، وتواصل من القديم إلى هذه الحال.. والأمر الذي دل على التكرار والإستمرار، وعلى العناد والإصرار، وعلى الجحود والإستكبار..

د: لم يقل «عليه السلام»: «إنهم قد أثموا»، أو «هم آثمون»، لأن ذلك بمجرده ليس هو المقصود. بل المقصود هو بيان خصوصية زائدة على مجرد صدور الإثم والإستمرار عليه. وهي أنهم قد تعاونوا

على هذا الإثم. والتعاون يظهر الرغبة في تكثير وإشاعة معصية الله، وعدم التحرج منها، إن لم نقل: إنه يدل على استحسانها، والأنس بها..

هـ: وأما قوله: «كانوا ظالمين»، فليس تكراراً لقوله: «أصروا على الظلم»، لأن قوله: كانوا ظالمين يدل على أن الظلم ملازم لهم منذ القدم.. فكأنه صار من طبيعتهم..

أما قوله «عليه السلام» أصروا على الظلم، فقد يفهم منه أنهم قد ظلموا بعض الناس. وهم يصرون على ظلمهم هذا استكباراً وعتواً. وإن لم يصبح الظلم طبيعة وخُلقاً لهم. فصرح هنا بما يزيل هذا الإحتمال.

مقاصد أهل الحق من الحرب:

وقد ذكر «عليه السلام»: أن ما يتوخاه أهل الحق من حرب هؤلاء المحلين، الذين هذا حالهم، وتلك عقائدهم وأفعالهم. هو الأمور التالية:

1 ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2 ـ مجامعة أهل الحق.

3 ـ مباينة الباطل.

4 ـ الرغبة بالأجر، «فإنه لا غناء بنا ولا بك عن أجر الجهاد».

وجميع هذه الأمور هي من التكاليف المتوجهة للأفراد أولاً وبالذات، ومنهم الحاكم، والدولة.. وقد بدأ «عليه السلام» بالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر لوضوح أنه ليس المخاطب فيها خصوص الإمام، بحيث يكون هو الذي يوزع المهمات من موقعه في السلطة.. ولا هو من واجبات الدولة، وإن كان ربما احتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الدولة، وبسط السلطة، وكذلك الحال بالنسبة للأمرين الثاني والثالث أيضاً.

وأما الأمر الرابع، وهو التماس الثواب والأجر في الجهاد، فأمره واضح، وإن كان تدبير أمر الأفراد، والتنسيق بينهم، وإدارة شؤون الحرب يحتاج إلى الإمام، أو من ينصبهم الإمام لهذا الغرض. ولكن ذلك لا يجعله من التكليف المتوجه إليه دونهم.

النداء بحشر الناس إلى المعسكر:

قال ابن أعثم:

فعندها أمر علي «عليه السلام» الحارث الأعور أن ينادي في الناس أن (أخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة)، وأمر مالك بن حبيب اليربوعي أن يحشر الناس إلى المعسكر.

ثم دعا بأبي مسعود عقبة بن عمرو فاستخلفه على الكوفة، ونادى في الناس بالرحيل، فرحلت الناس وهم يومئذ تسعون ألفاً وثمانمائة رجل ممن بايع النبي «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة.

قال سعيد بن جبير: كان مع علي «عليه السلام» يومئذ ثمانمائة رجل من الأنصار، وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة.

قال الحكم بن عتيبة: شهد مع علي يومئذ ثمانون بدرياً، وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة.

قال سليمان بن مهران الأعمش: كان مع علي «عليه السلام» يومئذ ثمانون بدرياً وثمانمائة من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله»(1).

قبل الخروج إلى المعسكر:

قال: ثم خطب علي «عليه السلام»، وحثهم على جهاد أهل الشام، والمسير إليهم، وجعل يقول:

سيروا إلى قتال أهل الشام العماة الطغاة!

سيروا إلى أولياء الشيطان، وأعداء السنة والقرآن!

سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار!

سيروا! فقد أُمِرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فوالله لقد قرأت ما بين دفتي المصحف، فقلّبت هذا الأمر ظهراً لبطن، فما وجدت إلا قتالهم، والصدق بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله»..

وجعل عمار بن ياسر يرتجز، ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا فخير الناس أتباع علي

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص450 و (ط دار الأضواء) ج2 ص544.

هذا أوان طاب سل المشرفي وقودنا الخيل وهز السمهري[1]

موقف باهلة من علي ×:

وقال ابن أعثم أيضاً:

ودعا علي «عليه السلام» جماعة من باهلة، فقال: يا معشر باهلة! إني قد علمت أنكم تبغضوني، وأنا أبغضكم، فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم وإلى حيث شئتم.

[وكانو قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين]

قال: فوثب الأحنف بن قيس، فقال: ولكنا والله يا أمير المؤمنين نحبك، ونبرأ من عدوك! ولنخرجن معك على العسر، واليسر، نحتسب في ذلك الخير، ونؤمل به العظيم من الأجر[2].

أهل البصرة إلى صفين:

أما المنقري، فيقول:

عن نصر، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر:

أن علياً «عليه السلام» لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص460 و (ط دار الأضواء) ج2 ص550.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص450 و (ط دار الأضواء) ج2 ص544.

عباس بأهل البصرة، وكان كتب علي «عليه السلام» إلى ابن عباس، وإلى أهل البصرة:

أما بعد، فأشخص إليَّ مَنْ قبلك من المسلمين والمؤمنين، وذكرهم بلائي عندهم، وعفوي عنهم، واستبقائي لهم، ورغبهم في الجهاد، وأعلمهم الذي لهم في ذلك من الفضل.

فقام فيهم ابن عباس، فقرأ عليهم كتاب على «عليه السلام»، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، استعدوا للمسير إلى إمامكم، وانفروا في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإنكم تقاتلون المحلين القاسطين، الذين لا يقرؤون القرآن، ولا يعرفون حكم الكتاب، ولا يدينون دين الحق، مع أمير المؤمنين، وابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والصادع بالحق، والقيم بالهدى، والحاكم بحكم الكتاب، الذي لا يرتشي في الحكم، ولا يداهن الفجار، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

فقام الأحنف بن قيس، فقال: نعم، والله لنجيبنك، ولنخرجن معك على العسر واليسر، والرضا والكره، نحتسب في ذلك الخير، ونأمل من الله العظيم من الأجر.

وقام إليه خالد بن المعمر السدوسي، فقال: سمعنا وأطعنا، فمتى استنفرتنا نفرنا، ومتى دعوتنا أجبنا.

وقام إليه عمرو بن مرجوم العبدي، فقال: وفق الله أمير

المؤمنين، وجمع له أمر المسلمين، ولعن المحلين القاسطين، الذين لا يقرءون القرآن، نحن والله عليهم حنقون، ولهم في الله مفارقون. فمتى أردتنا صحبك خيلنا ورجلنا.

وأجاب الناس إلى المسير، ونشطوا وخفوا، فاستعمل ابن عباس على البصرة أبا الأسود الدؤلي، وخرج حتى قدم على علي «عليه السلام» ومعه رؤوس الأخماس:

خالد بن المعمر السدوسي على بكر بن وائل، وعمرو بن مرجوم العبدي على عبد القيس، وصبرة بن شيمان الأزدي على الأزد، والأحنف بن قيس على تميم وضبة والرباب، وشريك بن الأعور الحارثي على أهل العالية. فقدموا على علي «عليه السلام» بالنخيلة(1).

ونقول:

هنا أمور يحسن التوقف عندها، نذكر منها ما يلي:

هل هذا سباب؟!:

قد يتوهم متوهم: أن خطبة علي «عليه السلام» في حث الناس على جهاد أهل الشام قد تضمنت سباً كان «عليه السلام» قد منع حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي من التفوه به.. فكيف نوفق بين

---

(1) وقعة صفين للمنقري ص116 و 117 وبحار الأنوار ج32 ص406 و 407 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص187 و 188.

هذين الأمرين؟!

ونجيب:

بأن هذا توهم باطل، لأن السب هو إطلاق أوصاف رديئة من شأنها خرق هيبة وكرامة وحرمة الطرف الآخر، وقطعها عن الإمتداد والسمو والإحاطة.. كما ربما تشير إليه بعض تعابير أهل اللغة.

وما قاله «عليه السلام» هنا لم يكن خرقاً للحرمة والهيبة، ولا قطعاً لهم عن مراتب الكرامة، بل هو وصف لأحوالهم، وتقرير لواقعهم الراهن، بحيث لو طلب منه «عليه السلام» تحديد منطبقات تلك الأوصاف، لأخذ بيد الطالب، ووضعها على موارد ومنطبقات كل وصف أورده «عليه السلام»..

ومعنى هذا: أن كلامه «عليه السلام» مصداق لقوله الآخر: «لو وصفتم مساوئ أعمالهم، فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر».

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يقل: صفوا أعمالهم، لأن في أعمالهم ما لا فائدة في وصفه، لأنه مباح، ولعل فيها ما هو حسن أيضاً. والمقصود: هو توجيه النظر إلى مساوئهم ليؤاخذوهم بها، وليردعوهم عنها.

ولم يقل: اذكروا مساوئ أعمالهم، لأن ذكر المساوئ من دون وصفها قد لا يؤدي الغرض، لأن بعض الناس قد لا يلتفت لبعض

الخصوصيات.

فلذلك قال «عليه السلام»: صفوا مساوئ أعمالهم..

ووصف مساوئ الأعمال تارة يكون بذكر الأعمال السيئة نفسها، حين يكون المخاطب على درجة عالية من الوعي والإدراك، فإذا عرضت عليه أعمالهم أدرك حالاتها وسماتها القبيحة بعين بصيرته.

وتارة يذكر نفس الوصف لتلك المساوئ، بعد انتزاعه عنها، ووضعه في قالب لفظي يعبر عنه..

وقد اختار «عليه السلام» توجيههم إلى الأسلوب الثاني مراعاة لحال عامة الناس، وتحاشى التصريح بنفس تلك الأعمال وتعدادها، لأن بعض الناس قد لا يلتفت لبعض الخصوصيات القبيحة، أو المضرة، فاقتصر «عليه السلام» على ذكر الأوصاف بقوالبها اللفظية المؤثرة، للمزيد من الإيضاح لجهات القبح والضرر، ولإيجاد المزيد من النفور من تلك الأعمال، بسبب إثارة الشعور العميق بقبحها الدائم، وبخطرها الداهم..

فمثلاً: كلمة العماة هي وصف منتزع عن وقائع كثيرة، كأّن «عليه السلام» هو وأصحابه قد أوضحوا لهم فيها الحق، حتى أصبح كالشمس في رائعة النهار، ولكنهم كانوا يتعامون عنه، ويتصرفون على أساس أنهم لا يرونه، بالرغم من أنه ظاهر كالنور الباهر..

وقوله «عليه السلام»: الكَذَبَة هو الآخر وصف منتزع من وقائع كثيرة تدل كثرتها على أن الكذب طبيعة لهم، ومتأصل فيهم.. الأمر

الذي لا يُبقي مجالاً للثقة بهم، ولا لأخذ شيء عنهم، لأن البناء عليه سيكون مخاطرة قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه..

وكذا وصفه لهم بالفجار، فإنه منتزع عن حالات فجور متكررة، يدل تكررها على أنهم لا يتحرجون، ولا يخجلون بالقبائح، ولا يتورعون عن تعمد الباطل، والتجاهر بالفجور..

وهذا يجعل من يتعامل معهم مضطراً للسكوت عن فجورهم هذا، واعتباره أمراً عادياً، ولهذا مساوئه الكبيرة، وآثاره الخطيرة على الناس، وحقوقهم وحياتهم كلها، ولا يمكن الثقة بهم بأن يلتزموا بأي شيء صالح أو الامتناع عن أي شيء مضر ومشين..

وكذلك الحال بالنسبة لوصفهم بالطغاة. وبغير ذلك..

ووصفهم بأعداء السنن يدل هو الآخر: على أن هذه العداوة قد ظهرت من خلال أعمالهم وممارساتهم التي دلت على كراهتهم للالتزام بها، وإصرارهم على تركها، وتجاهلها..

قتلة المهاجرين والانصار:

لكن ما لفت نظرنا هنا هو: وصفه «عليه السلام» لأهل الشام: بأنهم «قتلة المهاجرين والأنصار» وهذا التعبير يدل على صدور هذا الأمر منهم بالنسبة للمهاجرين والأنصار أكثر من مرة، قبل حرب صفين.. فمتى كان ذلك منهم يا ترى؟!

ويمكن أن يجاب:

بأنه ليس بالضرورة أن يكون المقصود هو: أن أهل الشام قد تولوا قتل المهاجرين والأنصار في السابق.. بل يكفي أن يكون حكامهم قد فعلوا ذلك، ورضي أهل الشام بفعلهم هذا، وسكتوا عنه، أو شجعوا عليه!! أو شاركوا فيه بنحو أو بآخر.. وقد قُتِل سعد بن عبادة بين ظهراني أهل الشام من قبل، وآذوا أبا ذر «رحمه الله»، ولو قدروا على قتله لقتلوه..

وهم الآن يسعون في قتل علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وعمار بن ياسر، وهاشم المرقال، ومحمد بن أبي بكر، وثمانين بدرياً، ومئتين وخمسين من أهل بيعة الرضوان، وثمان مئة صحابي. وقد أعلنوا الحرب على هؤلاء، وعلى سائر المسلمين والمؤمنين..

ورضوا بقتل الصحابة، وبقتل عشرات الألوف من أهل القبلة في حرب الجمل، وبقتل حوالي ألف من أهل البصرة على يد أتباع عائشة وطلحة والزبير قبل ذلك.

ألا يكفي هذا كله للدلالة على أنهم قتلة المهاجرين والأنصار؟!

ولا شك في أن كثيرين من هؤلاء الذين شاركوا أو رضوا بقتلهم كانوا لا ذنب لهم، إلا أنهم يريدون حفظ دين محمد «صلى الله عليه وآله»، وكثيرون منهم قد دافعوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاهدوا أعداءه، وقد أحبهم «صلى الله عليه وآله» وأحبوه، وآزروه، ونصروه..

أما الذين أبغضوه وقاتلوه، فهم زعماؤهم، وقادتهم وحكامهم،

وخصوصاً معاوية، وعمرو بن العاص..

وهذا أيضاً يظهر صدق قول عمار عن أهل الشام: إنهم الأحزاب أعداء النبي «صلى الله عليه وآله».

علي × وباهلة:

ولم يكن علي «عليه السلام» يحاسب الناس على نواياهم، بل كان يأخذهم بأفعالهم، متوخياً الكثير من الحلم عنهم، والرفق بهم.

وقد كانت قبيلة باهلة تبغضه «عليه السلام»، ورفضت الخروج معه إلى صفين..

ومن الواضح: أن قراراً جماعياً صارماً كهذا من شأنه أن يشجع الآخرين على العصيان، فإذا اتسع هذا الأمر وانتشر، قد يشكل خطراً على المسار العام للأمور، وربما يؤدي إلى كسر شوكة أهل الإيمان، وظهور عدوهم عليهم، وانتصار الباطل وأهله..

فكان لا بد من معالجة الأمر بحكمة وروية، فلا يفرض على تلك القبيلة أمراً لا مصلحة لها في فرضه عليها، لأنها لم تكن مؤهلة للقيام بواجب الجهاد في سبيل الله لفقد عنصر القناعة بإمامته «عليه السلام»، وعنصر الولاء للإمام الذي يجعل مشاركتها في الجهاد مثمرة لها مثوبة وقرباً إلى الله، ونصراً وتوفيقاً منه. بل إن إشراك المبغض لإمامه في حرب أعداء الإمام يعد تفريطاً بمصير الحرب، وتعريضاً لها للخطر، وقد قال تعالى: **(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا**

خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)[1].

فوجودهم في جيشه يعطيهم الفرصة لتأليب الناس عليه، وتضعيف روحياتهم وإفساد نياتهم. كما أن العدو لن يكون مخلصاً في دفاعه عن عدوه، لأنه إما أن يخونه لصالح العداء، وإما أن يهرب من موقع المواجهة، وهذا يوجب الوهن في روحيات الناس، وتعريض الحق وأهله للخطر. بفتح باب الهزيمة، أو باب التملص من الجهاد الواجب، وكلاهما في غير صالح الإمام والأمة والدين، فجاء قراره «عليه السلام» مرتكزاً على الأسس التالية:

1 - أن يخبر تلك القبيلة بأنه عالم بحقيقة موقفها منه، وأن أمرها معه لا يقتصر على مجرد الإختلاف في الرأي، أو في الهوى السياسي.. وإنما هو اختلاف عميق يلامس المشاعر والأحاسيس، ليصل إلى حد أنهم كانوا يبغضونه. ومن يبغض إنساناً، كيف يحارب تحت لوائه، وينفذ أوامره، ويبذل مهجته في الدفاع عنه، ونصر قضيته؟!

ومن جهة أخرى، كيف يمكن لأمير المؤمنين «عليه السلام» أن يثق بهم، وبحسن انقيادهم له، وكيف يأتمنهم على قضيته الكبرى، وكيف يقبلهم في جيشه، لا سيما وأنه يعلم أن بغضهم له قد يكون من أسبابه أنهم على خلاف معه في نفس مبررات هذه الحرب، وهم يوافقون فيها عدوه. ويرون

---

(1) الآية 47 من سورة التوبة.

أنه هو المحق.

ويرون أن نصرتهم له معصية وجريمة وموبقة عظيمة..

2 - وإذا كان سبب بغضهم له هو: أنه قد التزم الصدق، وعمل بالحق، ولم يرض بالمداهنة في دين الله، ولا أعان على مخالفة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولأنه لم يرض بأن يتخذ المضلين عضداً.. فمن الطبيعي أن يبغضهم هو «عليه السلام»، لأنهم أبغضوا الحق وأهله، وأحبوا أهل الباطل، ورغبوا بمعاونتهم على باطلهم..

فبغضه لهم ليس مقابلة لهم بالمثل، ولا لأجل الإنتقام منهم لشخصه، ولا لأجل أنهم منعوه من الحصول على مقام أو جاه، أو سلطة أو مال، أو أي شيء دنيوي آخر.. بل أبغضهم في الله، ورغبة في نصرة دينه، وانسجاماً مع قيمه السامية، ومع ما انطوت عليه جوانحه من حب للحق وأهله، ورفض وبغض للباطل وأهله..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: إني قد علمت أنكم تبغضوني، وأنا أبغضكم ..

3 - إنه لا مجال لإجبارهم على المشاركة في الحرب، بل لا مجال لطلبها منهم..

ألف: لما قلناه، من أن المطلوب منهم ليس هو الحرب، وإنما هو الجهاد، والجهاد عبادة، والعبادة تحتاج إلى قصد التقرب، وقصد التقرب يحتاج إلى قرار، والقرار يسبقه اختيار، والاختيار يحتاج إلى

شوق، والشوق يحتاج إلى ترجيح، وهو يحتاج إلى إدراك موجبات هذا الترجيح إلخ..

ب: إن الحرب فيها إقدام على قتل للناس.. وهو يحتاج إلى مشروعية وبراءة ذمة..

وفيها أيضاً استشهاد، وهذا أيضاً يحتاج إلى براءة ذمة، وقناعة، لكي لا يكون مجازفاً بنفسه، ملقياً بيده إلى التهلكة.. فإن أصابه شيء كان قتيلاً، لا شهيداً، وهذا خسران لا يرضاه عاقل لنفسه..

ج: إن إشراكهم في الحرب وهم غير مأمونين، بل هم من المبغضين يعد تفريطاً خطيراً بأرواح الناس، لعدم وجود ما يضمن عدم خيانتهم، أو عدم وهنهم وهزيمتهم فيها.. وهذا يحمل معه أخطار هزيمة الجيش كله..

4 ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» قد اقتصر على إخبارهم بالحالة التي كانت قائمة بينه وبينهم، ولم يزد «عليه السلام» على تسمية الأمور بأسمائها، ولم يوجه لباهلة حتى كلمة لوم واحدة، فضلاً عن أن يقسو عليها، أو أن يؤذيها بما هو فوق ذلك..

وبعد هذا التأسيس أصدر «عليه السلام» قراراً، وهو يشتمل على عنصرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» قال لهم: فخذوا عطاءكم..

فإن ما نعهده من قادة الحروب، والحكام من أهل الدنيا، أنهم إذا حضرت الحرب يلاحقون الناس تحت كل حجر ومدر، ويؤذونهم،

ولا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة، لكي يجبروهم على الخروج إلى الحرب بكل وسيلة، ومن امتنع منهم، فإنه يعرض نفسه للإهانة، والضرب، والسجن، وربما القتل، فضلاً عن العقوبات المالية، كقطع الرواتب، وغيرها.

كما أن من يبغض شخصاً ويعاديه، فإنه يسعى للتخلص منه وحرمانه من أي امتياز، لأنه يراه مجرماً ببغضه هذا.

أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن أول إجراء اتخذه هو أنه قال: فخذوا عطاءكم.. أي أنه لم يرض حتى بتأخير العطاء عنهم، ولو ساعة واحدة، بل أعطاهم إياه سلفاً وكاملاً، لم ينتقص منه شيئاً. لأنه كان عارفاً بأعدادهم وأعمارهم وبما لهم وما عليهم..

الثاني: إنه «عليه السلام» لم يطلب منهم أن يساعدوه في بعض الأمور القريبة كشؤون التموين، أو الحفاظ على الأمن الداخلي، أو غير ذلك من الشؤون، ربما لأن إبقاءهم في المحيط القريب من التواصل مع المشاركين في الحرب قد يعطيهم الفرصة لإثارة أجواء من الريبة والقلق لدى عوائل المشاركين في القتال.. ويؤدي ذلك إلى تشويش وإرباك في ساحات القتال نفسها، حين تصل أصداء ذلك إليها..

كما أن بقاءهم في المناطق القريبة، قد يدعو بعضهم إلى الإتصال بالعدو والاتفاق معه على القيام بتحركات، أو على بث شائعات مسمومة تخدم مصالحه، وتؤذي مجتمع أهل الحق بطريقة أو

بأخرى..

فطلب «عليه السلام» منهم: أن يذهبوا إلى ثغر الديلم، فإن إمكان اتصالهم بعدو ليس من دينهم أبعد منالاً، وأقل احتمالاً.. كما أن هذا النوع من المهمات لهم يبقيهم في الأجواء الحربية، ويبقيهم أيضاً في دائرة السيطرة، ويفهمهم أنهم غير منبوذين ولا مطرودين، ولكن موقفهم قد اقتضى إيكال مهمات إليهم تناسب الحال الذي وضعوا أنفسهم فيه.. وربما كان سبباً في يقظة ضميرهم أيضاً.

وأما قوله «عليه السلام»: وإلى حيث شئتم.. فيراد به المواضع التي تشبه منطقة الديلم من حيث هي ثغر ينبغي الدفاع عنه.. وليس المراد إباحة الذهاب لهم إلى أي بلد شاؤوا، ولو لم تكن ثغراً، أو كانت من البلاد القريبة من المنطقة التي أراد إبعادهم عنها حسبما بيناه..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أعطانا درساً في التعامل مع ما يشبه حالة هؤلاء، فإن أمثالهم كثيرون في المجتمعات التي تواجه حروباً مع الأعداء..

مضمون رسالة علي × لإشخاص البصريين:

وقد تضمنت رسالة علي «عليه السلام» إلى ابن عباس والي أهل البصرة ما دل على طريقته «عليه السلام» في جمع الناس إلى الحرب، فقد ظهر منها: أنه «عليه السلام» لا يستعمل أساليب الضغط على الناس، ولا يحاول أن يرشوهم بالمال، أو أن يغريهم بالوعود. أو

يطمعهم بالمقامات، أو بالأموال والعطايا، أو ما إلى ذلك..

وقد تضمنت تلك الرسالة على قصرها ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» قال له: أشخص إلي من قبلك من المسلمين والمؤمنين.. فعطف المؤمنين على المسلمين، ليدل على أن الجهاد واجب على كل مسلم.. لا على فئة المؤمنين منهم بالخصوص..

2 - إن أمره بإشخاصهم لا يعني أنه يجيز له إكراههم على الشخوص.. لأن ما فعله مع بني باهلة قد بيَّن أنه لا يكره أحداً على هذا الأمر..

3 - ويدل على أنه «عليه السلام» لم يكن يريد إكراههم: أنه «عليه السلام» طلب من ابن عباس أن يذكرهم بأمور معينة تجعلهم يبادرون إلى الخروج إلى حرب معاوية.. وليس من بينها ما يوجب أي ضغط نفسي سلبي، يضطرهم للخروج إلى الحرب، ولا إلى أي شيء آخر..

والذي طلب «عليه السلام» ابن عباس أن يذكّر أهل البصرة به هو ما يلي:

ألف: بلاء علي «عليه السلام» عندهم. وما فعله معهم من مكرمات، وأتحفهم به من خيرات، وقدمه لهم من خدمات..

ب: عفوه «عليه السلام» عنهم.. رغم كل ما فعلوه، مما كانوا يتوقعون العقوبة عليه.

ج: استبقاؤه «عليه السلام» لهم. وقد كان المفروض أن يجازيهم بالقتل لاعتبارات كثيرة، ذكرنا بعضها فيما سبق.. وهذا لا يدخل في المن المنهي عنه، بل هو تذكير بنعمة إلهية يجب عليهم شكرها.

هـ: طلب منه أن يرغبهم في الجهاد، لا لأجل أن الأمر يرتبط به، بل لأنه يرتبط بهم، وبنجاتهم من عذاب الله، لأنه يمس دينهم ووجودهم وعزتهم وكرامتهم.

الفصل الرابع:

علي × يكاتب ابن العاص..

علي × يكتب إلى عمرو بن العاص:

وكتب «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص.

أما بعد.. فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، وصاحبها مقهور فيها، لم يصب منها شيئاً قط إلا فتحت له حرصاً، وأدخلت عليه مؤونة تزيده رغبة فيها، ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من وعظ بغيره. فلا تحبط أجرك أبا عبد الله، ولا تجارين معاوية في باطله، فإن معاوية غمص الناس، وسفَّه الحق. [والسلام](1).

---

(1) صفين للمنقري ص110 و 498 وبحار الأنوار ج32 ص538 و 402 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص226 و 227 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص41 ونهج السعادة ج4 ص251 و 252 و 275 والأخبار الطوال ص163.

وكتب إليه عمرو بن العاص:

من عمرو بن العاص إلى علي بن أبي طالب.

أما بعد.. فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تنيب إلى الحق، وأن تجيب إلى ما تدعون إليه من شورى. فصبر الرجل منا نفسه على الحق، وعذره الناس بالمحاجزة. والسلام.

فجاء الكتاب إلى علي قبل أن يرتحل من النخيلة(1).

ونقول:

هناك تناقض واختلاف في تاريخ هذا الكتاب، فبينما نجد ابن مزاحم يقول: إنه إنما كتب «عليه السلام» كتابه، وأجابه عمرو بن العاص قبل الخروج إلى صفين، نجد أنه هو نفسه يعود في مورد آخر فيقول: إن هذه المكاتبات قد حصلت بعد رفع المصاحف.

كتاب آخر من علي × إلى عمرو:

ثم أضاف ـ ابن مزاحم وغيره ـ: أن علياً «عليه السلام» عاد فكتب إلى عمرو:

أما بعد..

فإن الذي أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك، ووثقت به

---

(1) صفين للمنقري ص111 و 498 وبحار الأنوار ج32 ص402 ونهج السعادة ج4 ص253 والأخبار الطوال ص164 و 191.

منها لمنقلب عنك، ومفارق لك، فلا تطمئن إلى الدنيا، فإنها غرارة. ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقى، وانتفعت بما وعظت به. والسلام(1).

فأجابه عمرو:

أما بعد.. فقد أنصف من جعل القرآن إماماً، ودعا الناس إلى أحكامه. فاصبر أبا حسن، فإنَّا غير منيليك إلا ما أنالك القرآن. والسلام(2).

مضامين كلام علي ×:

إن رسالته الأولى «عليه السلام» إلى عمرو بن العاص لم تقتصر على مجرد الموعظة، بل هي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تضمن كلامه «عليه السلام» نظرة عميقة إلى حال الإنسان في هذه الدنيا، تقوم على رصد دقيق لمساره فيها، ثم عقب

(1) صفين للمنقري ص498 وراجع: الأمالي للطوسي ص217 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص227 والأخبار الطوال ص191 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص485 وبحار الأنوار ج32 ص539 ونهج السعادة ج4 ص276 و 277.

(2) صفين للمنقري ص498 وبحار الأنوار ج32 ص539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص227 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص192.

بالإستناد إلى التحليلات النفسية الدقيقة التي تفرض نفسها عليه.

القسم الثاني: إنه «عليه السلام» قد تجاوز ذلك ليقرر ما لذلك من أثر على مسار الأمور في الواقع العملي، ليدل بذلك على ما يمكن أن تكون عليه النهايات، ومدى توافقها مع الرغبات، والآمال، والغايات.

القسم الثالث: الإشارة إلى ضرورة الحذر من المفاجأت، وإعداد العدة لها، بالإلتزام بما تفرضه الحكمة، ويهدي إليه العقل..

وبعد ما تقدم نقول:

إننا نستطيع أن نشرح مراداته «عليه السلام» في هذه الرسالة، وفق هذا التقسيم الذي أشرنا إليه، فنقول:

الخطاب التحليلي:

لقد بدأ «عليه السلام» كلامه، بالإشارة إلى تأثير الدنيا على الإنسان من الناحية العملية والنفسية، فذكر ما يلي:

أولاً: إنها مشغلة عن غيرها، فمن اشتغل بها ينسى الآخرة. فقوله «عليه السلام»: «مشغلة» يدل على أن إشغالها دائم ومستمر.

ولم يقل «عليه السلام»: تشغل عن غيرها، لأنه يكفي في تحقق مضمونه حصول الإشغال ثم انقطاعه، بل يكفي فيه أن يكون محتمل الحصول، لعدم وجود ما يمنع حصوله..

ثانياً: ذكر «عليه السلام»: أن صاحب الدنيا مقهور فيها..

ولعل مراده «عليه السلام»: أن الحياة الإنسانية في هذه الدنيا تقوم على أساس التسبيب المتواصل المقتضي لاستمرار إنتاج خصوصية الحياة، أو فقل: إن العلة على نوعين:

إحداهما: العلة المحدثة. وهي التي تخرج الشيء من العدم إلى الوجود. كقدح الزناد الذي ينتج عند الشرر وكإبداع الله تعالى للجمادات. كالأرض والجبال، والبحار، والشمس، والقمر وغير ذلك..

الثانية: العلة المبقية، وهي التي يدور استمرار الشيء مدارها، فإن النار بعد قدح الزناد لا تبقى إلا باستمرار إمدادها بالوقود لحظة بعد أخرى، ومن ذلك ما يحتاجه كل ذي حياة، ونماء، بدءاً من الحياة النباتية فما فوقها، حيث يحتاج النبات والشجر، والحيوان والإنسان مثلاً في بقائه إلى أسباب وعلل تتعاقب على إنتاج خصوصية الحياة له لحظة بلحظة. فإن بقاء الإنسان مثلاً يحتاج إلى الطعام والشراب، والهواء، وما إلى ذلك.. بالإضافة إلى عدم عروض موانع.

والنبات والشجر أيضاً يحتاج في بقائه إلى الماء والتراب والهواء وغيرها، باستمرار أيضاً، بالإضافة إلى عدم عروض الموانع.

فالحاجة في هذه الأمور لحفظ الحياة وبقائها إلى التسبيب المستمر، معناه: أن الإنسان مقهور على تلبية هذه الحاجة، ولا بد له من توفير الأسباب التي تُستَهلك باستمرار، ولأجل ذلك قال «عليه السلام»:

«وصاحبها مقهور فيها».

والذي يزيد في هذا القهر: أن تحصيل تلك الأسباب، كالطعام والشراب، وغير ذلك هو الآخر مبني على قانون التسبيب المستمر والمتواصل، الذي يحتاج إليه في إنتاج خصوصية الحياة النباتية والحيوانية، لكي تنتج الأسباب التي تنتج بدورها الحياة البشرية والإنسانية، وكذلك سائر أنواع الحياة..

تأثير العامل النفسي:

وذلك كله يوقظ في داخل الإنسان بعض الهواجس والإنفعالات.. التي نجد في كلامه «عليه السلام» هنا إشارات إليها، فلاحظ ما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» قد أشار إلى العامل النفسي الذي هو نتاج هذا الواقع، فقال: «لم يصب منها شيئاً قط، إلا فتحت حرصاً..».

وذلك لأن الإنسان إذا سعى لتحصيل الأسباب، وشعر بمستوى حاجته إليها، وعاش النجاحات والإخفاقات، وتذوق معنى الربح والخسارة في سعيه لتحصيلها. فإنه سيعيش حالة من القلق على مستقبله فيها، وسيزيد حرصه على تحصيل المزيد منها.

ثانياً: إن بذل الجهد والوقت، والتعب والسهر، والتعرض للأخطار، في سبيل تحصيل تلك الأسباب يزيد الإنسان رغبة في الحصول عليها، وتعلقاً بها، واندعافاً وشوقاً، وحماساً لها.. وهذا ما

أراده «عليه السلام» بقوله: «وأوصلت عليه مؤونة تزيده رغبة فيها».

ثالثاً: إن حصوله على ما حصل عليه منها لن يجعله يستغني به عما لم يصل إليه..

بل قد يزيده ذلك نهماً وجشعاً، لأنه إنما يشتاق إلى شيء يرى أن روحه متعلقة به، ومرهونة بوجوده. ولذلك قال «عليه السلام» مشيراً إلى هذه الحالة النفسية: «..ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه».

ولعلنا نجد إشارة إلى هذا الأمر أيضاً في كلمته «عليه السلام» الأخرى، التي تقول: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال..»[1].

فاتضح بما تقدم: أنه «عليه السلام» لم يهمل العامل النفسي في بيانه للأمور فيما يرتبط بنظرة الإنسان إلى الحياة ومسارها.. وما تتركه من آثار على الفكر، وعلى الروح، والنفس، والمشاعر..

ما الفرق بين المؤمن وغيره؟!:

وقبل أن نواصل حديثنا حول فقرات هذا الكتاب نطرح على

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص105 والخصال ص53 ومشكاة الأنوار للطبرسي ص246 وبحار الأنوار ج1 ص168 وج70 ص161 وميزان الحكمة ج1 ص587 وج3 ص2071.

أنفسنا السؤال التالي:

ما الفرق بين المؤمن وبين غيره في هذا الأمر، فإن الدنيا كما تشغل الكافر، فإنها تشغل المؤمن أيضاً عن غيرها، وهو مقهور فيها؟!

فيفترض أيضاً: أن يكون مشمولاً لقوله «عليه السلام»: «لم يصب منها شيئاً قط إلا فتحت له حرصاً..» إلى آخر ما قال!!.

ونجيب:

بأن قانون التسبيب حاكم على جميع البشر، كما أن الحاجة إلى المعاش قائمة عند جميع الناس. ولكن طلب المعاش، وطبيعة النظرة إليه، والتعاطي معه هو الذي يختلف ويتفاوت، فالإنسان المؤمن ملتزم بنظرة ورؤية معينة، للكون والحياة، ويسير وفق ضوابط ومعايير، تنسجم مع تلك النظرة والفكرة، ولا يتجاوزها.. فهو يؤمن بالله تعالى، وبقدرته، ويعتبره مصدر كل خير، والأمان له من كل سوء وشر، ويسير وفق توجهياته، ويراعي أحكامه وشرائعه، ويثق بوعوده سبحانه.. وهو يزهد بما أمر بالزهد فيه، ويستكثر مما أمره الله تعالى بالإستكثار منه. ويرضى بما قسمه الله تعالى له. ويقف عند الحدود التي أمره سبحانه.

وأما غير المؤمن، فهو لا ينقاد لأوامر الله وزواجره، ولا يراعي أحكامه، ولا يصغي إلى أي شيء يأتي من قبله، ولا يثق بوعده. بل يصغي لغرائزه، وشهواته، وينقاد لانفعالاته، ومشاعره مهما كان

نوعها، وأياً كانت مناشئها، وأسبابها.. ويستغرق في أوهامه، ويسقط أمام مخاوفه، ولا يجد له منها مناصاً، ولا يرى خلاصاً..

فيؤدي به ذلك كله وسواه مما تسوله له نفسه، ومما يلقيه الشيطان في روعه إلى: أن يستغرق في الإستجابة لحرصه، وأن يغرق في تحصيل رغباته.. ويزيد جشعه إلى زخارف الدنيا وبهارجها. ويستولي عليه حبه للدنيا، وما فيها من مال ونوال على قاعدة: **(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)**(1).

حيث يرى: أن المال هو الذي يحل مشاكله، ويجعله في أمان من فتك الجوع والمرض، والحاجة، وبراحته، وبحياته.

ولا يثنيه بعد ذلك شيء عن العمل على جمع المال على قاعدة: **(الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)**(2).

ويفتح هذا المال شهيته على الشهوات واللذائذ الدنيوية على اختلافها وتنوعها.. ولا يصده عنها شرع ولا دين، ولا رادع من أخلاق أو وجدان، فيحتال، ويسرق، ويظلم، ويؤذي، ويرتكب الجرائم والموبقات، والمآثم.

---

(1) الآيتان 19 و20 من سورة الفجر.

(2) الآيتان 2 و3 من سورة الهمزة.

النهايات .. هل تتوافق مع الرغبات؟!:

وبعد.. فإنه إذا كان المطلوب هو التسبيب للإستمرار في الحياة حسب مشيئة الله والفوز برضاه، في الدنيا والآخرة. بحسب ما يعتقدة المؤمنون.. أو للبقاء والخلود في الدنيا، حسب ما يريده الضالون والمكذبون.. فإن أمير المؤمنين «عليه السلام» يخاطب كلا هذين الفريقين بخطاب جامع.. وهو: أن النهايات الحتمية هي فراق الإنسان ما جمع..

وحينئذ لا بد أن يسلِّم المؤمن أمره إلى خالقه، ويرضى بما قسمه الله تعالى له في الدنيا، ويتوقع الفوز والفلاح في الآخرة..

كما لا بد أن يستسلم الضال للأمر الواقع، ويواجه مصيره الذي صنعه لنفسه بنفسه، وهو يرى بأم عينيه خسرانه وخيبته، وبوار سعيه..

السعيد من وعظ نفسه:

ولكنه «عليه السلام» يفتح نافذة على النجاة والسعادة والفوز لكل الناس، حيث يقول: «والسعيد من وعظ بغيره» قبل أن يواجه تلك الساعة المهولة.. لتكون نتيجة هذا الإتعاظ هي: استزادة الإنسان المؤمن من الخيرات، وعودة أهل الضلال عن ضلالتهم قبل فوات الأوان، ليكون الفوز من نصيبهم على قاعدة: **(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ**

الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)[1].

لا تحبط أجرك:

ثم خلص «عليه السلام» إلى النتيجة التي أراد أن يوصل إليها عمرو بن العاص. فطلب منه: أن يجنِّب نفسه الدخول في أمر هو من موجبات حبط الأعمال. فقال له: «فلا تحبط أجرك أبا عبد الله».

فدلنا بكلامه هذا: على أن محاربة القاسطين له «عليه السلام» بعد ظهور حجته عليهم تخرجهم من دائرة الإسلام بالكلية. والخروج من الإسلام يوجب حبط الأعمال، وبطلانها. وهذا من أعظم الخسران والخذلان، إذ لا خسران فوق أن يرتكب الإنسان جريمة فيعاقبه الله عليها، ثم لا تبقى له حسنة تفيده في تخفيف شيء عنه، أو تعطيه أملاً في أن يشمله عفو الله، أو في أن يكتب له الخروج من عذاب الله بعد استيفائه. فتكون بعض أعماله الصالحة، ذخيرة له لما بعد هذا الخروج..

لأن الخروج من الإسلام وحبط الأعمال يوصد كل باب.. سوى باب الخلود في النار ـ بسبب التعرض لغضب العزيز الجبار ـ وبئس للظالمين بدلاً.

(1) الآية 185 من سورة آل عمران.

كيف نجيب على هذه الأسئلة؟!:

ويبقى هنا سؤال عن السبب في تخصيصه «عليه السلام» عمرو بن العاص بهذا الكتاب الذي أشار إلى هذه الحقائق والدقائق؟! وعمرو بن العاص مطبوع على قلبه، بعيد عن ربه..

وسؤال آخر هنا، وهو: هل كان لعمرو بن العاص عمل أخلص فيه لله تعالى، فاستحق عليه الثواب والأجر، ليطلب منه «عليه السلام» أن لا يحبط أجره؟!

أليس قد ورد في الروايات: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد لعنه؟! ونزلت فيه وفي أبيه العاص بن وائل سورة الكوثر!![1].

وهل من يلعنه الرسول «صلى الله عليه وآله» يكون من أهل الصلاح والخير. وعلى طريق الهدى والرشاد؟! ويعمل الأعمال الصالحة التي تنيله الثواب وتبعده عن العقاب؟!

وسؤال ثالث، وهو: ما هذا الإحترام الذي يظهره «عليه السلام» لعدوه ابن العاص الذي يجهز الجيوش لحربه؟! ونطقت الآيات بذمه،

---

(1) الميزان (تفسير) ج20 ص372 عن الزبير بن بكار، وابن عساكر. والبرهان (تفسير) ج8 ص405 و 406 وإمتاع الأسماع ج5 ص333 وتاريخ مدينة دمشق ج46 ص118 والدر المنثور ج6 ص404 وراجع: قاموس الرجال ج8 ص113 عن أسد الغابة، وتفسير القمي ج2 ص447 والبداية والنهاية ج3 ص104 وج5 ص307.

والرسول بلعنه؟!(1).

ونجيب عن السؤال الأول بما يلي:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» كان يعلم أن كتابه لابن العاص، سوف يصل إلى كثيرين آخرين من رجالات الدولة، والناس العاديين، بخلاف ما لو كتب هذه المضامين لإنسان عادي مغمور، لا يهتم الناس كثيراً لما يجري له.

ثانياً: إن الحجة البالغة والمقنعة والصحيحة مطلوبة لكل أحد.. ولعل إيراد هذا النوع من المطالب الدقيقة أبلغ في إقامة الحجة، وقد جاء الأنبياء «عليهم الصلاة والسلام» للناس بأبلغ المعاني، وأدق المطالب، وكلموا الناس على قدر عقولهم، وجاؤوا بأعظم المعجزات، وأظهروا لهم أسمى المناقب والكرامات، ولم يدخروا وسعاً في بيان الحقائق لهم، ولم يحجبوا عنهم علماً يحتمل أن يؤثر فيهم، طلباً للمعذورية عند الله تعالى..

ونجيب عن السؤال الثاني بما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» يخاطب عمرواً بحسب ما يحب هو أن

---

(1) مسند أحمد ج4 ص5 وقد ذكر العلامة الأميني أحاديث لعن الرسول للحكم بن أبي العاص وما ولد في كتابه القيم الغدير ج8 ص243 - 250 عن عشرات المصادر المعتمدة لدى إخواننا أهل السنة، فنحن نحيل القارئ عليه، ونطلب منه الرجوع إليه.

يصف به نفسه، فإن عمرو بن العاص لا يحب أن يوصف بأنه ضال ومنحرف.. وإذا كان المقام مقام إقامة الحجة، والدعوة إلى التوبة، فيجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.. وهذا منها.

ثانياً: إن عمرو بن العاص كان يرى أن له أعمالاً يستحق أن يثاب عليها، فحرمانه من الثواب عليها قد يدفعه إلى الزعم بأنه مظلوم، وأن الله قد وعده ولم يف له.. والعياذ بالله.

وإذا كان الكافر إذا فعل بعض الأمور الحسنة كما لو أنقذ نفساً بريئة من الغرق، أو ساعد فقيراً، أو كان باراً بوالديه، فإن الله تعالى يعوضه في الدنيا بالنعم الكثيرة والوفيرة، لأنه ليس له في الآخرة نصيب.. فما بالك بما إذا كان شخص يعد نفسه مسلماً، ويرى أنه يفعل بعض الخيرات، فهل يحرمه الله تعالى من المكافأة عليها؟!

فإن كان عمرو بن العاص قد فعل بعض الأمور الحسنة في حياته، فإنه يستحق المثوبة عليها.. ولكنه حين يسعى لإطفاء نور الله، ويخرج على الإمام المعصوم، وينقض كلام الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» عن سابق علم وإصرار، فإن هذا يوجب حبط المثوبات التي استحقها ببعض أعماله..

ثالثاً: هناك من يقوم بجميع الواجبات، وينتهي عن جميع المحرمات، ولكنه لا يوالي أمير المؤمنين «عليه السلام» كما أمر الله ورسوله، فإن استمر على ذلك حرم من الثواب في الآخرة، وإن ترتبت عليه جميع أحكام الإسلام في الدنيا.

فإن عرف الحق ووالى علياً «عليه السلام» ولو في آخر عمره، فإن رجوعه هذا يوجب تصحيح أعماله السابقة، فلا يجب عليه إعادة ما صلاه، وما صامه، ولا غير ذلك.

فولاية علي «عليه السلام» بمثابة الروح التي تنفخ في بدن الميت من جديد..

وعن السؤال الثالث نجيب:

بأن هذا الخطاب التكريمي منه «عليه السلام» يكون في محله، إذا كان الغرض منه كفه عن الحرب، وهدايته إلى الحق، والخير والهدى والصلاح..

وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم.

يضاف إلى ذلك: أن هذا الموقف منه «عليه السلام» قد أظهر لكل أحد: أن عمرو بن العاص قد أقدم على حرب إمامه، مع علمه بالحق، ومن دون أن تكون هناك أية شبهة لديه طمعاً منه بالدنيا، ورغبة عن الآخرة.. وكلماته وبعض أشعاره تشهد عليه بذلك.

لا أنيلك إلا ما أنالك القرآن:

والغريب في الأمر: جواب عمرو بن العاص الذي أظهر فيه عناده وإصراره على مواصلة سعيه لإطفاء نور الله، وما تضمنه من وقاحات لا تحتمل، وافتراءات وأباطيل.. لكن المضحك المبكي هنا قوله: وأنا غير منيلك إلا ما أنالك القرآن.. فإن علياً «عليه السلام» قد

قال لهم في التحكيم بعد صفين: أحكم بالقرآن ولو في حز عنقي[1] كما سيأتي..

وإن من هوان الدنيا على الله أن يقول عمرو بن العاص الملعون الأبتر هذا القول لعلي «عليه السلام»، وهو يعلم أن علياً «عليه السلام» مع القرآن، والقرآن مع علي «عليه السلام».

وهل حكم عمرو بن العاص بالقرآن يوم التحكيم في دومة الجندل؟!

ومتى كان ابن العاص من أهل القرآن، وممن يعرف أحكامه؟!

---

(1) راجع على سبيل المثال: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص333.

الفصل

أصحاب علي ×
وحديث أويس..

علي والحسنان ^ يدعون للجهاد:

قال المنقري:

1 - ثم إن علياً «عليه السلام» صعد المنبر فخطب الناس، ودعاهم إلى الجهاد ، فبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم قال:

إن الله قد أكرمكم بدينه، وخلقكم لعبادته، فانصبوا أنفسكم في أداء حقه، وتنجزوا موعوده، واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة، وعراه وثيقة.

ثم جعل الطاعة حظ الأنفس برضا الرب، وغنيمة الأكياس عند تفريط الفجرة [العجزة]. وقد حملت أمر أسودها وأحمرها، ولا قوة إلا بالله.

ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه، وتناول ما ليس له وما لا يدركه، معاوية وجنده، الفئة الباغية الطاغية، يقودهم إبليس، ويبرق لهم ببارق تسويفه، ويدليهم بغروره.

وأنتم أعلم الناس بحلاله وحرامه، فاستغنوا بما علمتم، واحذروا

ما حذركم الله من الشيطان، وارغبوا فيما أنالكم من الأجر والكرامة، واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته، والمغرور من آثر الضلالة على الهدى. فلا أعرف أحداً منكم تقاعس عني وقال: في غيري كفاية، فإن الذود إلى الذود إبل.

ومن لا يذد عن حوضه يتهدم.

ثم إني آمركم بالشدة في الأمر، والجهاد في سبيل الله، وألا تغتابوا مسلماً.

وانتظروا النصر العاجل من الله إن شاء الله.

2 ـ ثم قام الحسن بن علي «عليه السلام» خطيباً، فقال: الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدي شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول.

ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منَّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه، وبلاءه، ونعماءه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولا يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم. فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر.

ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة، لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة،

وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة.

والصلح تأخذ منه ما رضيت [به] والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

3 ـ ثم قام الحسين بن علي «عليه السلام» خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، [و] الشعار دون الدثار، جدوا في إحياء ما دثر بينكم، وإسهال ما توعر عليكم، وألفة ما ذاع منكم.

ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع متحسَّاة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يَأْلَمْ كُلومَها عند حلولها، فذاك صاحبها. ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك قَمِنٌ ألا ينفع قومه، و[أن] يهلك نفسه. نسأل الله بعونه أن يدعمكم بألفته. ثم نزل.

أصحاب ابن مسعود:

فأجاب علياً إلى السير والجهاد جل الناس، إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه، وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه، فقالوا له: إنا نخرج معكم، ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي، كنا عليه.

فقال علي: مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة، من لم يرض بهذا فهو جائر خائن.

وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود، فيهم ربيع بن خشيم [خيثم - خثيم] وهم يومئذ أربعمائة رجل، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك، ولا غناء بنا ولا بك ولا المسلمين عمن يقاتل العدو، فولنا بعض الثغور نكون به، ثم نقاتل عن أهله.

فوجهه علي على ثغر الري.

فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع بن خثيم(1).

ونقول:

إعتراف لا بد منه:

وأحب هنا أن أكرر الإعتراف بأنني عاجز عن إيفاء أهل البيت، وعلى رأسهم أمير المؤمنين والحسنان «صلوات الله وسلامه عليهم» بعض حقهم، فإنني لست أهلاً لفهم مرامي كلامهم، وسبر أغوار مقاصدهم..

ولأجل ذلك، كنت وما زلت أقتصر على الإشارة السريعة إلى بعض ما أتوهم أنه يدخل في مرامي كلامهم، وأكتفي بفقرات يسيرة جداً منه، وأترك سائره.. اعتقاداً مني أن لي الحق في ذلك، لأنهم

---

(1) وقعة صفين للمنقري ص112- 116.

«عليهم السلام» كانوا يكلمون الناس على قدر عقولهم مهما كانت تلك العقول على درجة من البساطة والسذاجة، وأنا من هؤلاء السُذَّج، فلماذا لا أعبر عما فهمته لا عن عمق المعاني التي ألمحوا إليها، وأرادوا الدلالة عليها.

وقد تتعاظم هذه الرهبة في نفسي إلى حد إيثار الهروب، حتى من هذه الإشارات البسيطة، لأنني قد أرى أن ما أشير إليه هو من السذاجة بحيث لا يليق بمقامهم «عليهم السلام»، فضلاً عن أن يسمى استفادة من كلامهم..

وهذا المورد هو من هذه الموارد التي آثرت صرف النظر عن التعليق بأي شيء.

فإلى أئمتي الأطهار عذري، وللقارىء الكريم شكري..

الذود إلى الذود إبل:

فقدم قوله «عليه السلام»: «فإن الذود إلى الذود».

الذود: القطعة من الإبل من ثلاثة إلى تسعة، وقيل إلى العشرة.. إلى العشرين، إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك.

قال ابن الأعرابي: الذود لا يوحَّد. وقد يجمع أذواداً. وهو اسم مؤنث يقع على قليل الإبل، ولا يقع على الكثير. وهو ما بين الثلاث إلى العشر، إلى العشرين إلى الثلاثين. ولا يجاوز ذلك.

يُضرب في اجتماع القليل حتى يؤدي إلى الكثير(1).

ولم أجد من قال هذه الكلمة قبل أمير المؤمنين «عليه السلام».

ملاحظة لا تخفى على القارىء الكريم:

وقبل مواصلة حديثي هنا أحب أن أذكر القارىء الكريم: بأن النصوص التي سجلت كلامهم «عليهم السلام» بما في ذلك خطبهم، وكتبهم، إنما أخذها المؤلفون وأودعوها في مجاميعهم من الرواة، وقد ينسى هذا الراوي ـ ولا سيما بعد مرور السنين ـ بعض الفقرات، ويحفظها غيره.. وقد يتعلق غرض الراوي بنقل فقرة بعينها دون أخرى.. وقد يقدم، ويؤخر.. وربما أسقط بعض الكلمات أو استبدلها بمثلها.. وقد ينقل بالمعنى، بحسب فهمه، ولا يورد عين الألفاظ.. وقد.. وقد ..

وهذه الحالات تشاهد في كثير من النصوص المنقولة. هذا عدا عن أنه قد يقع الخلط والوهم في تاريخ وقوع بعض ما ينقلونه..

فيذكر هذا: أن هذا الكلام قد قيل، أو هذا الكتاب قد كتب قبل حرب الجمل مثلاً، ويذكر آخر أنه قيل بعدها.. وقد تجد كماً هائلاً من الأحداث، والخطب، والكتب والكلمات وغير ذلك لا يعرف له تاريخ, ولا يعرف المتقدم من المتأخر، ولا تعرف له مناسبة وسبب، إلى غير

(1) راجع: مجمع الأمثال للميداني ج1 ص277 وأقرب الموارد، مادة: ذود. وراجع: الصحاح للجوهري ج2 ص471.

ذلك من الأحوال التي تعرض للباحث في مثل هذه الأمور..

موقف عبيدة السلماني من علي ×:

لقد عد الرجاليون عبيدة السلماني في جملة أولياء علي «عليه السلام»[1]. وفي أصحابه[2].

غير أن موقفه المتقدم يأبى أن يكون من أوليائه «عليه السلام»، فإن من يكون كذلك لا يتخذ هذا الموقف التشكيكي من علي «عليه السلام»، إلى حد أنه يساوي بينه وبين أهل الشام، ثم يعسكر هو وجماعته على حدة، يقول النص: «نعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم، وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه».

فهل من يحتمل أن يصدر من علي «عليه السلام» بغي، ويرتكب ما لا يحل، هل يكون من شيعة علي «عليه السلام»؟! أو من أصحابه؟! ولا سيما إذا أريد بالصحبة تلك التي تعني العلاقة المميزة

(1) الإختصاص للمفيد ص3 و خلاصة الأقوال ص307 وبحار الأنوار ج34 ص272 وقاموس الرجال للتستري ج7 ص100 عن البرقي، وتنقيح المقال للمامقاني، ووسائل الشيعة (آل البيت) ج30 ص418 و (الإسلامية) ج20 ص251 .

(2) رجال الطوسي ص71 وقاموس الرجال للتستري ج7 ص100 ومعجم رجال الحديث ج12 ص104.

بين الصاحب وصاحبه.

إلا أن يقال: لعل عبيدة كان في بدء أمره على حال.. ثم تبدل ذلك الحال إلى الأحسن حتى صار من أوليائه «عليه السلام».

ولكننا نقول:

إن ذلك وإن كان ممكناً في نفسه، ولكنه يبقى مجرد احتمال لا شاهد له ولا دليل عليه.

وقد كان موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» من هؤلاء المتجرئين عليه بسبب جهلهم بمقاصده، رائداً ورائعاً، لأنه حين وجد فيهم ملامح إنصاف، واتزان، بادر إلى تشجيعهم على مواصلة اعتماد نهج البحث، والتقصي، وعدم اتباع الشبهات والظنون..

وأراد أن يكون هذا النهج هو المعتمد عند كل من جهل حقه «عليه السلام»، لأن المراقبة، وتقييم الأمور وفق المعايير الصحيحة يوصل إلى الحق، ويوفر الكثير من المتاعب والمصائب..

معاوية لا يدرك ما يسعى إليه:

وقد ورد في كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» قوله عن معاوية: «وتناول ما ليس له وما لا يدركه».

فيقال: إن معاوية هو أنه أراد أن يصل إلى الحكم والسلطان، وقد أدرك ذلك، وحصل عليه.. فكيف يقول «عليه السلام»: «وما لا يدركه».

ونجيب:

بأنه «عليه السلام» لم يصرح بأنه يتحدث عن الخلافة، أو الحكم أو غير ذلك، بل أبقى الكلام مبهماً، فلعله أراد أن يتخلص من علي «عليه السلام» بالعزل، أو بالقتل، أو بالنيل من سمعته، والتشكيك بسلامة مساره، عن طريق اتهامه بقتل عثمان، أو بإيواء قتلته، أو أن يسقط حق علي «عليه السلام» بالإمامة والخلافة، ويشكك الناس في هذا الأمر، فلم يدرك ذلك، ولم تصل يده إليه، ولم يحصل عليه.

أعلم الناس بالحلال والحرام:

وقد وصف «عليه السلام» أصحابه: بأنهم أعلم الناس بحلال الله وحرامه..

ونقول:

إنما أصبحوا كذلك بسبب ما بذله هو «عليه السلام» وخيار أصحابه من جهد في هذا السبيل، لا لأن أهل العراق قد أتعبوا أنفسهم في تحصيل العلم بدونه، وقبل أن يأتي إليهم..

ومما يدل على ذلك: قوله «عليه السلام» لهم: «وركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم حدود الحلال والحرام».

مع أن الفترة التي مضت عليه «عليه السلام» معهم كانت يسيرة جداً، لأنها إنما بدأت بعد توليه الخلافة سنة 35 هـ. وإنما قد قدم العراق قبيل وقعة الجمل كما هو معلوم.. وقد نتج عن ذلك هذه النتيجة

العظيمة.

ولكننا نجد في مقابل ذلك: أن معاوية كان قد مضى عليه حاكماً على الشام حوالي عقدين من الزمن، ولكن أهل الشام كانوا على حالة مزرية من الجهل بأحكام الشريعة والدين..

علي × والشاكون في القتال معه:

وذكر النص المتقدم: أن طائفة من أصحاب ابن مسعود ـ وكانوا أربع مئة رجل، فيهم الربيع بن خيثم[1] ـ جاؤوا إلى علي «عليه السلام»، وقالوا له: إنهم قد شكوا في قتال معاوية وأهل الشام وطلبوا منه أن يرسلهم إلى بعض الثغور ليرابطوا فيه، فوجههم إلى ثغر الري..

وفي نص آخر: أنه أرسلهم إلى قزوين، أو أمر عليهم الربيع بن خيثم[2].

وقال الدينوري: إنهم قالوا: فولنا بعض هذه الثغور، لنقاتل عن أهله. فولاهم ثغر قزوين والري. وولى عليهم الربيع. وعقد له لواء. عقد بالكوفة[3].

---

(1) ورد هذا الاسم مرة خيثم ومرة خثيم، ونحن نعتمد الأول.
(2) راجع: روضة الصفا (نشر الخيام) ج2 ص820 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص406 والكنى والألقاب ج1 ص217.
(3) الأخبار الطوال ص165 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12

وروي: أن علي بن حشرم سأل وكيع: من سلم من الفتنة؟! فعدَّ له أربعة من الصحابة، وأربعة من التابعين، منهم الربيع بن خثيم(1).

ولكن البلاذري يروي عن علي بن مرة الهمداني: أن علياً «عليه السلام» قال: «من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية، فليأخذ عطاءه، وليخرج إلى الديلم فليقاتلهم. وكنت في النخبة، فأخذنا أعطياتنا، وخرجنا إلى الديلم، ونحن أربعة آلاف، أو خمسة آلاف.

وعن سفيان، قال: أغزى علي «عليه السلام» الربيع بن خيثم الثوري الديلم، وعقد له على أربعة آلاف من المسلمين(2).

ونستفيد من ذلك كله أموراً هي التالية:

الربيع بن خيثم لم يكن من المخلصين لعلي ×:

إن الربيع بن خيثم لم يكن من النخبة من أصحاب علي «عليه السلام»، بل كان شاكاً في حربه مع معاوية، وقد تخلف عن المسير معه، فطلب منه «عليه السلام» المسير إلى جهة أخرى كما تقدم.

كما أنه كان يتحاشى ذكر يزيد بن معاوية بسوء، فقد سئل عما يقوله في قتل يزيد للحسين «عليه السلام» فقال: إلى الله إيابهم، وعلى

ص108.

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص77 والوافي بالوفيات ج8 ص243.

(2) فتوح البلدان للبلاذري ص318 و (ط مكتبة النهضة المصرية) ج2 ص396.

الله حسابهم(1).

وهذا يدل على عدم إمكان الإعتماد على قول الفضل بن شاذان: إنه من صالحي الزهاد الثمانية(2).

كما أن ما نقل عن البهائي من أنه: كان له كثير تقرب عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأن الرضا «عليه السلام» قال: ما استفدنا من المجيء إلى خراسان إلا زيارة الخواجة(3). أي الخاجة ربيع بن خيثم، فإنه مدفون هناك، وله مقامم معروف.

ونقل أن الإمام الرضا «عليه السلام» كان يزور ذلك القبر منذ قدم طوس(4). فهو بدوره أخبار ضعيفة أيضاً. لا مجال للأخذ به في نفسه، فكيف إذا كان إلى جانبه أخبار قادحة، كما رأينا؟!

---

(1) حلية الأولياء ج2 ص111 وراجع: معجم رجال الحديث ج8 ص174 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج12 ص108.

(2) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص97 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص313 وراجع: التحرير الطاووسي ص207 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص505 وخاتمة المستدرك ج1 ص207 والغارات للثقفي ج2 ص909 والكنى والألقاب ج2 ص300.

(3) راجع: قاموس الرجال للتستري ج4 ص337 عن رياض العلماء ج2 ص287 نقلاً عن البهائي برواية العلامة الحلي..

(4) مجالس المؤمنين ج1 ص297.

وهكذا يقال بالنسبة لما ورد في مصباح الشريعة في مدحه(1). فإن هذا الكتاب لم تثبت نسبته إلى الإمام الصادق «عليه السلام».

ويبدو: أن هذا الرجل كان معظماً عند غير الشيعة، ولعل علماءنا أخذوا هذه الروايات في حقه منهم، لا من طرق الشيعة..

الإقدام على الأسنة:

ولا أحب أن أتجاوز هذا الموضع إلا بعد التبرك بذكر الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام».. فقد ذكَّرني قوله «عليه السلام»: «فإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة إلخ..» بقول أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» لأخيه محمد بن الحنفية في حرب الجمل: «ثق يا بني، وتقدم بين يدي على الأسنة».

وكان الظن أن المقصود بقوله هذا لابن الحنفية هو مجرد إثارة الحماس لديه.. ولكن ما قاله الإمام الحسن هنا يشير إلى أن الأمر أبعد من ذلك، فهو نشاط عملي حقيقي يهدف إلى التأثير في مجالين:

أحدهما: بلورة واحدة من أهم الصفات، والسمات الحقيقية للإنسان المجاهد في سبيل الله، والباذل نفسه دفاعاً عن مبادئه، وعن قيمه ودينه، وهي صفة النجدة التي هي الشجاعة والبسالة، التي تدفع إلى المضي فيما يعجز عنه الآخرون..

---

(1) مصباح الشريعة ص101.

الثانية: أن هذا الإقدام على الأسنة يحقق معنى العصمة والمنعة، حيث يؤدي إلى أن يحجم الأقران عنه، وتتحاشى مواجهته، فيمتنع منها بشخصه، ويمتنع به من هم في حوزته، وتحت جناحه..

وقد أشار «عليه السلام» إلى هذه الحقيقة، حيث أتبع ذلك بقوله: «لأنه لم يمتنع قوم قط إلا دفع الله عنهم العلة، وكفاهم حوائج الذلة.. وهداهم إلى معالم الملة».

أي أن هذه النجدة والعصمة، تثمر أموراً ثلاثة:

أولها: إزاحة العلل، والمعوقات من الطريق، ليصبح السير فيه ميسوراً وسهلاً..

الثاني: إن ذلك يوجب حالة من الردع التلقائي الذي يمنع العدو من التفكير باجتياحات خطيرة تهدد أمن وحياة الناس، وتلامس كراماتهم بالأذى، وتؤدي إلى تعرض الكثيرين منهم لحالات من المهانة والإذلال، بسبب ما ينزل بهم من مصائب وبلايا، وكوارث ورزايا..

الثالث: إنه يمهد الطريق إلى أن يجد الناس الفرصة للتعرف على معالم الملة، وسلوك طرق الهداية إلى الدين الصحيح الذي هو خير وصلاح، وسداد ونجاح، وفوز وفلاح..

الإمام الحسين × وأهل الكوفة:

وما أحلى وأغلى كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» لأهل الكوفة هنا.. إنه يثني عليهم بما دل على عمق العلاقة بينهم وبين أهل البيت «عليهم السلام»، فهم الأحبة الكرماء.. وهم الشعار الذي يكون الدثار فوقه.

فالشعار: هو الثوب يلي البدن، ويفترض أن يكون حنوناً عليه، رفيقاً به، وواقياً له من كل ما يؤذيه..

فليت شعري هل بقي أهل الكوفة، مع أهل البيت «عليهم السلام»، ومع خصوص الإمام الحسين «عليه السلام» على هذا الحال؟! أم أن الأمور قد اختلفت والأحوال قد تقلبت، وعدا معاوية والأمويون على هؤلاء الأحبة الكرماء، فقتلوهم، وشردوهم في البلاد، وتحت كل حجر ومدر، ثم أغروا به شيعة آل أبي سفيان من أهل الكوفة بالذات، فساروا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته، وأصحابه، وارتكبوا في حقهم مذبحة رهيبة لا يزال رجع صداها يتردد عبر الأجيال والأحقاب، وسيبقى إلى يوم القيامة؟!

وأما سائر الأمور التي عالجها الإمام الحسين «عليه السلام» في كلماته، فيحتاج إلى دراسة عميقة، حيث لا بد من الغوص في بحاره، وسبر أغواره، وكشف أسراره، نسأل الله أن يوفق أهل الفضل والفكر لنيل هذا الشرف العظيم، والفوز بهذا الخير العميم..

الفزاري المعارض:

في كتاب صفين، قال:

روى نصر: عن عمر بن سعد، عن أبي مخنف، عن زكريا بن الحارث، عن أبي حشيش(1)، عن معبد قال:

قام على خطيباً على منبره، فكنت تحت المنبر حين حرض الناس وأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام، فبدأ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«سيروا إلى أعداء [الله. سيروا إلى أعداء] السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار».

فقام رجل من بني فزارة يقال له أربد فقال: أتريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم. كلا، ها الله إذاً لا نفعل ذلك(2).

فقام الأشتر، فقال: من لهذا أيها الناس(3)؟!

وهرب الفزاري واشتد الناس على أثره، فلحق بمكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطؤه بأرجلهم، وضربوه بأيديهم ونعال

---

(1) ح (1: 279): «أبي خشيش».

(2) ها التنبيه، قد يقسم بها، كما هنا. قال ابن منظور: «إن شئت حذفت الألف التي بعد الهاء، وإن شئت أثبت».

(3) ح: «من هذا المأزق». ولعل الصحيح: المارق.

سيوفهم(1) حتى قتل.

فأتي عليٌّ، فقيل: يا أمير المؤمنين، قتل الرجل.

قال: ومن قتله؟!

قالوا: قتلته همدان وفيهم شوبة من الناس(2).

فقال: قتيل عمية لا يدرى من قتله(3)، ديته من بيت مال المسلمين.

وقال علاقة التيمي(4):

أعوذ بربي أن تكون منيتي كما مات في سوق البراذين أربد

تعاوره همدان خفق نعالهم إذا رفعت عنه يد وضعت يد

قال: وقام الأشتر فحمد الله وأثنى عليه، فقال:

---

(1) نعل السيف: ما يكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة.

(2) ح: «ومعهم شوب من الناس».

(3) قيل: المراد هنا: العمية، بكسر العين وتشديد الميم المكسورة والياء المفتوحة المشددة، ويقال أيضاً: «عميا» بوزنه مع القصر، أي ميتة فتنة وجهالة.

وقد يقال: الظاهر: أن المراد هنا: العمية ـ بفتح العين، وتخفيف الميم لمكسورة ـ بمعنى: الغواية والجهالة.

(4) بدلها في ح: «فقال بعض بني تيم اللات بن ثعلبة».

«يا أمير المؤمنين، لا يهدنك ما رأيت، ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن. جميع من ترى من الناس شيعتك، وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك، ولا يحبون بقاء بعدك. فإن شئت فسر بنا إلى عدوك.

والله ما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطي البقاء من أحبه، وما يعيش بالآمال إلا شقي.

وإنا لعلى بينة من ربنا أن نفساً لن تموت حتى يأتي أجلها، فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين [بالأمس] فأسخطوا الله [في قتلهم]، وأظلمت بأعمالهم الأرض، وباعوا خلاقهم(1) بعرض من الدنيا يسير».

فقال علي «عليه السلام»: «[صدقت يا مالك] الطريق مشترك، والناس في الحق سواء، ومن اجتهد رأيه في نصيحة العامة فله ما نوى وقد قضى ما عليه».

ثم نزل فدخل منزله(2).

---

(1) الخلاق، بالفتح: الحظ والنصيب من الخير.

(2) صفين للمنقري ص94 و 95 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص173 - 175 والفتوح لابن أعثم ج2 ص362 و363 و (ط دار الأضواء) ج2 ص498 - 500 مع اختلافات يسيرة لا أثر لها. وراجع: المعيار والموازنة للإسكافي ص125 و 126 ونهج السعادة ج2 ص95 - 97.

ونقول:

1 ـ لو أن هذه القضية حصلت مع أي كان من الناس، مهما فرضناه منصفاً، وهادئاً، ورفيقاً، فإننا لا نظن أنه سيتعامل مع من يعلن عن عداوتة له بهذه الطريقة من السلامة والسهولة، بل لعله يرى أن ذلك الرجل لا يستحق حتى أن تشيّع جنازته، أو أن يعزَّى به أهله..

ولكن علياً «عليه السلام» ليس فقط لا يرى هذا الرجل عدواً، بل يرى أنه قتل مظلوماً، ولو عرف قاتله، لتعرض للعقاب من قبله ـ عقاب قاتل المسلم ـ فإن كان قد قتله عمداً، عاقبه بعقوبة قاتل المسلم عمداً، وإن كان قد قتله خطأ، عاقبه بما يستحقه أيضاً..

ولكنه حين لم يعرف قاتله، وظهر أنه «قتيل عَمِيَّة»، وداه من بيت مال المسلمين.

2 ـ إن هذا يدل بوضوح: على أن علينا أن لا نجعل أنفسنا كأشخاص محوراً ومعياراً للحق والباطل، بل المعيار ما هو حق في الواقع، وعند الشارع.. وأن يكون منطلقنا في معاملة الآخرين هو قوله تعالى: **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**[1].

3 ـ إن هذا يعطي: أن هذا الفزاري كان يربط الأمور بشخص علي «عليه السلام»، ويرى: أن علياً «عليه السلام» إنما قتل الناكثين

(1) الآية 8 من سورة المائدة.

والمارقين لأجل مصلحة شخصية له. وأن الذين قاتلوا معه «عليه السلام» كانوا يقاتلون ويقتلون الناس لأجله هو، لا أنهم كانوا يقومون بواجبهم، ويعملون بتكليفهم الشرعي الإلهي، ويدافعون عن الإسلام وحقائقه، وعن المسلمين والمستضعفين.

وهذا يدل: على أن هذا الفزاري كان لا يعرف الإمام، وأنه كان قاصراً، ويقيس علياً «عليه السلام» بغيره من الخلفاء الذين سبقوه، الذين كانوا يسخِّرون كل شيء في خدمة مصالحهم الشخصية، فكان ضيِّق الأفق، ولا يلام الرجل إذا كان ضيق الأفق، محدود النظر والتفكير. ولا يذهب دمه هدراً، لأنه قتل في دار الإسلام.

كما أن الذين قتلوه لم يستأذنوا إمامهم في قتله، ولم يتعمدوا قتله ليلزم القود، ورد فاضل الدية. بل قصدوا تأديبه بنظرهم، فمات..

4 - وحتى لو كان هذا الفزاري من محبي الطرف المناوئ، ويريد أن يعلن عن رأيه، وعن استيائه من بعض الأمور، فإن ذلك لا يبرر التعدي عليه بالضرب، فضلاً عن قتله، ولأجل ذلك كان أمير المؤمنين «عليه السلام» كما ذكرناه في هذا الكتاب. وسيأتي إن شاء الله: أنه يعلن أنه لا يمنع الخوارج من حقوقهم، ما لم يخرجوا على الناس بالسلاح..

وذلك لأنه «عليه السلام» يقول: إن الحكم الإسلامي لا يريد أن يكمَّ الأفواه، ويمنع الناس من إعلان معتقداتهم وآرائهم، إلا إذا أريد خداع السذج والبسطاء بها، أو إذا كان صاحب الرأي يريد أن يمارس

الجحود والعناد بعد إقامة الحجة عليه، ووضوحها، وظهور عجزه عن دفعها لكي يجرِّئ الناس على التظاهر بالباطل.. أو كان يريد إشاعة الأضاليل والترهات بهدف التشويش والبلبلة..

أو يريد إثارة الخلافات والفتن، وما إلى ذلك..

أويس القرني مع علي ×:

وقد ذكرت الروايات: أن أويس القرني قد التحق بعلي «عليه السلام» واستشهد معه بصفين.. وكان قد التقى عمر بن الخطاب به، والتقاه أيضاً الربيع بن خثيم، وعلي «عليه السلام»، وهرم حيان.

وبعد أن التقاه، قال هرم:

لا أعلم أنه أتت علي جمعة إلا وأنا أراه في منامي مرة أو مرتين، حتى إذا تحرك علي «عليه السلام» بالكوفة، وعزم على المسير إلى معاوية، أقبل إليه أويس القرني، فسلم عليه، وخرج معه [إلى] صفين، فقتل هنالك في رجالة علي بن أبي طالب «عليه السلام»(1).

خبر أويس القرني &:

قال ابن أعثم: وسأل رجل عبد الله بن عباس عن أويس القرني،

---

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص549 و (ط الهند) ج2 ص460 و (ط دار الأضواء) ج2 ص549.

فقال ابن عباس: ويحك! أويس القرني له شأن عظيم، وهو سيد التابعين! وذلك أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يقول لأصحابه: «يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني، يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر، لو أقسم على الله لأبر قسمه، فمن لقيه من بعدي فليقرئه مني السلام».

قال: فقال له علي: يا رسول الله! وفينا من يلقاه؟!

فقال: «نعم يا علي، أنت تلقاه، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، واسأله أن يدعو لك بالخير»!

فقال علي: يا رسول الله! وما علامته؟!

فقال: «هو رجل أصهب أشهل، ذو طمرين أبيضين، إذا غاب لم يفتقد، وإذا طلع لم يفرح بطلعته، وإذا سلم لم يرد عليه».

قال ابن عباس: فلم يزل بعد ذلك يحب أن نرى من يخبرنا عنه حتى كان زمن عمر بن الخطاب، فقدم عليه أهل الكوفة. فقال لهم عمر: يا أهل الكوفة! هل تعرفون عندكم رجلاً من اليمن يقال له: أويس القرني؟!

فقال رجل: نعم يا أمير المؤمنين! عندنا رجل من قرن يقال له: أويس، غير أنه نسخر منه، وأهل الكوفة يهزؤون به.

قال: فتنفس عمر صعداء وقال: ويحك! إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبرنا أنه يقدم إلى الكوفة رجل من اليمن يقال له: أويس القرني، وليس له بها إلا أم، وقد كان به بياض من برص، فدعا الله أن

يذهبه عنه، فأذهبه إلا مثل مقدار الدينار والدرهم، لو أقسم على الله عز وجل لأبر قسمه، يدخل في شفاعته يوم القيامة عدد ربيعة ومضر.

قال: فشهق شهقة ثم قال: وا شوقاه إلى النظر إليه.

قال: فسكت الكوفيون، وأخفوا ذلك في أنفسهم حتى رجعوا إلى الكوفة، ثم نظروا إلى أويس القرني بغير العين التي كانوا ينظرون إليه بها.

ثم إنهم كانوا يذهبون إليه ويسألونه أن يستغفر لهم، فقال لهم أويس: يا أهل الكوفة! إنكم قد كنتم فيما مضى تسخرون مني وتهزؤون بي، فما الذي بدا لكم حتى إنكم تسألوني الإستغفار لكم؟!

فقالوا له: إن عمر بن الخطاب أخبرنا عنك بكذا وكذا.

قال: واستغفر أويس لبعضهم، ثم إنه غاب فلم ير بالكوفة بعد ذلك.

قال: وجعل عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» يسأل عنه الرفاق عشر سنين، فلم يسمع له خبراً، فلم يزل كذلك حتى كان آخر حجة حجها عمر، فسأل عنه كما كان يسأل.

فإذا برجل من قرن قد وثب إليه، فقال له: يا أمير المؤمنين! إنك قد أكثرت السؤال عن أويس هذا، وما فينا أحد اسمه أويس إلا ابن أخ لي وأنا عمه، غير أنه أخمل ذكراً وأوهن أمراً من أن يرفع إليك ذكره.

قال: فسكت عمر، وظن أنه ليس أويساً الذي يريد.

ثم أقبل وقال: يا شيخ! وأين ابن أخيك هذا الذي تزعم، أهو معنا بالحرم؟!

فقال الشيخ: نعم يا أمير المؤمنين! هو معنا بالحرم، غير أنه في أراك عرفة يرعى إبلا لنا.

قال: فاستوى عمر بن الخطاب جالساً هو وعلي بن أبي طالب على حمارين لهما، وخرجا من مكة وأسرعا السير إلى عرفة، وجعلا يتخللان الشجر، فإذا هما بأويس القرني في طمرين من صوف أبيض، وقد صف قدميه قائماً يصلي، وقد رمى ببصره إلى موقع سجوده، وألقى يده على صدره.

فقال عمر لعلي: يا أبا الحسن! إن كان في الدنيا أويس القرني فهذا هو، وهذه صفته.

قال: ثم نزلا عن حماريهما فشداهما إلى أراكة.

قال: ثم أقبلا إليه يريدانه، فلما سمع أويس أوجز صلاته، ثم تشهد وسلم، وتقدما إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقال أويس: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فقال له عمر: من أنت يرحمك الله؟!

فقال: راعي إبل.

فقال عمر: ليس عن الرعاية أسألك، إنما أسألك عن اسمك، فمن

أنت يرحمك الله؟!

فقال: أنا عبد الله، وابن عبده وابن أمته.

فقال عمر: إننا قد علمنا أن كل من في السماوات والأرض عبيد الله، وإننا نقسم عليك بحق الحرم والمسجد المعظم إلا أخبرتنا باسمك الذي سمتك به أمك!

فقال: أنا أويس بن عبد الله.

فقال عمر: الله أكبر! نحب أن تُوضِح لنا عن شقك الأيسر.

فقال: وما حاجتكما إلى ذلك؟!

فقال له علي: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصفك لنا، وقد وجدنا الصفة كما أخبرنا ، غير أنه أعلمنا أن بشقك الأيسر بياضاً كمقدار الدينار والدرهم، ونحن نحب أن ننظر إلى ذلك.

قال: فأوضح لهما عن شقه الأيسر، فلما نظر علي وعمر إلى اللمعة البيضاء ابتدراها أيهما يقبل قبل صاحبه، ثم بكيا طويلاً وقالا: يا أويس! إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرنا أن نقرئك منه السلام، وأمرنا أن نسألك أن تستغفر لنا، فإن رأيت أن تستغفر لنا يرحمك الله، فقد أخبرنا أنك سيد التابعين، وأنك تشفع يوم القيامة في عدد ربيعة ومضر.

قال: فبكى أويس بكاء شديداً ثم قال: عسى أن يكون ذلك غيري.

فقال علي «عليه السلام»: إننا قد تيقنا أنك أنت هو، ونحن لا نشك في ذلك، فادع لنا يرحمك الله بدعوة وأنت محسن.

فقال أويس: إني لا أدعو لرجل ولا لرجلين ولا ثلاث، وإنما دعائي في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات في ظلم الليل وضياء النهار، ولكن من أنتما يرحمكما الله؟! فإني قد أخبرتكما باسمي، وشهرت لكما أمري. ولم أكن أحب أن يعلم بمكاني أحد من الناس.

فقال علي: أنا علي بن أبي طالب، وهذا عمر بن الخطاب.

قال: فوثب أويس فرحاً مستبشراً، فعانقهما، وسلم عليهما، ورحب بهما.

فقال: يا أبا الحسن! ومثلي يستغفر لأمثالكما!

فقال علي: نعم، إننا قد احتجنا إلى ذلك منك، فخصنا رحمك الله منك بدعوة حتى نؤمن على دعائك!

قال: فرفع أويس رأسه وقال: اللهم! إن هذين يذكران أنهما يحباني فيك. وقد زاراني من أجلك، فاغفر لهما، وأدخلهما في شفاعة نبيك محمد «صلى الله عليه وآله».

فقال له عمر: الميعاد بيني وبينك غداً في هذا الموضع.

فقال أويس: وما تريد؟!

فقال عمر: أحببت أن آتيك بكسوة وشيء من نفقة، فإني أراك رث الحال.

فقال أويس: سبحان الله! ألا ترى علي طمرين جديدين: جبة وكساء. ونعلاي قد خصفتهما. ومعي أربعة دراهم قد أخذتها من

أجرتي، ولي عند القوم حساب؟! فمتى آكل هذا؟!

يا أبا الحسن، ويا أبا حفص، إن الدنيا غدارة، غرارة، زائلة، فانية، فمن أمسى وهمه فيها اليوم مد عنقه إلى غد، ومن مد عنقه إلى غد علق قلبه بالجمعة، ومن علق قلبه بالجمعة لم ييئس من الشهر، ويوشك أن يطلب السنة، وأجله أقرب إليه من أمله، ومن رفض هذه الدنيا أدرك ما يريد غداً من مجاورة الجبار، وجرت من تحت منازله الأنهار، وتدلت من فوقه الثمار.

قال: ثم سلم عليهما ومضى يسوق الإبل بين يديه، وعلي وعمر ينظران إليه حتى غاب فلم ير(1).

ونقول:

لا نريد أن نتوقف كثيراً هنا، بل نكتفي بلفت نظر القارىء الكريم إلى بضعة أمور، هي التالية:

أويس القرني:

لقد عد الكشي «رحمه الله» أويس القرني في جملة الزهاد الثمانية الذين كانوا مع علي «عليه السلام»، ناقلاً ذلك عن الفضل بن شاذان(2). وإن كنا قد شككنا فيما سبق، في صحة ذلك بالنسبة للربيع

---

(1) كتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص451 ـ 456 و (ط دار الأضواء) ص544 ـ 547.

(2) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص97 و (ط مؤسسة آل البيت

بن خيثم، ويمكن الشك في غيره أيضاً، إلا أن ذلك ـ على ما يبدو ـ بسبب اضطراب وخلط حاصل في الكلام المروي عن ابن شاذان.

ولكن الأمر بالنسبة لأويس القرني ليس كذلك، حيث لم نجد ما يوجب الشك في استقامته، بل وجدنا العديد من المؤيدات والشواهد عليها، لا سيما وأنه قد استشهد بين يدي أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين..

وقد عده الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب علي «عليه السلام»، وعده الكشي في الحواريين، استناداً إلى ما روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام»:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله؟!

إلى أن قال: ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب، وصي محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني..

إلى أن قال: ثم ينادى سائر الشيعة مع سائر الأئمة «عليه السلام» يوم القيامة، فهؤلاء المتحورة أول السابقين، وأول المقربين،

لإحياء التراث) ج1 ص313 وراجع: التحرير الطاووسي ص207 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص505 وخاتمة المستدرك ج1 ص207 والغارات للثقفي ج2 ص909 والكنى والألقاب ج2 ص300.

وأول المتحورين من التابعين(1).

وفي نص آخرلهذا الحديث:

«فهؤلاء أول الشيعة، الذين يدخلون الفردوس، وهؤلاء أول السابقين، وأول المقربين وأول المتحورة من التابعين»(2).

وفي رواية أخرى: أن رجلاً من أهل الشام خرج في صفين، فقال: فيكم أويس القرني؟!

فقالوا: نعم.

فقال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: خير التابعين [أو من خير التابعين] أويس القرني. ثم تحول ذلك الرجل معنا ومع علي «عليه السلام»(3).

---

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص9 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص41 وروضة الواعظين ص283 وتفسير نور الثقلين ج5 ص210 وتاريخ آل زرارة ص111 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص427 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص158.

(2) الإختصاص للمفيد ص61 و 62 وبحار الأنوار ج34 ص275 و 276 وراجع: روضة الواعظين ص309 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص466.

(3) راجع: قاموس الرجال للتستري ج2 ص219 والمستدرك للحاكم ج3 ص402 والطبقات الكبرى لابن سعد ج6 ص163 وحلية الأولياء ج2 ص86 وتاريخ مدينة دمشق ج9 ص442 وإختيار معرفة الرجال (رجال

وروى الأصبغ بن نباتة: أن مئة رجل بايعوا علياً «عليه السلام» في صفين، وكان أويس تمام المئة(1).

وكان الكميت قد افتخر بقبيلة نزار في قصيدة يقول فيها:

ألا حييت عنا يا مدينا وهل ناس تقول(2) مسلمينا؟!

فأنشأ دعبل الخزاعي قصيدة يفتخر فيها على نزار، وينقض على الكميت، وفيها:

أويس ذو الشفاعة كان منا فيوم البعث نحن الشافعونا(3)

الكشي) ج1 ص315 وتاريخ ابن معين ج1 ص238 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص101 وشرح الأخبار ج2 ص3 و 4 ومسند أحمد ج3 ص480 ومجمع الزوائد ج10 ص22 وأسد الغابة ج5 ص380 وسير أعلام النبلاء ج4 ص31 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص559.

(1) راجع: قاموس الرجال للتستري ج2 ص219 وخصائص الأئمة ص53 والإرشاد للمفيد ج1 ص315 وشرح الأخبار ج2 ص12 والمستدرك للحاكم ج3 ص403 والإصابة ج1 ص361 وسير أعلام النبلاء ج4 ص33 ونهج السعادة ج7 ص463 ومدينة المعاجز ج2 ص298 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص315.

(2) كذا في المصدر.

(3) قاموس الرجال للتستري ج2 ص219 وإختيار معرفة الرجال (رجال

حديث عمر وأويس موضوع:

أما فيما يرتبط بالرواية المطولة التي تقدمت، ففيها موارد عديدة توجب الريب فيها، فلاحظ مايلي:

قد حكم ابن الجوزي على الحديث المتقدم: بأنه موضوع(1).

وقال التستري عن ابن الجوزي، وعن هذا الحديث ما يلي: «مع أنه (أي ابن الجوزي) من نصَّابهم.

وضعوه (يعني: الحديث المتقدم) مقابل ما رواه العامة والخاصة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال في صفين: عهد إلي النبي «صلى الله عليه وآله»: يبايعني اليوم على الموت عدة معينة، يقدمون علي.

فقدم جمع كانوا أقل بواحد مما قال «عليه السلام»، فجاء أويس.

فوضعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعمر: إن أدركته، فأقرأه مني السلام. إلى آخر ما وضعوا بتكلفاته»(2).

علي × لم ير القرني:

وقد ذكرت الرواية الطويلة المتقدمة: أن عمر بن الخطاب،

الكشي) ج1 ص315.

(1) الموضوعات ج2 ص43.

(2) قاموس الرجال للتستري ج2 ص222.

وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» قد قصدا أويس القرني إلى عرفة، فلقياه هناك..

غير أن هناك نصوصاً أخرى تفيد: أن علياً «عليه السلام» لم يكن يعرف أويس القرني قبل مسيره معه إلى صفين، فلاحظ ما يلي:

1 ـ عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنا مع علي «عليه السلام» بصفين، فبايعه تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أين تمام المئة؟! لقد عهد إلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبايعني في هذا اليوم مئة رجل.

قال: إذ جاءه رجل عليه قباء صوف، متقلداً بسيفين، قال: ابسط يدك أبايعك.

قال «عليه السلام»: على ما تبايعني؟!

قال: على بذل مهجة نفسي دونك.

قال: من أنت؟!

قال: أويس القرني.

فبايعه الخ..**(1)**.

2 ـ وفي نص آخر لهذه القصة: قال أمير المؤمنين «عليه

---

(1) قاموس الرجال للتستري ج2 ص219 وخصائص الأئمة ص53 ومدينة المعاجز ج2 ص298 ونهج السعادة ج7 ص463 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص315.

السلام»: كن أويساً.

قال: أنا أويس.

قال: كن قرنياً.

قال: أنا أويس القرني(1).

فلو كان «عليه السلام» يعرف أويس القرني قبل ذلك لم يقل له: من أنت؟!

إلا أن يقال: إنه «عليه السلام» إنما سأل أويساً عن اسمه، لأنه أراد أن يسمع الناس ذلك منه مباشرة، على طريقة تجاهل العارف لمصلحة يراها.

3 - إن علياً «عليه السلام» لما كان بذي قار قال: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني على الموت.

ثم تذكر الرواية: أن ابن عباس عد الآتين، فبلغوا تسع مئة وتسع وتسعين.. وإذ برجل قد لحق بهم، فقال لعلي «عليه السلام»: أمدد يدك أبايعك..

إلى أن قال: فقال له «عليه السلام»: ما اسمك؟!

---

(1) قاموس الرجال للتستري ج2 ص219 ونهج السعادة ج7 ص463 و 464 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص315.

قال : أويس.

قال «عليه السلام»: أنت أويس القرني؟!

قال : نعم!

قال: الله أكبر، فإنه أخبرني حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أني أدرك رجلاً من أمته يقال له: أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر (1).

ألقى يده على صدره:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» وعمر بن الخطاب وجدا أويساً في عرفة «قائماً يصلي، وقد رمى ببصره إلى موقع سجوده، وألقى يده على صدره».

والسؤال هنا هو عن سبب وضع يده على صدره، فإن كان على سبيل التكتف في الصلاة.. فلماذا ألقى يداً واحدة، فإن التكتف إنما يكون بوضع اليدين معاً؟!

ولم نجد في النصوص ما يدل على أن يد أويس الأخرى كانت

(1) إعلام الورى ص173 و (ط مؤسسة آل البيت «عليهم السلام» لإحياء التراث) ص337 والإرشاد للمفيد ج1 ص315 و 316 والثاقب في المناقب ص266 و267 ومدينة المعاجز ج2 ص299 و 300 .

مشلولة مثلاً، بل إن مشاركته في القتال في صفين ربما تشير إلى سلامة يديه معاً..

على أن التكتف ليس من فروض الصلاة، ولا من سننها، ولذلك كان مالك لا يرى التكتف في صلاة الفريضة.. وقد صرح ابن رشد: بأن السبب في ذهاب مالك إلى هذا القول: أن التكتف لم يرد في صفة صلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»**(1)**.

أويس ينقض كلامه:

يضاف إلى ما تقدم: أن الرواية التي نحن بصدد البحث عنها تنسب إلى أويس ادعاءً كاذباً، فهي تذكر أولاً: أنه استغفر لبعض أهل الكوفة أولاً.. وتذكر أنه: استغفر لعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب «عليه السلام» ودعا لهما. بالرغم من أنه كان قد قال لهما: «إني لا أدعو لرجل ولا لرجلين ولا ثلاث، وإنما دعائي في البر والبحر للمؤمنين والمؤمنات في ظلم الليل، وضياء النهار».

فما حاجة أويس إلى هذا الإدعاء يا ترى؟! لو صحت الرواية!!

سأستغفر لك ربي:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أن علياً «عليه السلام» قد شارك

---

(1) بداية المجتهد (ط دار الفكر سنة 1415هـ) ج1 ص112 (ط أخرى) ج1 ص99.

عمر بن الخطاب في البحث عن أويس، للطلب منه أن يستغفر لهما، لأجل ما كان يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق هذا الرجل.

وهذا أمر لا يلتفت إليه، لما يلي:

أولاً: لأنه كان بإمكان عمر وعلي «عليه السلام» أن يطلبا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يستغفر ويدعو لهما. ولا شك في أن دعاءه واستغفاره «صلى الله عليه وآله» هو الأهم والأجدر بالطلب، فإن من يدعو ويستغفر له الرسول «صلى الله عليه وآله» لا يبقى بحاجة إلى دعاء أحد من العالمين.. فما معنى قول عمر وعلي «عليه السلام» لأويس: بأنهما قد احتاجا إلى ذلك منه؟!

ثانياً: ونذكر هنا أن أبا بكر وعمر سمعا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن مالك بن نويرة من أصحاب الجنة، فلحقاه وطلبا منه أن يستغفر لهما، فرفض، وقال لهما: تتركان رسول الله صاحب الشفاعة، وتسألاني أستغفر لكما؟![1]. فهل نسي عمر ذلك؟!

ثالثاً: إن الدعاء والإستغفار حتى لو صدر من أعظم الأنبياء، فلا دلالة على صلاح من يستغفر «صلى الله عليه وآله» له، بل هو يعبر عن رأفته «صلى الله عليه وآله» بأمته، وحبه لهدايتها، ونجاتها، لأنه

---

(1) الفضائل لشاذان ص193 وراجع: بحار الأنوار ج30 ص343 والصراط المستقيم ج2 ص280 عن كتاب الواحدة للشيخ العمي.

شفيق عليها، رفيق بها، وتذهب نفسه حسرات على الضالين منها..

أما استجابة دعائه «صلى الله عليه وآله»، وحصول المغفرة، فتحتاج إلى قابلية المحل لها، بأن يكون مورد الدعاء ليس عدواً لله..

وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)**(1).

وبعبارة أخرى: تارة يكون الله تعالى هو المبغض للعبد، بسبب ما فعله من مآثم وجرائم، فيمكن الدعاء والإستغفار لهذا العبد، وطلب شمول رحمة الله له، حين يكون العبد غير معاند ولا مستكبر..

أما إذا كان العبد هو العدو لله، المعاند والجاحد والمحارب له، فلا معنى لطلب المغفرة، ولا للدعاء له ما دام على هذه الحالة، ولذلك قال تعالى: **(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)**(2).

فالشرك والكفر بمجرده ليس مانعاً من الإستغفار، بل المانع منه هو أن يتبين: ـ بسبب العناد والجحود والطغيان ـ أن هذا الكافر جهنمي، وغير قابل للهداية، والشاهد على ذلك استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما وعده بذلك حين لم يكن قد ظهر له أنه مستكبر معاند، وعدو

---

(1) الآية 114 من سورة التوبة.

(2) الآية 113 من سورة التوبة.

لله..

ومن أجل ذلك دعا الرسول «صلى الله عليه وآله» لقومه بالهداية، فقال في يوم أحد: «اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون» فاستجاب الله تعالى له، وهدى من لم يكن طاغياً ومستكبراً منهم. فإن للرسول «صلى الله عليه وآله» الحق في أن يدعو ويستغفر لكل من تظاهر بعدم المحاربة لله، وعدم الجحود والطغيان، والتمرد المعلن عليه تعالى، فإن عَلِمَ الله سبحانه: أن باطنه موافق لظاهره، فإنه يستجيب لنبيه، وإن علم أنه معاند وطاغ وجاحد لم يستجب له.

فالنبي يتصرف بحسب علمه الظاهري المستند إلى ما يظهره الناس له من حالهم. والله عز وجل يستجيب أو لا يستجيب وفق علمه بالحقائق الواقعية..

وكأن هذه الرواية تريد أن تظهر حب عمر للصالحين، وأنه قد نال المغفرة والشفاعة والنجاة في الآخرة على يد أوس القرني.. وأن علياً «عليه السلام» مثل عمر في احتياجه إلى الشفاعة والمغفرة و.. و..

أمراء الأسباع:

قال المنقري:

وأمَّر الأسباع من أهل الكوفة:

سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس.

ومعقل بن قيس اليربوعي على تميم، وضبة، والرباب، وقريش، وكنانة، وأسد.

ومخنف بن سليم على الأزد وبجيلة، وخثعم، والأنصار وخزاعة.

وحجر بن عدي الكندي على كندة وحضرموت، وقضاعة ومهرة.

وزياد بن النضر على مذحج والأشعريين.

وسعيد بن قيس بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من حمير.

وعدي بن حاتم على طيء.

ويجمعهم الدعوة مع مذحج، وتختلف الرايتان: راية مذحج مع زياد بن النضر، وراية طيء مع عدي بن حاتم(1).

مشكلة الأشعث بن قيس:

قال المنقري:

«وبلغ أهل العراق مسير معاوية إلى صفين، ونشطوا وجدوا، غير أنه كان من الأشعث بن قيس شيء عند عزل علي «عليه السلام» إياه عن الرياسة، وذلك أن رياسة كندة وربيعة كانت للأشعث، فدعا علي حسان بن مخدوج، فجعل له تلك الرياسة.

---

(1) وقعة صفين للمنقري ص117و 118 وبحار الأنوار ج32 ص408.

فتكلم في ذلك أناس من أهل اليمن، منهم الأشتر، وعدي الطائي، وزحر بن قيس، وهانئ بن عروة، فقاموا إلى علي «عليه السلام»، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن رياسة الأشعث لا تصلح إلا لمثله، وما حسان بن مخدوج مثل الأشعث.

فغضب ربيعة، فقال حريث بن جابر: يا هؤلاء رجل برجل، وليس بصاحبنا عجز في شرفه، وموضعه، ونجدته، وبأسه، ولسنا ندفع فضل صاحبكم وشرفه.

فقال النجاشي في ذلك:

رضينا بما يرضى علي لنا به وإن كان فيما يأت جدع المناخر
وصي رسول الله من دون أهله ووارثه بعد العموم الأكابر
رضي بابن مخدوج فقلنا الرضا به رضاك وحسان الرضا للعشائر
وللأشعث الكندي في الناس فضله توارثه من كابر بعد كابر
متوج آباء كرام أعزة إذ الملك في أولاد عمرو بن عامر
فلولا أمير المؤمنين وحقه علينا لأشجينا حريث بن جابر
فلا تطلبنا يا حريث فإننا لقومك ردء في الأمور الغوامر
وما بابن مخدوج بن ذهل نقيصة ولا قومنا في وائل

بـعـوائــر

وليس لنا إلا الرضـا بابــن حــرة أشـم طـويـل السـاعدين مهاجر

علـى أن فـي تـلك النفوس حزازة وصـدعا يـؤتـيـه أكـف الـجوابر

قال: وغضب رجال اليمنية، فأتاهم سعيد بن قيس الهمداني، فقال: ما رأيت قوماً أبعد رأياً منكم، أرأيتم إن عصيتم على علي «عليه السلام» هل لكم إلى عدوه وسيلة؟! وهل في معاوية عوض منه؟! أو هل لكم بالشام من بدله بالعراق؟! أو تجد ربيعة ناصراً من مضر؟!

القول ما قال، والرأي ما صنع.

قال: فتكلم حريث بن جابر، فقال: يا هؤلاء، لا تجزعوا، فإنه إن كان الأشعث ملكاً في الجاهلية، وسيداً في الإسلام، فإن صاحبنا أهل هذه الرياسة، وما هو أفضل منها.

فقال حسان للأشعث: لك راية كندة، ولي راية ربيعة.

فقال: معاذ الله، لا يكون هذا أبداً، ما كان لك فهو لي، وما كان لي فهو لك.

وبلغ معاوية ما صنع بالأشعث، فدعا مالك بن هبيرة، فقال: اقذفوا إلى الأشعث شيئاً تهيجونه على علي «عليه السلام».

فدعوا شاعراً لهم، فقال هذه الأبيات، فكتب بها مالك بن هبيرة إلى الأشعث، وكان له صديقاً، وكان كندياً:

مـن كـان في القـوم مثلوجا بأسرته فــالله يـعلـــم أنـــي غـــيتر

مثلـــــــــــــــــــــــــــــــــــــوج

زالت عن الأشعث الكندي رياسته واســتجمع الأمــر حســان بــن مخـــــــــــــــــــــــــــــــدوج

يــا للـرجـال لعـار ليـس يغسلـه مـــاء الفـــرات وكـــرب غيـــر مفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــروج

إن تـرض كنـدة حسـاناً بصاحبها يـــرض الـــدناة ومـــا قحطـــان بـــــــــــــــــــــــــــــــــــــالهوج

هذا لعمرك عـار لـيـس يـنـكـره أهــل العـــراق وعـــار غيـــر مـــــــــــــــــــــــــــــــــــــمزوج

كـان ابن قيـس همتامتا في أرومته ضـخمـــا يبـــوء بملـــك غيـــر مفلـــــــــــــــــــــــــــــــــــوج

ثم استـقـل بـعـار فتي ذوي يـمن والقــــوم أعــــداء يأجـــــوج ومـــــــــــــــــــــــــــــــــــأجوج

إن الــذيـن تـولـوا بالـعراق لـــه لا يستطيعـــون طـــرا ذبـــح فـــــــــــــــــــــــــــــــــــــروج

ليســت ربيعة أولى بالذي حذيت مـــن حـــق كنـــدة ، حـــق غيـــر محجوج

قال: فلما انتهى الشعر إلى أهل اليمن، قال شريح بن هانئ: يا أهل اليمن، ما يريد صاحبكم إلا أن يفرق بينكم، وبين ربيعة.

وإن حسان بن مخدوج، مشى إلى الأشعث بن قيس برايته، حتى ركزها في داره.

فقال الأشعث: إن هذه الراية عظمت على علي «عليه السلام»، وهو والله أخف علي من زف النعام، ومعاذ الله أن يغيرني ذلك لكم.

قال: فعرض عليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» أن يعيدها عليه، فأبى، وقال: يا أمير المؤمنين، إن يكن أولها شرفاً فإنه ليس آخرها بعار.

فقال له على «عليه السلام»: أنا أشركك فيه.

فقال له الأشعث: ذلك إليك.

فولاه على ميمنته، وهي ميمنة أهل العراق(1).

ونقول:

1 - لا نريد أن نسهب في الحديث عن موضوع الأشعث: ، فقد أشرنا فيما سبق إلى بعض ما يفيد في بيان حاله، وسوء صنيعه، وقلة دينه، وانحرافه عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وميله إلى أعدائه، وقلنا: إنه أراد أن يلحق بمعاوية، ولكن قومه صدوه عن ذلك..

2 - ولم يكن من الحكمة إبقاء الأشعث: على ما هو عليه من العنجهية، والنفوذ، بل لا بد من إعادته ـ ولو تدريجاً ـ إلى حجمه الطبيعي.. فكان هذا الإجراء، الذي اتخذه علي «عليه السلام» بعزل الأشعث: عن رياسة كندة، هو الإجراء الحكيم، والصائب، وحتى لو أعاد إليه بعض الاعتبار بعد ذلك، فعرض عليه إعادتها له، وبعد

(1) صفين للمنقري ص137 - 140.

توسط شخصيات كبيرة له، فإنه يكون قد كسر هيبته، وطامن عظمته، التي كان الأشعث: قد اختص نفسه بها..

وقد أدرك الأشعث: ذلك، وأن الوساطات عند علي «عليه السلام» إن نجحت في إعادة الرياسة له، فإنها لن تعيد إليه ما فقده، فإذا قبلها، فإنه سيكون كالفقير الذي يقبل صدقة ألقيت إليه، بروح العطف والشفقة، ولن يكون كمن يعطى حقه، ويستعيد ما هو له.

وقد أدرك أيضاً: أن الرياسة قد أعطيت لحسان بن مخدوج ابتداءً، ومن دون طلب منه، فدل ذلك على أن ارتفاع مقام حسان وتفوقه قد كان سابقاً على اختياره لهذا المقام. وأن أخذها من حسان لن ينقص من مقام حسان. وأن من أخذت منه ـ أعني الأشعث: نفسه ـ لم تؤخذ منه إلا لأنه انحط في نفسه عن درجة استحقاقها، وسفل مقامه عنها، وصارت هي أكبر، وأعلى وأغلى منه..

ولأجل هذا، وذاك، وجد الأشعث: أن عليه أن ينصاع للأمر الواقع، ورضي بالمشاركة كما تقدم..

3 ـ ولعل توسط الأشتر، وعدي، وسواهما، قد كان لخشيتهم من شغب قد يحدثه أنصار الأشعث ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»، أو أنهم خافوا من انحياز الأشعث إلى معاوية.. أو خافوا من انقسام كندة، ومخالفة قسم منها للرئيس الجديد، كما يفهم من الشعر المنقول عن مالك بن هبيرة، وأشير إليه في شعر النجاشي.

هذا بالإضافة إلى أن ذلك يفسح المجال أمام معاوية، وحزبه،

للسعي لبلبلة الأفكار في تلك القبيلة، والضرب على وتر الطموحات، والمطامع، وتحريك العصبيات.. فبادروا إلى بذل وساطتهم، لتلافي ذلك كله، أو بعضه..

4 - ونظن: أن علياً «عليه السلام» كان مشتاقاً إلى هذه الوساطة، لأن ما أراده قد تحقق بنفس إصدار قرار العزل، واستبدال الأشعث بحسان.. ولم يكن «عليه السلام» يريد تكريس هذا العزل بصورة نهائية، بل كان يريد أن يعيد إليه بعض الفتات، ولكن بتوسط من يتوسط له، لكي لا يفهم أن ما أعيد إليه، كان تصحيحاً لخطأ، وأن استحقاقه هو الذي اقتضى هذا التصحيح..

5 - وقد جاء شعر النجاشي أكثر إنصافاً، وعقلانية، وتوازناً من شعر مالك بن هبيرة، الذي جاء حاقداً، ومتحيزاً، وعشائرياً، وتحريضياً، يهدف إلى الفتنة والفرقة..

وقد تضمن شعر النجاشي حقائق، لم يزل يسعى فريق من الناس إلى تجاهلها، ككون علي «عليه السلام» وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أهله، وأنه وارث النبي علماً، ومقاماً، وخلقاً ونهجاً..

وقد تضمن شعر النجاشي أيضاً، هذا التسليم الظاهر، والطاعة، والرضا، بما يقرره أمير المؤمنين «عليه السلام».

الرسائل بين معاوية ومحمد بن أبي بكر:

ونشير هنا إلى رسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية، وجواب

معاوية، وقد ذكرناهما في الجزء السابق من هذا الكتاب في آخر فصل: أسئلة.. مؤاخذات ـ رسائل ـ حين تحدثنا عن إرسال محمد بن أبي بكر والياً على مصر.

فإن ظاهر كلام نصر بن مزاحم هنا: أنهما قد تبادلا هاتين الرسالتين في هذا الوقت، أي حين كان علي «عليه السلام» بصدد الإنتقال من الكوفة إلى النخيلة.

وقد أضاف نصر بن مزاحم أيضاً: في حديث عمر بن سعد، قال: بعث قيس بن سعد الأنصاري من الكوفة إلى مصر أميراً عليها(1).

ونحن لا نمانع في صحة ذلك، لكننا نقول:

إنه أرسله إلى مصر في أول وروده «عليه السلام» الكوفة، وذلك في سنة 36 هـ وليس حين مسيره إلى صفين..

فإنه حين مسيره إلى صفين كان قد عزله، ورجع إليه من مصر.. وأرسل محمد بن أبي بكر عوضاً عنه..

وقبل أن يذهب ابن أبي بكر إليها أرسل رسالته العتيدة المشار إليها إلى معاوية، وأجابه معاوية عليها، فراجع.

(1) صفين للمنقري ص127.

الفـــهـــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: رسالة الخولاني في الميزان.............................. 7
الفصل الثالث: وقفات مع نص نهج البلاغة لرسالة الخولاني.. 49
الفصل الرابع: رسائل معاوية ترهات وأباطيل........................ 79
الفصل الخامس: معاوية ومواعظ علي ×........................... 109
الفصل السادس: المراسلات بنظر المعتزلي......................... 153

الباب الرابع: قبل المسير إلى صفين..

الفصل الأول: يستشير في المسير.................................... 209
الفصل الثاني: لا تكونوا سبابين...................................... 251
الفصل الثالث: الحشود في المعسكرات.............................. 275

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: رسالة الخولاني في الميزان..

إيضاحات سريعة: 9

لماذا لم يعطه الجواب فوراً؟!: 11

إنَّا صنائع ربنا: 13

جهل القراء وعجزهم: 15

من هو أبو مسلم الخولاني؟!: 18

دفع قتلة عثمان لمعاوية: 21

علي × يخوف معاوية بقتلة عثمان: 23

هل بنو المطلب من أهل البيت؟!: 24

لماذا السرد التاريخي في الإحتجاج؟!: 27

النبي ′ يقي أصحابه بأهل بيته: 29

إستدراك المهاجرين فقط: 31
أهل البيت أساس الإسلام:.. 35
دليل آخر على تأخر إسلام أبي بكر: 35
الثناء على أبي بكر وعمر: 37
في الكلام اضطراب!: 38
الكلام يخالف الواقع: 39
هل حرِّف هذا النص؟!: 39
معنى الصديق والفاروق: 44
علي × يتجنب الطعن بعثمان: 45
أهل البيت لهم النصيب الأوفر: 45
نصيب الأنصار في الخلافة: 46

الفصل الثالث: وقفات مع نص نهج البلاغة لرسالة الخولاني..

إيضاحات للكتاب الوارد في نهج البلاغة: 51
المعتزلي يسأل والنقيب يجيب:.. 52
المعذبون من قريش: 58
أنصح وأطوع الناس لله ولرسوله:.. 59
الحقائق تدفع الأباطيل: 60
البنات ربائب: 61

لا تتدخل فيما لا يعنيك:.. 61

المثال الأول: 63

المثال الثاني: 63

المثال الثالث:.. 64

المثال الرابع:... 64

المثال الخامس: 64

علي × ناصر، ومعاوية خاذل: 66

ما ذنب أبناء الطلقاء؟!:.. 67

هل دافع علي × عن السلف؟!:.. 71

للتضحيات مراتب وإن اتحدت شكلاً:................................. 75

جاهليتنا لا تدفع: 76

آية أولي الأرحام:.. 76

أولى الناس بإبراهيم:... 77

دليل الإلزام:.. 78

الفصل الرابع: رسائل معاوية ترهات وأباطيل..

تحريض معاوية على القتال: 81

معاوية يدَّعي استحقاق الخلافة:... 84

معاوية ليس ولي عثمان: 85

استعملني ولم يعزلني: 85
من هم أهل الفتنة؟!: 86
عثمان يبغض علياً ×: 88
كيف يؤتمن الخائن والخاذل؟!: 91
لا بد من إتمام الحجة: 93
تضييع أحلام معاوية: 97
معاوية أولى بالخلافة من علي ×: 98

الفصل الخامس: معاوية ومواعظ علي ×..

كتاب نصيحة واحتجاج: 111
تجنيات المعتزلي على الشريف &: 115
الرسالة الجامعة: 117
شمولية النظرة ودقة الاختيار: 118
معاوية بين الواقع والأوهام: 119
معاوية يفقد كل مقومات الولاية: 119
معاوية يفقد الحجة أيضاً: 120
متى كنتم ساسة الرعية؟!: 122
وقاحة ما بعدها وقاحة: 123
الجواب الرصين: 125
على الإمام معالجة الشبهات: 130

أرديت جيلاً من الناس: 134

ابن السوداء في كلام معاوية:.. 135

وقاحات معاوية: 137

معاوية ولد من كافر، وأشبه آباءه: 137

أنا أبو حسن: 142

إسقاط حال المتكلم على المخاطب:.................................. 144

الأبتران: 145

متى كانت هذه المراسلة؟!: 146

أنا قاتل جدك وعمك، وأخيك، وخالك:............................... 147

من الذي يروغ كالثعلب؟!: 148

لَيتمن النور عل كرهك: 150

الفصل السادس: المراسلات بنظر المعتزلي..

الرسائل بنظرة عامة:... 155

ضرورة فضح أهل الباطل:.. 158

ضرورة إقامة الحجة: 160

من الذي مهد لمعاوية؟!: 161

لماذا يفاخر علي × معاوية؟!:.. 162

علي × يلعن معاوية في قنوت الصلاة:.............................. 163

ابن أبي الحديد يعلِّم علياً × السياسة!!: 168
علي × ليس سباباً: 169
لو رأى الرسول ' عاقبة تعبه!!: 170
أسباب حملاتهم على علي ×: 171

الفصل السابع: الخطاب التوجيهي..

علي × والإمامة: 177
خير الكلام ما قل ودل: 182
هل الخلافة في أعقاب الأنبياء؟!: 183
النجاة والهلاك بماذا؟!: 184
معاوية غاصب وناكث ومارق: 189
غاصب، ناكث، وطاعن؟!: 197
كيف طعن معاوية في الدين؟!: 197
الإجماع على البيعة لعلي ×: 198
التوى عليهم ليبلوا ما عندهم: 199
معاوية ينازع علياً × الخلافة: 201
بطلان حجج معاوية: 202
علي × صهر النبي ' دون عثمان: 204
لو كان لي بعدد أهل بدر!!: 205

الباب الرابع: قبل المسير إلى صفين..

الفصل الأول: يستشير في المسير..

معاوية إلى صفين: 211
معاوية في صفين:... 215
علي × يستشير في المسير: 219
هل يستشير المعصوم؟!:... 232
متى كان هذا الحوار؟!: 233
مضمون كلام علي ×:.. 234
الموادعة لملك الروم:... 234
أهل العراق أصبر من أهل الشام: 235
معنى الشبهة عند علي ×: 239
إهراق دماء القاسطين:.. 240
المشورة لماذا؟!:.. 240
البركة في المشورة:.. 241
من فوائد مشورته × أصحابه:... 242
ليس النصر هو المعيار:... 246
إلى الله أَكِلكما، فاذهبا حيث شئتما: 246

علي × يهدم دار حنظلة: 248
ابن حصين، لا ابن صوحان: 249
استحسان علي × وعمار كلام أبي زينب: 249

الفصل الثاني: لا تكونوا سبابين..

الإعلام الحربي: 253
لو وصفتم مساوئ أعمالهم: 258
متى حدث هذا؟!: 260
الأبدال بالشام: 261
ينهى عن السب واللعن ثم يفعله!!: 264
ألسنا محقين؟!: 267
من عملهم ومن سيرتهم كذا وكذا: 268
أصوب في القول، وأبلغ في العذر: 269
الإنصاف.. والإيحاء بالحق: 271
إخلاص أصحاب علي ×: 273

الفصل الثالث: الحشود في المعسكرات..

الحشد واستقدام العمال: 277
مضمون الرسالة: 279
هذا الكتاب: 279
الحيثيات الإعتقادية: 282

سمات.. وممارسات: 284

أسباب مسيره × لحرب أهل الشام: 285

مقاصد أهل الحق من الحرب: 287

النداء بحشر الناس إلى المعسكر: 288

قبل الخروج إلى المعسكر: 289

موقف باهلة من علي ×: 290

أهل البصرة إلى صفين: 290

هل هذا سباب؟!: 292

قتلة المهاجرين والانصار: 295

علي × وباهلة: 296

مضمون رسالة علي × لإشخاص البصريين: 301

الفصل الرابع: علي × يكاتب ابن العاص..

علي × يكتب إلى عمرو بن العاص: 307

كتاب آخر من علي × إلى عمرو: 308

مضامين كلام علي ×: 309

الخطاب التحليلي: 310

تأثير العامل النفسي: 312

ما الفرق بين المؤمن وغيره؟!: 313

النهايات .. هل تتوافق مع الرغبات؟!:................................. 315
السعيد من وعظ نفسه:... 316
لا تحبط أجرك: 316
كيف نجيب على هذه الأسئلة؟!: 317
لا أنيلك إلا ما أنالك القرآن:... 320

الفصل الخامس: أصحاب علي ×.. وحديث أويس..

علي والحسنان ^ يدعون للجهاد:.. 325
أصحاب ابن مسعود:... 327
إعتراف لا بد منه:.. 328
الذود إلى الذود إبل:... 329
ملاحظة لا تخفى على القارىء الكريم:................................. 329
موقف عبيدة السلماني من علي ×:..................................... 330
معاوية لا يدرك ما يسعى إليه: 332
أعلم الناس بالحلال والحرام:... 332
علي × والشاكون في القتال معه:....................................... 333
الربيع بن خيثم لم يكن من المخلصين لعلي ×: 334
الإقدام على الأسنة: 336
الإمام الحسين × وأهل الكوفة:... 338

الفزاري المعارض:... 339
أويس القرني مع علي ×:... 344
خبر أويس القرني &:... 344
أويس القرني: 350
حديث عمر وأويس موضوع:.. 353
علي × لم ير القرني: 354
ألقى يده على صدره: 357
أويس ينقض كلامه:... 357
سأستغفر لك ربي:.. 358
أمراء الأسباع: 361
مشكلة الأشعث بن قيس: 362
الرسائل بين معاوية وابن أبي بكر: 367
الفهارس:... 369
1 ـ الفهرس الإجمالي... 371
2 ـ الفهرس التفصيلي 373